مؤسسة نواصري للطباعة والنشر

نواصري
للطباعة والنشر

المسيلة في : 2022/06/09

شهـــادة نشـــــر

يشهد مسؤول مؤسسة نواصري للطباعة والنشر الكائن مقرها بـــ حي تعاونية الشيخ المقراني بالمسيلة بأن :

د: موشموش محمد، قد نشر له كتاب جماعي تحت عنوان **(بحوث ودراسات في التراث والمجتمع الجزائري)**،

تحت رقم (**ISBN : 978-9931-9509-4-3**) مارس 2019.

وذلك بناءا على عقد النشر الممضى مع المعني.

ملاحظة: قدمت هذه الشهادة لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

مسؤول المؤسسة

نواصري للطباعة و النشر
تعاونية الشيخ المقراني
مطبعة صناعية

العنوان: تعاونية الشيخ المقراني، طريق إشبيليا- المسيلة هاتف/ فاكس: 035.35.31.08 البريد الالكتروني: imp.nouasri@gmail.com

بحوث و دراسات في
التراث و المجتمع الجزائري

بحوث و دراسات في التراث و المجتمع الجزائري

إعداد و تنسيق:
د. موشموش محمد

تقديم و مراجعة:
أ.د بن عبد الله نور الدين

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني -إشبيليا- مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.
تلفاكس: 035.35.31.08 imp.nouasri@gmail.com

الإيداع القانوني: مارس 2019
ردمك (ISBN): 978-9931-9509-4-3

نواصري للطباعة والنشر

بحوث و دراسات في التراث

و المجتمع الجزائري

إعداد و تنسيق:

الدكتور: موشموش محمد

تقديم و مراجعة: الأستاذ الدكتور

بن عبد الله نور الدين

اسم الكتاب: بحوث ودراسات في التراث والمجتمع الجزائري

طبعة أولى: مارس2019

ردمك: 978-9931-9509-4-3

عدد الصفحات: 331 صفحة

الناشر: نواصري للطباعة والنشر

إيميل: imp.nouasri@gmail.com

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني -إشبيليا- مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر.

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"

رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 3/ 1255 (1631)

اللجنة العلمية و تحرير الكتاب:

الأستاذ الدكتور : خلفات مفتاح	**جامعة المسيلة**
الأستاذ الدكتور: بن عبد الله نور الدين	**جامعة الجلفة**
الدكتور: موشموش محمد	**جامعة المسيلة**
الدكتور: محمد عيساوي	**جامعة المسيلة**
الدكتور: يونس بن محمد	**جامعة المسيلة**
الدكتور: حليم سرحان	**جامعة المسيلة**
الدكتور: نوادري فريدة	**جامعة المسيلة**
الدكتور: عبد المالك بوقزولة	**جامعة المسيلة**
الدكتور: بن زاوي طارق	**جامعة المسيلة**
الدكتور: سعيد بوزرينة	**جامعة البيض**
الدكتور: حسونة عبد العزيز	**جامعة الجلفة**
الأستاذة: موشموش أسية	**جامعة الجزائر (2)**

تقديم

إن الحديث عن التراث ليس بالأمر الجديد، لكن قراءته قراءة جديدة انطلاقا من مفاهيم العصر وحاجة الإنسان. فالاستفادة منه تظل دائما مبتغى الباحث، بل هي عملية تقتضيها سنة الحياة و روح التقدم، ذلك لأن التراث كنز محايد من حق كل جيل أن يفهمه، بطريقته، ووسائله، وأسلوبه على حد قول الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه، والتراث الجزائري جزء كبير من تراث المغرب الإسلامي، والأمة العربية الإسلامية، وبهذا فهو بحاجة متجددة لقراءته، لاستنباط ما ودع فيه من أسرار، وبذلك يجدد دوره في أهله، اجتماعيا، وثقافيا، وسياسيا، و كلما استدعي التراث، ثم قرء قراءة متفحصة،حفز ذلك على الوقوف مع الذات ومسائلتها، مما يؤدي إلى يقظة الأمة،لهذا جاء هذا الاستكتاب، من قبل مجموعة من الباحثين المزودين بالمعرفة، لإعادة استحضار التراث، وقراءته من جديد، كل حسب مجال تخصصه.

ونحن إذ نقدم هذا العمل، لقناعتنا بضرورة إعادة استنطاق التراث على ضوء الدراسات الحديثة، وبما تقتضيه ضرورة العصر، إضافة إلى أننا نشد على أيديهم من اجل الاستمرار في مثل هذا الجهد، واضعين نصب أعينهم، أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو أضيف هذا لكان أحسن، ولو أذيل كذا لكان أفضل، وهذا من دواعي العبر، ودلالة على استعلاء النقص على جملة البشر.

الأستاذ الدكتور بن عبد الله نور الدين

الجلفة:24 جمادي الأولى 1440هـ

الموافق: 30 جانفي 2019م

علاقة الصوفية بمجتمع بجاية خلال العصر الوسيط

الأستاذ الدكتور: خلفات مفتاح

جامعة محمد بوضياف المسيلة

علاقة الصوفية بمجتمع بجاية خلال العصر الوسيط

مقدمة:

إذا كانت الدولة "كمصطلح و سيادة " تشكل في مضمونها أهم الثوابت الحضارية، فإن التصوف كخطاب و سلوك يمثل مقوما له خصوصية و أهمية في بلورة البنى السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية إلى حد يمكن القول أن الشخصية الحضارية لبلاد المغرب تستند إلى أربعة ركائز هي: " إمارة المؤمنين " و " الولاية الصوفية " و " الفقه المالكي " و "العصبية القبلية " ، ذلك وفق شبكة علائقية جمعت بين مختلف هذه المؤسسات[i]ولعل أبرز مظاهرها أن بعض الفقهاء و من شدة ورعهم و اندماجهم في النسيج الإجتماعي، إرتقوا إلى مرتبة الأولياء و خصوا بمكانة مرموقة في " المخيال الشعبي " نظير ما كانوا يقدمونه من أعمال خيرية، تضامنا مع الطبقات المحرومة من المجتمع. لا سيما في الأوقات الحرجة و من هذا المنظور يحق لنا أن نتساءل – عن مظاهر التكافل والتفاعل بين الصوفية و المجتمع خلال الازمات [ii] التي ألمت بالمجتمع البجائي.[iii]

قصارى القول فإننا نطمح من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف على مختلف الأدوار المجتمعية لصوفية بجاية.

مجالات النشاط و مظاهر التكافل

أولا: الإطعام :

يستفاد من فيض النصوص التي تقدمها كتب التراجم و الطبقات أن صوفية بجاية كان لهم دورا اجتماعيا بارزا في مجال التكافل، حيث شكلت الكوارث الطبيعية من مجاعات و أوبئة و جفاف و غلاء مناسبات لرواد هذا التيار لمد يد المساعدة للمتضررين، فكانت الأعمال الخيرية التضامنية بالنسبة لهم فرصة للترقي في سلم الولاية، فهم يشفقون على يتامى المسلمين و يطعمون المساكين و يسعون لتفريج كروب المعسرين، ولا سبيل للإنكار أن اطعام المعدمين و المحرومين في الظروف الاستثنائية على سبيل البر و الاحسان و المواساة أهم ماكان يطمح إليه "رجال الولاية " وذلك من منطلق حرصهم على تنشئة المجتمع على قيم التضامن وفق مبدأ "الصدقة و الاطعام " وحسبنا دليلا

على ذلك ما ذكره " التادلي في تشـوفه قوله: " وقعت ببجاية مجاعة كبيرة فذهب أبو زكرياء "(611 هـــ / 1214 م) إلى العامل و إكترى منه فندقا كبيرا بنحو ثلاثمئة دينار ثم قصـد إلى أعيان بجاية واحد بعد آخر لجمع تبرعات للمســاكين و المحتاجين و دفع له كل واحد ما اســتطاع فلما اجتمع عنده مال كثير دفع إلى عامل الفندق ،ثم مشـى في طرقات بجاية و كلما مر بمسـكين قال له اذهب إلى الفندق الفلاني و لما اجتمع الفقراء بالفندق، اشـــترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم أذى البرد .....و جعل عليهم قيما و أغناهم بذلك عن الســؤال، إلى أن أخصـــب الناس في العام التالي. [iv]

و من جهته أكد الغبريني في عنوانه أنه مامن ناحية من نواحي بجاية إلا و لأبي زكرياء مسجد و معلم معروف بالبركة و الكرامة.[v]

ويضـيف"الغبريني" أن أبو نجم هلال بن يونس فكانت عيشـه من مسـتغلات أرض كانت له محررة بطهائر من قبل عبد المؤمن وكان يصرف أكثرها في الصدقات على فقراء المدينة[vi] أما أبي محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف لا يأكل من مرتبه شيء و إنما يصرفه في الصدقة و صلة أهل البر و الخير،[vii] اقتفى ولده أبو العباس سيرته في أعمال البر و الصدقة[viii] ،كذلك يفعل أبو الحسن علي النمري (668 هـ / 1270م) [ix] الذي كان يؤثر الفقراء و ينفق عليهم من ماله الخاص، هذا إلى جانب ما كان يقدمه لهم من الطعام – و قد آزره في هذا النشـاط الخيري – أبو الحســن علي بن أحمد بن ابراهيم الحراليت638هـــ- 1240م كثير العطف على المحتاجين[x] وقد بلغ به الأمراء إلى حد أنه اعطى بعض ممتلكاته إلى أحد الفقراء الذين وفدوا إلى بجاية.[xi]

وبالمثل تؤسس الروايات المنقبية النشاط الخيري– الذي كان يقوم به أبو إسحاق ابراهيم بن ميمون بن بهلول(ت686هـ/ 1288م) أنه لا يتوانى في السعي من أجل الفقراء بأفضل المسالك كما عبر على ذلك الغبريني،[xii] و لانعدم من القرائن ما يؤيد الســعي الحثيث لصـــوفية بجاية في ميدان التكافل الاجتماعي و العناية بالفقراء والمعوزين ، حســبنا في ذلك أن أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن (ت693هـ / 1295 م) لم يبخل على أحد الفقراء و قد جاءه يشكو حالة العوز و الفقر

فأخرج له أمدادا من القمح يعيل أسرته[xiii] كما تشيد المصادر التاريخية و الروايات بالوالي الصالح أحمد بن إدريس الأيلولي (ت760 هـ / 1362 م) الذي تجلت في شخصيته قيم الر حمة و الاحسان و الإيثار و حسن العشرة، التي جعلها مبدأ وغاية حتى صارت من مكونات فلسفته الصوفية[xiv]، قصارى القول أن صوفية و صلحاء بجاية أكدوا حضورهم المميز من خلال إسعاف و إنقاذ الكثير من الفقراء و المعوزين الذين وجدوا في رجالات هذا التيار العزاء النفسي لهم بعد تقصير الحكام في حقهم .

ثانيا: الدور التعليمي :

إلى جانب أعمال البر التي اشتهر بها صوفية بجاية فإن المصادر التاريخية تزخر بسيل من النصوص التي تترجم نشاطهم الدؤوب في تنظيم حلقات الدرس و التربية الروحية للمردين و مجالس الوعظ للعامة، لفتح بصيرتهم حول قضايا دينهم و هو ما أشار إليه ألفرد بل Alfred Bel و أكد عليه لوبينياكLoubinique مشيدا بدور هؤلاء في نشر الثقافة الإسلامية في الوسط القبلي.[xv]

و قد سلك صوفية بجاية كل السبل المفيدة في نشر الإسلام و التصوف السني و حسبنا في ذلك حرص أبي زكريا يحي الزواوي (611 هـ / 1214 م) على تغيير ما اعتاده الناس من منكرات ما يمر بمجلسه إلا ذكر النار و الأغلال و السعير، حتى تكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه مرددا لآية كريمة – " قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ".[xvi]

و في نفس السياق تحدث ابن خلدون (808هـ / 1404 م) عن ظاهرة توبة الأعراب المقيمين في الجوار الجغرافي لمدينة بجاية ،الذين انخرطوا في هيكل التصوف[xvii]و كانوا قد بادروا بدفع أبنائهم إلى مجالس العلم و ربما كان هذا ثمرة الاحتكاك بينهم و بين القبائل البربرية .

ومن جانب آخر أظهر هؤلاء الصوفية مقدرتهم في معالجة بعض الأمراض، منها أمراض العين و الصرع و الكساح، ومن هذا المنظور ذكر التنبكتي أن أحمد بن إدريس (توفي بعد 760 هـ /

1360 م) كان يعالج مرضى الصرع بقراءة المعوذتين في أذن المريض،[xviii] أما نصر الزواوي (من أعلام القرن 9هـ / 15 م) فيلجأ إلى كتابة التمائم كوسيلة للعلاج.[xix]

و يؤكد الورتيلاني في رحلته أن عددا من صوفية بجاية كانوا يداوون مرضاهم بالرقية الشرعية، ربما رقى أحدهم مريضة بعكازة على حد تعبيره،[xx] كما تكشف المصادر التاريخية تدخلهم في فك النزاعات و الخصومات و توفير الأمن للمسافرين و التجار ، و هو ما لاحظه حسن الوزان في معرض حديثه عن قبائل منطقة بجاية.[xxi]

ويتضح من حصاد ما سبق أن صوفية بجاية شكلوا إحدى أهم الفئات الاجتماعية، لاسيما بعد أن نجح هؤلاء وفي أصعب المراحل التي كانت تمر بها بجاية، من إدماج عدد كبير من سكان المدينة والبادية في هيكل التصوف في ظل الانتشار الواسع لبعض السلوكات المنافية لمبادئ الشريعة، التي أثرت سلبا على منظومة القيم الأخلاقية بفعل الاتصال والاحتكاك بالتجار الأوربيين، كما أن الترويج لبعض كراماتهم كان من منطلق حرص أصحاب هذه المؤلفات التاريخية– من كتب – التراجم – و المناقب – و الرحلة – التأكيد على ضرورة الاعتقاد في رجالات هذا التيار و الانخراط فيه لضمان حياة روحية أفضل.

ثالثا: دورهم في جهاد النصارى و تأمين المسالك التجارية:

تعكس التجربة الصوفية بالمغرب الأوسط تلازم الجهاد و التصوف إذ من الصعب التمييز بينهما و لعل هذا ما ساعد في تنامي الدور الجهادي للمتصوفة ما تعرضت له بجاية و ما حولها من ضروب الاستعمار من قبل النورمان و الاسبان و البرتغاليين، الذين كانوا يترددون على سواحل بجاية نتيجة اختلال موازين القوى في الحوض الغربي للمتوسط لصالح النصارى ، و تقوم شهادة الرحالة المغربي ابن الحاج النمري الذي دخل بجاية سنة 758هـ / 1360 م دليلا على الجهود التي كان يبذلها صوفية بجاية في حراسة ثغور المدينة قوله " و اتخذوا من برج اللؤلؤة رباطا للجهاد و مقرا للمثاغرين الذين هجروا النهاد ولازموا السهاد و باتت أعينهم تكلأ في سبيل الله " ينتظرون قدوم أجفان الكفار، كما يستشف مما ذكرته بعض المصادر التاريخية أن أبو العباس أحمد بن القاضي

(930هـ/1523 م) و كان له دورا بارزا في محاربة النصارى باذلا نفسه و ماله لأجل حماية ثغور المسلمين.[xxii]

و علاوة على الدور الجهادي للمتصوفة، تشيد المصادر التاريخية و الروايات المنقبية بدورهم في تثبيت الأمن الداخلي و تأمين مسالك التجارة و حسبنا ما قاله حسن الوزان – وأكدته النوازل الفقهية– قوله أن لا أحد يستطيع المرور بجبال بجاية إلا بصحبة ولي.[xxiii]

و يبدو أن نفوذ صوفية بجاية في النسيج الاجتماعي ازداد أكثر مع الاضطرابات السياسية التي كانت تعرفها المدينة خلال القرن 8هـ / 14م، إذ ناب هؤلاء عن السلطة وجنود المخزن في تأمين الطرقات من عبث أعراب البادية [xxiv] وهو ما أهل زواياهم لكي تصبح ملجأ ذو " حرمة " بقرار من السلطان الحفصي، الذي أصدر ظهيرا يمنع فيه التعرض لكل من يحتمي بالزاوية[xxv] و لنا أن نتمثل حجم هذا التشريف و انعكاساته على مقدمي الزوايا و شيوخها لاسيما و أن بادية بجاية كانت تعج بالعديد منها، من الامثلة التي نسوقها للبرهنة على هذا الطرح ماكان يقوم به أبو الربيع سليمان بن عبد الملك بن موسى بن أبي الجيوش في تأمين طريق الحجيج إلى الحجاز.[xxvi]

رابعا: أولياء وطقوس:

نروم من خلال هذا المبحث توضيح الوجه الآخر الذي يعكس استمرارية العلاقة بين المتصوفة والمجتمع، ومدى تأثر أفراده واعتقادهم في كرامة الأولياء، اعتبارا لما قاله إبن قنفذ بأن الكرامة لا تنقطع بموت الولي،[xxvii] وهو ما ساعد كثيرا في انتشار ظاهرة التبرك بالأولياء، ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل شمل هذا الاعتقاد المسيحيين أيضا، لما كان يتطلع إليه الزوار في تحقيقه من أمنيات و"مصالح دنيوية"، وجرت العادة أن يقدم هؤلاء نذورا عند زيارتهم لأضرحة الأولياء، وغالبا ما يعمد هؤلاء – رجالا كانوا أم نساء– إلى تعليق خرق وشرائط معقودة على قبر الولي الصالح وحتى في الأشجار المجاورة لضريحه.[xxviii]

وغني عن القول أن استفحال هذه الظاهرة يعود- كما أسلفنا- إلى ما تقدمه كتب المناقب والتراجم من التعابير الدالة على النزعة الصوفية -اعتقادا وسلوكا- تجذرت في صدور الناس منها: "كان من عباد الله الصالحين"، "الأولياء العارفين المشهورين" إلى غير ذلك من الصفات والنعوت،[xxix] مما يكشف عن طبيعة العقلية الاعتقادية المهيمنة على شريحة عريضة من المجتمع، هذا إلى جانب الحضور القوي لكرامة الولي في المشهد الصوفي، واحتفظت به الذاكرة الجماعية على مر العصور دون اعتبار للنعوت التي وصفت بها على أنها من الخوارق التي يصعب حدوثها. [xxx]

ومن هذا المنظور حظيت أضرحة العديد من صوفية بجاية في المدينة والبادية معا بزيارات لم تنقطع، فقد ذكر الغبريني في عنوانه أن الدعاء عند قبر أبي زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1210م) مستجاب،[xxxi] بل أن أبي على بن محمد اليتورغي (من أعلام القرن 7هـ/13م) أوصى أولاده بأن يأتوا قبره إذا ما اعترضتهم بعض عوارض الحياة ويسألوا الله أن يفرج كربتهم.[xxxii]

ومن القرائن أيضا أن زاوية أيلولة التي بها ضريح أحمد بن إدريس الزواوي (توفي بعد 760هـ/1360م) يأتيها الناس "بالصدقات" أو "الفتوح" التماسا لبركة الشيخ، [xxxiii] كما تحولت الزاوية الغبرينية بمدينة المرسى بإفريقية التي دفن بها أبي مهدي عيسى الغبريني (ت 816هـ/1418م) قبلة للزوار للتبرك والدعاء لما شاع من أخبارها في مداواة مرضى أعمال السحر.[xxxiv]

كما حرص أصحاب المؤلفات إلى الدعوة لضرورة زيارة قبور هؤلاء طلبا للشفاء وقضاء الحوائج -دينية كانت أم دنيوية-، وهو ما نستشفه من كتاب "الرحلة الورتلانية" ،ففي معرض حديثه عن الولي الصالح علي بن موسى الزواوي (من أعلام القرن 9هـ/15م) يقول الورتلاني:« وقبره دواء ربانيا»[xxxv] ويضيف بأن دعاء السائل مستجاب عند ذكر اسم أحمد بن يحي الزواوي،[xxxvi] ويوصي بأنه ينبغي للعاقل أن يزوره ويزور من دفن معه من الصلحاء في جبل أتوجه بأرض بجاية وزواوة، فهو منفرد بأوليائه، شهرتهم تغني عند ذكرهم، وتعظيمهم يفوق مقام بيانهم وتبيانهم وجميل آثارهم.[xxxvii]

لكن الملفت للانتباه أن كثرة مثل هذا العدد من أضـــرحة الأولياء في منطقة زواوة يعكس ظاهرة أخرى انتشـــرت في مجال البادية، وهي "التنســـك التلقائي" الذي لا يســـتند إلى أي مرجعية فكرية، وربما هذا ما يفسر لنا إحجام المصادر التاريخية عن ذكر مناقبهم وآثارهم المادية،[xxxviii] ومع ذلك فإنه لا يساورنا شك بأنهم أدوا أدوارا في غاية الأهمية على المستوى الاجتماعي، ومرد ذلك – كما سبقت الإشارة إليه– يعود إلى الرصيد المعنوي الذي اكتسبوه من مختلف الشرائح الاجتماعية والهيبة التي صـــارت لهم في قلوب الناس على اختلاف مواقعهم،[xxxix] إلا أن إشـــاعة أخبار هؤلاء الصـــوفية والدعوة إلى زيارة قبورهم يؤكد على اســـتفحال هذه الظاهرة أكثر وســـط العامة وفي البادية على وجه الخصـــوص، لقصـــور تفكيرهم واعتقادهم في بركة الولي، وهذا عائد بطبيعة الحال للمناخ الثقافي الذي ساد بلاد المغرب خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي والذي وصل إلى مرحلة الإعياء والتقعد الفكري.

وإنصافا للحقيقة فإنه رغم تحريم العلماء لظاهرة التبرك، وما يصحبها من الطقوس التي يمارسها زوار "الزوايا" و"الأضـــرحة" باعتبارها بدعة تقود صـــاحبها إلى الشـــرك،[xl] إلا أن ابن عربي (ت 638هـ/1270م) دافع عنها ربما لما تكتســـيه من أهمية في نفوس المريدين، أولأنها من "مقاما ت القداســـة" التي لا يجب الطعن فيها، الأمر الذي دفع برجل الســـجال الحنبلي أحمد بن تيمية (ت 728هـ/1330م) بأن يرد على مثل هذه المواقف في مؤلف خاص الموسوم بـ"الفصل بين أولياء الله وأولياء الشيطان" سلك فيه مبدأ الوساطة بإقرار الاحتفال بعيد المولد النبوي من جهة، وزيارة أضرحة الصالحين من الزهاد والصوفية من جهة أخرى، وبين المنتسبين لهذا التيار من المشعوذين والدجالين.

ولعل ما يسترعي الانتباه في هذا الباب التداعيات الخطيرة التي أفرزها سيطرة هذا التيار أي " الحنبلي" على ذهنية ســـكان شـــبه الجزيرة العربية بنمو الفكر الوهابي[xli] وما أعقب ذلك من تدمير لكافة القبور والأضرحة التي كانت تتردد عليها شريحة عريضة من أفراد المجتمع الإسلامي رغم تحريم الفقهاء والإدانة التي تعرض لها زوار قبور الأولياء الصالحين باسم التقدم وقيم الحداثة، إلا أن ذلك لم يمنع من استمرارها كحاضنة لعدد كبير من ضحايا التخلف والظلم والتعسف والحداثة القاسية.[xlii]

قصـارى القول أن رجال الولاية و الصـلاح البجائيين أكدوا حضـورهم الفاعل في السـاحة الإجتماعية – من خلال عمليات التكافل الإجتماعي باحتضان العديد من الأسرالمعوزة، لا سيما في فترة الأزمات الطبيعية التي عرفتها بجاية – و تدخلوا لاستتباب الأمن و فك طوق الظلم و الإستبداد على المسـتضـعفين –كما أسـهموا – من خلال مجالس الوعظ بالدعوة إلى الأمر بالمعرف و انكار المنكرات بوسائل مستوحاة من وسطية الإسلام واعتداله، ومن القرائن أن أحمد بن إدريس – حسب رواية التنبكتي- اعتاد الخروج مع طلبته يجوب شوارع المدينة وأرباضها لمحاربة مثل هذه المظاهر.[xliii]

وللحقيقة نؤكد أننا بأمس الحاجة لمثل هؤلاء لاسـيما وأن العصـر الذي نعيشـه يعتبر في تقديري – وبكل المقاييس – عصر الشهوات و النزوات في ظل الانهيار الذي تعرفه " المنظومة القيمية الاجتماعية " الأمر الذي يتطلب ضـرورة إحياء القيم الأخلاقية و الروحية لتطهير الذات و " تجاوز الحاضـر المادي " الذي سـيطر على مخيلتنا لتحقيق الدرجات العليا من الصـفا الروحي و الكمال الأخلاقي لاسـيما و أن "هذا الإرث " و للأسـف – يتعرض لمعاول الهدم و التحريف – من قبل دعاة الأفكار الاشراقية و فرق الطرقيين الضالة – البعيدة عن علمي الشريعة والحقيقة.

([i]) القادري بوتشيش وآخرون، التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، المملكة المغربية، 2010،، ص143.

([ii]) لم تبد الإسطوغرافيا المغربية إهتمامها بمختلف الأزمات التي عرفتها بلاد المغرب و ان كل ما جاءت به جاء في سياق العرض التاريخي و السياسي أو بما هو مثبت في حوليات بعض المؤرخين الذين إعتادوا الإشارة إلى الأحداث الطبيعية من مجاعات و أوبئة و زلازل و فياضانات و أعاصير دون الالتفاف إلى النتائج المترتبة عنها سواء اجتماعية كانت أو اقتصادية على اعتبار أن هدفها توثيقي بحت أنظر : خلفات مفتاح ص 428

([iii])تشير المصادر التاريخية أن – وباء الطاعون – إجتاح بجاية سنة 714 هـ / 1315 م و تكرر نفس الوباء سنة 740 هـ / 1350 م الذي حصد أرواح الآلاف من السكان كما تسبب زحف الجراد على المنطقة في إتلاف المحاصيل الزراعية و أوقع الناس في فاقة كبيرة : أنظر ابن الطواح:سـبك المقال لفك العقال، تح: محمد مسـعود جبران، دار الغرب الإسـلامي ، بيروت، لبنان، 1995، ص 201 هـــ 2، الزركشـي:تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصـية، تح: محمد ماضـور، المكتبة العتيقة، تونس، بدون تاريخ،ص45 .

([iv]) التشوف إلى رجال التصوف: تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1984؛ اعنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص135

([v])عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص 136

([vi])نفسه، ص ص 169 – 170

([vii]) نفسه، ص ص 215- 216

([viii])نفسه، ص 216

([ix])نفسه، ص 210

([x])نفسه، ص 149.

([xi])نفسه، ص 150

([xii])نفسه، ص 49.

([xiii])الغبريني: المصدر السابق ص ص 129 – 133

([xiv])التنبكتي : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: أبو يحي عبد الله الكندري ، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002، ص 45؛ نيل الابتهاج وتطريز الديباج: ذيل الديباج المذهب لابن فرحون: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ، ص 45 – 71

([xv])المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع – الذهنيات – الأولياء ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، 1993، ص 162

([xvi]) الآية 37 سورة الأنفال : أنظر : الغبريني ص ص 136 . 137

([xvii])ومن بين الأسماء التي حفظها لنا ابن خلدون نذكر : سعادة الهلالي من قبيلة رياح ، و أمه حصينة التي كانت في أعلى مقامات العبادة و الورع ، وقد نشأ هو منتحلا للزهد و التنسك ، ومن أتباعه يحي بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود من الدواودة ، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع ، وبن يحي بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر ، و حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحي بن دريد بن مسعود و هجرس بن علي من أولاد بزيد بن زغبة ، و رجالات من العطاف من أولاد يزيد و أتباعهم ، وتقوم مثل هذه النصوص كشاهد لنفي لأطروحة المدرسة الأجنبية التي تزعمها كاريت و مارسي و جورج و غيرهم ، و التي نعتت الهلاليين بأبشع الأوصاف الذميمة و بأنهم جهلة مخربون ، أنظر : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ط 1، بيروت، لبنان، 1992، مج 6 ، ص46 ؛ نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص 294

([xviii]) كفاية المحتاج ص45.

([xix]) نفسه، ص491.

([xx]) الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح: محمد بن أبي شينب، مطبعة بيير فونتان الشرقية، الجزائر، 1968 ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص14.

([xxi]) وصف إفريقيا ، ط1، تر: محمد حجي محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2 ص46.

([xxii]) حول هذا الموضوع : راجع : الادريسي نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص114، يفسر أحد الباحثين أن ضغط النورمان على السواحل بلاد المغرب كان تمهيدا لاحتواء المنطقة لتحقيق ما كانوا يطمحون إليه في توسعاتهم الاستعمارية و ذلك بتكوين مملكة إفريقية و ضمها لسلطانهم حول هذا الموضوع :

archeveche de Mahdiyyatree dans 'afrique et l'Henri brécé : le royauneNormant d islam avec le monde Latin du milieu de X émesiecle au 'les relations des pays d milieu de XIII siecleEdditions jacques marseille paris 2000 p-8- 264.282

([xxiii]) فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب: دراسة و تحقيق محمد ابن شقرون ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 267 ؛ ويستشف حسب ماورد في المصادر التاريخية أن المرابطين ينقسمون إلى فريقين :

الأول : يمثله مجموعة من الأولياء و الصلحاء الذين نذروا أنفسه،م لحراسة الثغور، نتيجة اختلال موازين القوى في الحوض الغربي للمتوسط لصالح النصارى .

الثاني : يتصدره قوم من الفقراء الجهلة الذين كانوا يجوبون البوادي و القرى المغربية في طريقهم إلى الحج ، يستحوذون على أموال الناس و يمارسون الغناء و الرقص موهمين الجهال بأنه تقرب إلى الله ، هذا إلى جانب ما كانوا يقيمونه من طقوس و يضيفون إلى دين الله تعالى ما ليس منه ، مع أن لا أحد فيهم يحسن أحكاما يجب عليه في يومه و ليلته ، بل هو من استخلفه الشيطان على إضلال عوام الناس على حد تعبير الونشريسي، ومن المؤسف أن نفوذ هذه الطائفة قد امتد إلى دول المشرق حسب ما يفهم من رواية ابن خلدون الذي كان قد تولى منصب قضاء المالكية بمصر سنة 786هـ / 1310 م و هو ما يعلق على ذلك بقوله : " وكان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون بمفترق من اصلاحات العلوم هنا و هناك ، لا ينتمون إلى شيخ مشهور ، ولا يعرف لهم كتاب في فن ، وقد اتخذوا الناس هزؤا وعقدوا المجالس مثلية للإعراض و مأبنة للحرم ، وخلوا إلى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة ، يشترون بها الجاه ليجبروا بها على الله ، وربما اضطر أهل الحقوق إلى تحكيمهم فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم ، يترخصون به للإصلاح لا يزعمهم الدين عند التعرض لأحكام الله".

– يبدأ طريق الحج –حسب ما– أسعفتنا به– المصادر من مدينة آسفي بالمغرب الأقصى، حيث عين أبو محمد صالح على طول الطريق الرابط بين دكالة والحجاز عددا من مريديه للتكفل بتدبير حاجيات الحجاج والتنسيق بين المتقدمين الّذين يتم تنصيبهم في تلك المراكز فنذكر من بينهم المقدام الحاج أبي عبد الله محمد بن عيسى، وأبي القاسم بن عبد الله الماجري بتلمسان وزاوية بجاية التي يشرف عليها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن موسى بن أبي الجيوش، وقد كشفت بعض النصوص التاريخية الموقف الرافض لركوب البحر من قبل بعض العلماء و حسبنا أن الشيخ الولي أبى محمد صالح الماجري و نهى أحابه و مريديه عن ركوب البحرفي قوله :"اياكم السفرفي البحر فاني انظرا ليكم ما دمتم مسافرين في البر فادا دخلتم البحر حجبت بيني و بينكم "كما يستفاد مما ذكرته المصادر أن الظروف السياسية والامنية التي عرفتها بلاد المغرب استدعت ضرورة تأمين طريق الحج لاسيما مع ازدياد الأخطار التي كان يتعرض لها الحجاج من قبل قطاع الطرق ولصوص القوافل إلى جانب الضغط المسيحي على امتداد السواحل المغربية، وهو ما أثارته كتب النوازل الفقهية، الأمر الّذي دفع بالسلطان المرابطي علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1142م) يستفتي سنة 515هـ ابن رشد الجد (ت520هـ/1126م) "أي العملين أفضل في هذا الزمان الحج أم الجهاد لأهل

الأندلس والعودة؛ أنظر: الماجري (ابو محمد صالح المنهاج الواضح دراسة و تحقيق السعيدي عبد السلام ' دبلوم دراسات العليا مرقونة كلية الآداب الرباط (ج2ص 329) القادري بوتشيش وآخرون: التصوف السني، ص ص181- 182.

([xxiv])القادري بوتشيش وآخرون، التصوف السني ص 163

([xxv])وصف افريقيا ج2 ص46 ؛ الونشريسي المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس و المغرب ، ج2، أخرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص 403 الورتيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح: محمد بن أبي شينب، مطبعة بيير فونتان الشرقية، الجزائر، 1968 ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص7

([xxvi]) ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: تح: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد الترقي، الدار التونسية للنشر، 1968ص 199؛ البلوي:تاج المفرق في تحلية علماء المشرق،ج1، تح : الحسن السائح، طبع تحت نفقة صندوق إحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، بدون تاريخ، ص165.

([xxvii])أنس الفقير و عز الحقير : تح: بشير محمد الفاسي و أودلف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1965، ص7-9 ؛ نللي سلامة العامري، المرجع السابق ص343.

([xxviii])تنبع القداسة في الإسلام – الشعبي- حسب ما ذكره كل من "لويس رين"، و"ديبونكوبولاني" من رافدين مختلفين، تربوي ووراثي، يستند أولهما في إقامة مشروعيته على تربية روحية تنتقل من جيل إلى جيل بواسطة سلسلة من الأولياء الصالحين حسب قواعد الطوائف الصوفية، حيث ترتقي هذه السلسلة لدى بعضها إلى النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- كما هو الشأن بالنسبة للشاذلية – مثلا- ، أما الثاني والذي انتشر على نطاق واسع في البادية، يفترض انتقال الكرامات الروحية من مؤسس الزاوية إلى أحد أبنائه أو كافة ذريته ؛ حول هذا الموضوع أنظر: خوان غويتيصولو: أضرحة وزوايا وطوائف، طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي: ترجمة إبراهيم الخطيب، مجلة المناهل: العدد 81/80،السنة 29، وزارة الثقافة المغربية 2007 ص430.

([xxix])التادلي: المصدر السابق، ص33 وما بعدها ؛ الغبريني ؛ المصدر السابق ص133-134-136-141-169.

([xxx])حول نماذج من هذه الكرامات أنظر: التادلي:المصدر السابق، في أغلب الصفحات ؛ الغبريني: المصدر السابق ص135-136-170 ؛ التنبكتي: نيل الابتهاج ص71.

([xxxi])الغبريني: المصدر السابق، ص61 ؛ أبو العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج10، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 ص157 ؛ الورتلاني: المصدر السابق، ص48.

([xxxii])نفسه،، ص134.

([xxxiii])تشير بعض المصادر والمراجع التاريخية – على غرار كتابي "التشوف" و"البستان"- أن زوار الأضرحة والزوايا قد يمكثون لأسابيع لأجل حصول بركة الوالي، لذا كانوا يقدمون بعض الأطعمة وحبوب وزيوت وعسل وسمن تعرف باسم "الفتوح" ؛ أنظر حول هذا الموضوع: التادلي: المصدر السابق، ص290-301-307 ؛ ابن مريم: البستان في تاريخ أولياء تلمسان، نشره محمد أبو شنب وقدم له عبد الرحمن طالب، د.م.ج، 1986، ص287-301 ؛ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ/ 12- 15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999، ص 169.

([xxxiv])السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج3، تح: محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية، للنشر ، 1970، ص337.

([xxxv])نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ط1، : تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، 1988، ص23.

([xxxvi])نفسه،: ص48.

([xxxvii])نفسه،: ص34-48.

([xxxviii])يبدو أن انتشار هذه الظاهرة في محيط البادية حسب ما ورد في كتب التراجم والرحلة يعود إلى القرن 7ه/13م و كان شيوخ الصوفية أمثال أبي الحسن اليتورغي وأحمد بن إدريسالايلولي وأبي موسى اليجري دورا كبيرا في ذلك، إلى جانب هذا فإن مجال البادية كان معينا آخر على الخلوة للعبادة والتنسك ؛ أنظر: الغبريني: المصدر السابق، ص135-138-141-226 ؛ ابن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب: دراسة و تحقيق محمد ابن شقرون ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص257 ؛ ابن خلدون: المقدمة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص70.

([xxxix])محمد فتحة: المرجع السابق ص169.

([xl])قسم الفقهاء التوسل إلى قسمين، الأول جائز وهو ثلاثة أنواع وهي التوسل بأسماء الله وصفاته، و التضرع إلى الله- جل جلاله- ببعض الأعمال الصالحة، والتماس الدعاء من الأولياء الصالحين في حياتهم، كما أنهم أجازوا زيارة قبورهم والدعاء عندها باعتبارها بقعة صالحة، وهو ما أفتى به "معروف الكرخي" (ت 200ه/816م) والإمام "أبي بكر العربي" في كتابه "القبس في شرح موطأ" والغزالي (ت 505ه/1111م) في إحيائه :"كتاب الحج والسفر"، وسندهم في ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى:« أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (سورة الزمر،43-44)، وقوله- صلى الله عليه وسلم- :« إني قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا»، أما المحرم فهو أن يسأل الإنسان الله بأحد أوليائه كأن يقول:« أتوسل إليك باسم الولي الفلاني»؛ حول هذا الموضوع، أنظر: الونشريسي: المصدر السابق،ج1 ص320 وما بعدها.

([xli])ينسب المذهب الوهابي إلى محمد بن عبد الوهاب (1115/ 1206ه) من قبيلة تميم بشبه الجزيرة العربية، كان قد أوقف نفسه، لدراسة الفقه الحنبلي وتأثر كثيرا بمؤلفات أحمد بن تيمية (ت 728ه/ 1338م)، وبعد أن اشتد عوده عاد إلى الحجاز وقاد حركة إصلاحية شاملة، مشجبا مظاهر تقديس الأولياء ودعا الناس إلى منابع الشريعة، وقد آزره في حركته محمد بن مسعود ؛ أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى اللغة العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1984 ص550.

([xlii])خوان غويتيصولو: أضرحة وزوايا وطوائف، طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي: ترجمة إبراهيم الخطيب، مجلة المناهل: العدد 81/80،السنة 29، وزارة الثقافة المغربية 2007، ص427.

([xliii])نيل الابتهاج، ص71.

التغير الاجتماعي و جوانبه بالمجتمع

رؤية سيسيولوجية

الدكتورة : نوادري فريدة

جامعة المسيلة

التغير الاجتماعي و جوانبه بالمجتمع
رؤية سيسيولوجية

مقدمة

إن حقيقة التغير المستمر في حياتنا الحديثة من أجدر الظواهر بالاهتمام و الدراسة و من ثم أصبح من الضرورات العلمية تفهم التغيرات السريعة المتلاحقة التي تشهدها حياتنا المعاصرة.

إن هذا الفهم يقتضي بالضرورة المراجعة العلمية مستنيرة لما قد تتمخض عته التغيرات من مشكلات و متناقضات و ألوان متعددة من المطالب ، و الاحتياجات فالمجتمع قد يبدو مستقرا ساكنا سائرا في إنجاز وظائفه في هدوء طوال أجيال متعاقبة و لكن حين يصل إلى درجة من التجمع الحضاري يبدأ في التغيير النوعي بسبب وجود قوى تعمل في أعماقه لتجديد الإنسان أو لتأسيس نظم جديدة و من هنا تبدو حركية المجتمع و تغيير ظواهره حقيقة اجتماعيه ، و نجد أنه من نتائج هذا التغيير الاجتماعي أن بدأت بعض أنماط الحياة التقليدية في التراجع لتحل محلها أنماط أخرى تتلاءم مع ظروف الحياة الجديدة التي تمر بها هذه المجتمعات ،غير أن بعض هذه التغيرات و التحولات تتم بواسطة الانتشار الثقافي للحضارة التكنولوجية الحديثة في حين تم البعض الأخر نتيجة خطط مقصودة و سياسات موضوعة ، استهدفت تعديل بعض أوجه الحياة . و هذا يعني أن عمليات التغيير لا تترك للتلقائية و المصادفة و إنما تخضع للضبط و التحكم.

من هذا المنطلق نتساءل:

ما هي أهم جوانب التغير الاجتماعي؟

و هل كان هناك فعلا تكيف مع هذا التغيير الاجتماعي بالمجتمع ؟

و من هنا تتضح لنا بصورة مبدئية فكرة أن التغيير يعتبر عملية موازنة تحفظ تماسك مكونات البنية الاجتماعية و تلاؤم بين تنظيماته و تشكيلاته ، و قد تنبه المفكرون منذ القديم إلى ظاهرة التغيير و اعتبرها بعضهم حقيقة الوجود أي أن كل موجود لابد أن يتغير بمعنى أن التغيير لا الثبات هو الداخل على وجود الموجود فقد عبر عن هذه الفكرة المفكر اليوناني " هرقليطس" في مقولته :

(إن الفرد لا يستطيع أن يقول بأنني أعبر النهر الواحد مرتين ذالك على اعتبار أن ذرات الماء لامست جسمه في المرة الأولى غيرها في المرة الثانية كما أن الشخص نفسه يكون قد تغيير).[1]

كما أكد كثير من الفلاسفة اليونانيين على حقيقة ظاهر النمو خاصة أرسطو في أن يعم على الموجودات كافة و في الأوقات كلها

وقد تعرض المفكرون إلى تأثير المتغيرات يبعضهما البعض و صدى هذه التغيرات في الجوانب الأخرى من الحياة الاجتماعية إلا أن نظرتهم للتغيرات كانت عامة و لم تنته إلى القوانين التي تحكم هذا التغير.

بينما أخذ التفكير اليوم يتجه إلى التحكم في عملية التغير و توجيهها بدلا من توظيفها و كان لتقدم العلم أكبر الأثر في ذالك و تعتبر طاهرة التغير في العصر الحالي من المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث و خاصة بعد الحربيين العالميتين فقد أخذت الجهود تتجه تحو التغيير المخطط من أجل تنمية حقيقية هادفة.

و يؤكد البعض أن التغير لا الثبات هو معيار حقيقة الوجود الآن و تتجه جهود العلماء اليوم إلى معرفة ما بين التغيرات و الكشف على مصادرها و كيفية تنظيمها و ضبطها و أن أي تغيير يحدث داخل المجتمع يتردد صداه في جوانب أخرى و أصبح المفكرون يتحدثون عن القوانين و العوامل التي تؤدي إلى التغيير من أجل توجيهه و التحكم فيه ، أي أن التغيير حقيقة متأصلة في المجتمع الإنساني و وجدت بوجوده.[2]

بحيث يتحول بهذا الرأي القائل التغيير من عشوائية إلى مسيرة متنوعة لكنها مضبوطة بسنن معينة يدرسها المفكرون و علماء الاجتماع. وهو انتقال من الفوضى الإنسانية إلى التنظيم الاجتماعي القائم على أسس متينة تحيل الاعتباطية إلى نظام متكاملا مستغل لكل التغيرات في النمو البشرية المتجنسة أساسا في المجتمع. (ربط للتغير بالثبات).

---

1 – محمد عبد المولى الدقس، **التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق** ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع. عمان الأردن، 1989م، ص 13.

2– أحمد الخشاب، **التغير الاجتماعي**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1986م، ص 3-18.

ومن هنا كانت المسيرة الإنسانية عبر التاريخ تكريسا لمبدأ الحركة في نطاق وحدة النواميس الاجتماعية (لمن يؤمن بها) التي تؤطر حياة الناس من أجل ترقية الجنس البشري والمضي به قدما لا في مهب الريح بل كفاعل أساسي وبناء في التعاملات الإنسانية والتبادلات الاجتماعية لصنع التاريخ. فقد يكرر التاريخ نعم ولكن لا يكون ولا يتم بطريقة سلبية تلقى على عاتق الإنسان بلا اختيار إذ هناك مجال واسع ، والواقع شاهد على هذا منذ القديم ، للحرية الإنسانية الحضارية أي الهادفة إلى تشييد مجتمعا مؤسسا على قواعد صلبة تدعى قيما عالمية يحافظ عليها بقدر الإمكان لصياغة أسلوب حياة وخلق جو حضاري يكرم فيه الإنسان بصفته صانع قراره ومختار وجهته السياسية والاجتماعية بما فيها الاقتصادية طبعا وذلك لتشابك شتى الجوانب الإنسانية في بوتقة المجتمع ، ولتفصيل أكثر لدراسة التغير الاجتماعي سوف نتطرق إلى العناصر الآتية:

1 – مفهوم التغير الاجتماعي:

إذا كان البعض يرى أن التغير الاجتماعي يشير إلى (نمط من العلاقات الاجتماعية في وضع اجتماعي معين ، يظهر عليه التغير خلال فترة محددة من الزمن). فإن عالم الاجتماع الفرنسي "Guy Rocher " يرى أن التغير الاجتماعي هو الضرورة ظاهرة اجتماعية أي هو التغير الذي يبحث في البناء الاجتماعي في فترة زمنية ولكنه يميز في ذات الوقت بالاستمرارية النسبية. وعرفه جوزيف "ساميف Sumph " في قاموس علم الاجتماع بأنه (هو التغير الذي يحدث في البناء الاجتماعي لمجموعة ما تهدف إلى تنظيم نفسها ولو لمستوى محدود)[1].

أما سلفادور " Salvador G" وقد عرفه على أساس أن (أبعاد التغير الاجتماعي تتمثل في تلك التحولات البنيوية للمجتمع عبر التاريخ) ولكنه يرى إذا نظرنا إلى التغير الاجتماعي في سياقه التاريخي فإننا نجد أنفسنا أمام سباق يمكن أن نطلق عليه مفهوم التغير الاجتماعي ومن هنا يمكن لمفهوم التغير الاجتماعي أن ينطبق على مفهوم التطور الاجتماعي أي التغير التدريجي للمجتمع كما ينطبق أيضا على مفهوم الثورة أي التغيير السريع كما عرفه "ديفز kingsly davis "بأنه (هو الشمول الذي يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه و بنائه أو في وظائفه و هذا يعني أن التغير

---

1 – محمد السويدي، **بدو الطوارق بين الثبات و التغير . دراسة سوسيو أنتروبولوجية في التغيير الاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للمكتبات ، الجزائر ، ص 40.

الاجتماعي جزء من التغير الثقافي الذي هو أوسع نطاقا إذا تناول جميع التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة بما في ذالك الفنون و الفلسفة و التكنولوجيا كما تشمل صور و قوانين التغير الاجتماعي)[1].

و قد تعرض كل من " جيرث " "GERTH"و "ميلز""MILLES"إلى ماهية التغير الاجتماعي و يعتبران أنه هو التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم الأفراد بها و كل ما يطرأ على النظم الاجتماعية و قواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن ويشير "عاطف غيث" إلى التغيير الاجتماعي بأنه : (التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع و وظائف هذا البناء المتعددة و المختلفة). ويرى أن التغيرات الاجتماعية تأتي من ثلاث أشكال:

- التغير في القيم الاجتماعية .
- التغير في النظام الاجتماعي.
- التغير في مراكز الأشخاص.

و سوف نتعرض لها بالتفصيل في مفهوم التغيير البنائي.

و نلاحظ مما سبق أن المفكرين متفقين في النظرة العامة للتغيير الاجتماعي الذي هو (كل تغيير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف و القيم و الأدوار الاجتماعية خلال فترة محدودة من الزمن و قد يكون هذا التغير ايجابيا أي تقدما أو سلبيا أي تخلف أي ليس هناك اتجاه محدد التغيير).[2]

و يحتوي المجتمع على عمليات اجتماعية تحاول أن تقدم البناء و الحفاظ عليه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية و بعض من هذه العمليات تحاول تفسير شكل البناء و وظيفته من أجل مستقبل أفضل فالتغيير في بناء الأسرة يتبعه تغييرا في وظائف أعضائها.

و قبل التعرض بالتحليل لمفهوم التغيير البنائي يكون من الأنسب أولا تحديد مفهوم البناء الاجتماعي من وجهتي نظر الاجتماعية و الأنثربولوجية.

---

1 – نفسه، ص 41.

2 – محمد عبد المولي الدقسي، المرجع السابق، ص 18.

2 – مفهوم البناء الاجتماعي:

عرف كثيرا من علماء الاجتماع و الأنثروبولوجية البناء الاجتماعي تعاريف عديدة غير أن أشهر هذه التعاريف و أكثرها تداولا بين الباحثين من تعريف العلامة الإنجليزي "ايفانز بريتشارد . Evans-Pritchard" الذي حدد البناء الاجتماعي يأته : (نسق اجتماعي يتميز بدرجة معينة من الثبات و الاستقرار و يتألف من جماعات و زمرة العشائر و القبائل و الأمم و تقوم بتنظيم علاقات الأفراد التي تدخل في نطاقها يبعضهم مما يسمح بالتكييف الخارجي مع الطبيعة و التكيف الداخلي بين الأفراد و الجماعات و الملاحظة من هذا أن الباحث أكد على الجانب المورفولوجي للمجتمع فحدد البناء الاجتماعي بالجماعات التي يتكون منها المجتمع و على العلاقات الاجتماعية بين تلك الجامعات)[1]

أما الأثروبولوجي "راد كليف براون" "R.BROWN" فقد وافق على تعريف " Evans-Pritchard " موضحا بأن موضوع ثبات و استقرار البناء الاجتماعي لا يعني الجمود و عدم التغيير و إنما الاستقرار الدينامي الذي قد يتغير بدرجات متفاوتة و يشير كذالك إلى الجانب الايكولوجي للبناء الاجتماعي و في الوقت الحالي يصعب التأكيد بوجود مجتمع منعزل و لذلك يجب دراسة شبكة العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع داخليا وكذلك العلاقات التي تربط أفراد تلك المجتمعات الأخرى كما عرف" إيميليو " EMILIO-W البناء الاجتماعي في قاموس علم الاجتماع بأنه : "مجموع المراكز التي تربط بين أفراد و جماعات مجتمع ما كما يمثل المظهر السكوني للنظام الاجتماعي الذي يشمل جميع العلاقات الأساسية و التي نتقل عبر الأنماط بين أفراد الجماعة الواحدة و بين الطبقات الاجتماعية لنفس المجتمع و هي العلاقات التي تتضمن الواجبات و الحقوق المقررة اجتماعيا و التي تحدد مركز الفرد في مختلف الجماعات المتكامل فيها كما يحدد مراكز الجماعات في نفس المجتمع الواحد ".[2]

---

1 – محمد السويدي ، المرجع السابق، ص40.

2 – مربيعي السعيد، **التغيرات السكانية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 227.

- R.Roussi, **Population et société de Maghreb**.

و هكذا تحددت تعاريف علماء البناء الاجتماع و الإثتروبولوجيا للبناء الاجتماعي و إن كانوا قد اتفقوا حول المفهوم العام للبناء الاجتماعي على أساس أنه يتضمن فكرة الاستمرار و البقاء لفترات طويلة جدا من الزمن فقد اخلفوا من جهة أخرى حول تحديد العناصر التي يجب إدخالها في البناء أو بمعنى حول مكونات البناء الاجتماعي .

لكن الخاصية الرئيسية التي تميز الدراسات البنائية هي أنها لا تزال منحصرة هي الجماعات المحلية و الصغيرة سببا أي أن تركيز الدراسة على مثل هته الجماعات شرط أساسي لإتباع المدخل البنائي الذي يطلب تتبع العلاقات و النظم و الانسياق في تداخلها و تفاعلها مهما كان المستوى الحضاري لهذه الجماعات أو المجتمع المحلي .

أ – التغيير البنائي:

يقصد بالتغير البنائي ذالك النوع من التغيير الذي يؤدي إلى ظهور أدوار تنظيمات اجتماعية جديدة تختلف اختلافا نوعيا عن الأدوار و التنظيمات القائمة في المجتمع و يقتضي هذا النوع من التغيير حدوث تحول كبير في الظواهر و النظم و العلاقات الاجتماعية و قد عرفه "موريس جبزبرغ""GINSBERG" بأنه: "التغيير الذي يحدث في بناء المجتمع أو في حجمه و تركيب أجزائه و شكل تنظيمه الاجتماعي و عندما يحدث هذا التغيير في المجتمع بين أفراده في ممارسة أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يقومون بها خلال الفترات السابقة و إذا كان التغيير الاجتماعي يعني أساسا التغيير في البناء الاجتماعي" فيمكن تحديد التغيرات البنائية فيما يلي:[1]

ب – التغيير في القيم الاجتماعية :

ذالك أن أكثر التغيرات البنائية أهمية التغير في القيم التي تؤثر بدورها في مضمون الأدوار الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي و أحسن مثال على هذا مرحلة الانتقال من النمط الإقطاعي للمجتمع إلى النمط التجاري الصناعي لأن التغيرات هنا لا تحدث خلال فترة قصيرة من الزمن و إنما استغرقت أجيالا .

1 – زيدان عبد الباقي ، **علم الاجتماع الحضري و المدن المصرية** .مكتبة الأنجلومصرية، ص 58-59.

ج– تغير النظام :

أي التغير في الأبنية المحددة مثل صور التنظيم و الأدوار و مضمون الدور كالتغير من نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوج و الزوجة و من الملكية المطلقة إلى الديمقراطية.[1]

د – التغير في مراكز الأشخاص:

و قد يحدث التغير بواسطة أشخاص يقومون بأدوار في النسق الاجتماعي ذلك أنه من خلال فترة طويلة من الزمن تصبح مثل هذه التغيرات لا مفر منها لأن أفراد المجتمع لا يتقدمون في السن و يحالون على المعاش أو يتوفون ولعل أهمية مثل هذه التغيرات تختلف و مع ذلك فمن المهم إدراك أهمية الدور الذي يقوم به الأشخاص الذين يشغلون مراكز اجتماعية معينة لأنهم بحكم مراكزهم يستطيعون التأثير على الأحداث الجارية في المجتمع و بالتالي يتسببون في إحداث تغير بنائي.

لقد ميز الكثير من الاجتماعيين بين نوعين من التغيير الاجتماعي هما: "التغيير التنظيمي و التغيير البنائي" و في مقدمتهم "ريمون فيرث" الذي يرى بأن التغيير التنظيمي لا يؤدي إلى تغيير العلاقات الأساسية بين أعضاء المجتمع أو بين الجماعات و الزمر التي تدخل في تكوين البناء الاجتماعي و ذلك يعكس التغيير البنائي الذي يتطلب ضرورة حدوث تحول واسع و عميق في أنماط العلاقات السائدة في المجتمع فالتغيرات البنائية إذن تغيرات أعمق و أقوى و قد تؤدي إلى تغير العلاقات القرابية التقليدية التي كانت ترتكز على أساس العائلة الكبيرة . و ظهرت أنماط جديدة تتمثل في الأسرة النووية المستقلة اقتصاديا و إلى تغيير القيم التقليدية (الاجتماعية) مثل نظرة المجتمع إلى العمل البدوي و إلى أهمية الماشية و هكذا .[2]

3 – عوامل التغير الاجتماعي :

لا شك أن التغير ظاهرة تشمل جميع المجتمعات البسيطة منها و المعقدة المنعزلة منها و المنفتحة، بل و مهما بلغت ثقافة المجتمع من البساطة و تمسكه الشديد بطريقة حياته فإنه يتعرض للتغيير جيلا بعد جيل و ما ذلك إلا أن أعضائه ذائبون عن البحث عن أفكار و طرق جديدة

---

1 – أحمد الخشاب ، المرجع السابق، ص 3-18.

2 – محمد السويدي. المرجع السابق، ص 47. و كذلك: – زيدان عبد الباقي، المرجع السابق، ص 60.

يطبقونها في حياتهم فهذا يعني أنه ما من مجتمع يظل ساكنا أو جامدا و طبعا هذا راجع إلى العديد من العوامل التي تتدخل في هذه العملية و أهمها :

أ- العامل الايكولوجي:

يقصد بهذا العامل تفاعل الإنسان ببيئته الطبيعية و مدى ما توجد به من موارد أولية تشكل نشاطاته و خاصة في المراحل الأولى من حياة الجماعات البشرية و معنى ذالك أن التغير الذي يطرأ على البيئة الجغرافية و لو بصفة موسمية تنعكس أثاره على تحولات و تغيرات اجتماعية ، كما أن ما يطرأ على وسائل استغلال موارد هذه البيئة من تطور يجسد في إحداثيات و تغيرات في الحياة الاجتماعية و آلية ذلك أن حياة المجتمعات البدائية المتخلفة تتشكل بظروف البيئة الطبيعية، و هذا لا يعني بالضرورة إنكار دور الإنسان في إحداث التغيير عن طريق العمل الجماعي التعاوني المشترك، و إن كان هذا الدور يعتبر بمثابة تحوير جزئي بالنسبة لتلك المجتمعات في تلك المرحلة الحضارية حيث يكون في الحدود التي تسمح بها الظروف البيئية و يرتد هذا الاتجاه إلى علاقة ابن خلدون في القرن الرابع عشر حيث قرر في مقدمته أن للبيئة الجغرافية أثرها في اختلاف البشر جسميا و عقليا و نفسيا و خلقيا و إدراكيا ... و تطور هذا الاتجاه على يد "مونتسكيو" في فرنسا و قد بالغ في تقدير أثر هذا العامل [1].

و لذلك فإن العامل الإيكولوجي رغم أهميته في تفسير مقولته التغيير الاجتماعي إلا أنه ليس العامل الوحيد في صنع التغيير إذ لابد من وجود عوامل أخرى مهمة تعين على تفسير مقولة التغيير الاجتماعي.

ب – العامل الإيديولوجي :

تعتبر الإيديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب و وسائل هادفة، و تساندهم عادة تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية .. و من هنا ترتبط الأيديولوجية بالحركة الاجتماعية فهي ليست مجرد مجموعة من الأفكار و المعتقدات و الاتجاهات التي تصور جمعا معينا من الناس سواء كان هذا الجمع أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات الاجتماعية أو مذهبا من المذاهب أو مهنة من المهن أو حزبا من

1- أحمد الخشاب ، المرجع السابق، ص 59.

الأحزاب ... و إنما هي حركة فكرية هادفة لها فعالية ايجابية في البيئة الاجتماعية، و في العلاقات الاجتماعية و تنعكس روحها على التنشئة الاجتماعية مما تحدث تغييرا في القيم الاجتماعية المختلفة و في النظرة لطبيعة التدرجات الطبقية و العمليات الاجتماعية المختلفة، و أن انتشار مذاهب اجتماعية و تيارات فكرية متعددة أدى و يؤدي إلى ارتفاع تشريعات جديدة و تنميط لأساليب الحياة الاجتماعية و تقدير علاقة الفرد بغيره[1] و بالجماعات التي تعيش فيها و بالمؤسسات التي يتعامل معها و بالتالي يمكن تقدير علاقة الفرد بمجتمعه العام و من هنا يكون انبثاق الأفكار و الآراء المحركة من الوضعيات و الفئات الاجتماعية الصادرة عنها عاملا محركا لكثير من التغيرات في المجتمع [2].

جـ- العامل الثقافي و أثر الاتصالات الفكرية:

قد تختلف نظرة كل أمة للحياة عن نظرة غيرها من الأمم و لهذا كانت قيم الحياة تختلف من مجتمع لأخر و لما كانت القيم تتولد عن ثقافة المجتمع و نظرة أفراده للطبيعة الحياة التي يعيشونها لذا كانت القيم الاجتماعية عاملا من عوامل التغيير الاجتماعي. و يؤدي الانتشار الثقافي عن طريق تقديم وسائل الاتصال الفكرية إلى كثير من التغييرات في نظم المجتمع و أفكار أفراده مما ينعكس على البناء الاجتماعي في ذاته ... فانتشار فكرة الحرية و الديمقراطية في مجتمعات كثيرة ساعد على إيجاد تغيير شامل في حياة المجتمعات و نظمها السياسية و الاقتصادية و التعليمية .

و التاريخ حافل بالحركات الفكرية مثل حركة النهضة الأوروبية و فلسفة الثورة الفرنسية و ثورة 23 يوليو في المجتمع المصري التي أقامت دعائم تنظيم اجتماعي جديد يركز على المفاهيم الاشتراكية الديمقراطية التعاونية يتم على أساسه تغير جوهري في العلاقات الأساسية التي تقوم بين أفراد المجتمع كذلك فان الثقافة عامل للمنافسة الاجتماعية بما تخلفه من صراع فكري يقوم أساسا على تعارض أفكار الجماعات و الهيئات و المؤسسات المختلفة التي يتكون منها المجتمع .

لذلك فالتغيير الاجتماعي يفسر بموجب طبيعة التناقضات الكائنة في المجتمع.[3]

---

1 -"ذكر اسم المؤلف" السابق، ص 60.

2 - زيدان عبد الباقي، المرجع السابق، ص 62.

3- للمزيد من التفاصيل أنظر: - أحمد الخشاب، المرجع السابق، ص 63. و كذلك: - زيدان عبد الباقي، المرجع السابق، ص 65. و كذلك: - محمد عبد المولى الدقس، المرجع السابق، ص 25.

د – العامل التكنولوجي :

و نقصد به كل العوامل التي هي من ابتكار الإنسان للعمل على إشباع حاجاته المختلفة فاختراع أو اكتشاف أية وسيلة من وسائل الإشباع الجديدة لها أثرها الكبير على التغيير الاجتماعي و قد أدى مثلا اكتشاف البخار و الكهرباء إلى انتقال الصناعة من المجال اليدوي إلى المجال الآلي الذي يقوم على التخصص و تقسيم العمل من اجل زيادة الإنتاج و قد استلزم العمل الآلي تجمع العمال و تكاثفهم في الأماكن الصناعية مما أدى إلى قيام الصراع بين العمال و أصحاب رؤوس الأموال و كان من نتائجه ظهور المبادئ الاشتراكية في الإنتاج التي أدت بدورها إلى تغييرات كثيرة بالنسبة لقوانين العمل كما أدى و يؤدي التقدم التكنولوجي إلى هجرة بعض الظواهر الاجتماعية و انتقالها من مجتمع لأخر اثر تقدم وسائل الإعلام المختلفة و منها ما يتعلق باللغات و الديانات و النظم السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية المختلفة مما كان له أثره في كثير من التغييرات في المجتمعات الإنسانية و التقدم التكنولوجي له أثاره على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية و تنظيم المجتمع و تطور القانون و هكذا فان التأثير التكنولوجي يتابع مؤديا إلى أثار مصاحبة أو مشتقة على هيئة سلسلة مترابطة الحلقات[1] و القائمين بالعامل التكنولوجي في التغيير يرون إن التكنولوجيا هي أول ما يتغير و إن اللامايات لا تزامن الماديات في تغيرها مما ينتج بالتالي ما يسمى بالقوة الثقافية.

1- محمد عبد المولى الدقس، **التغيير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق**، عمان، دار المجدلاوية، 1986 م، ص 121.

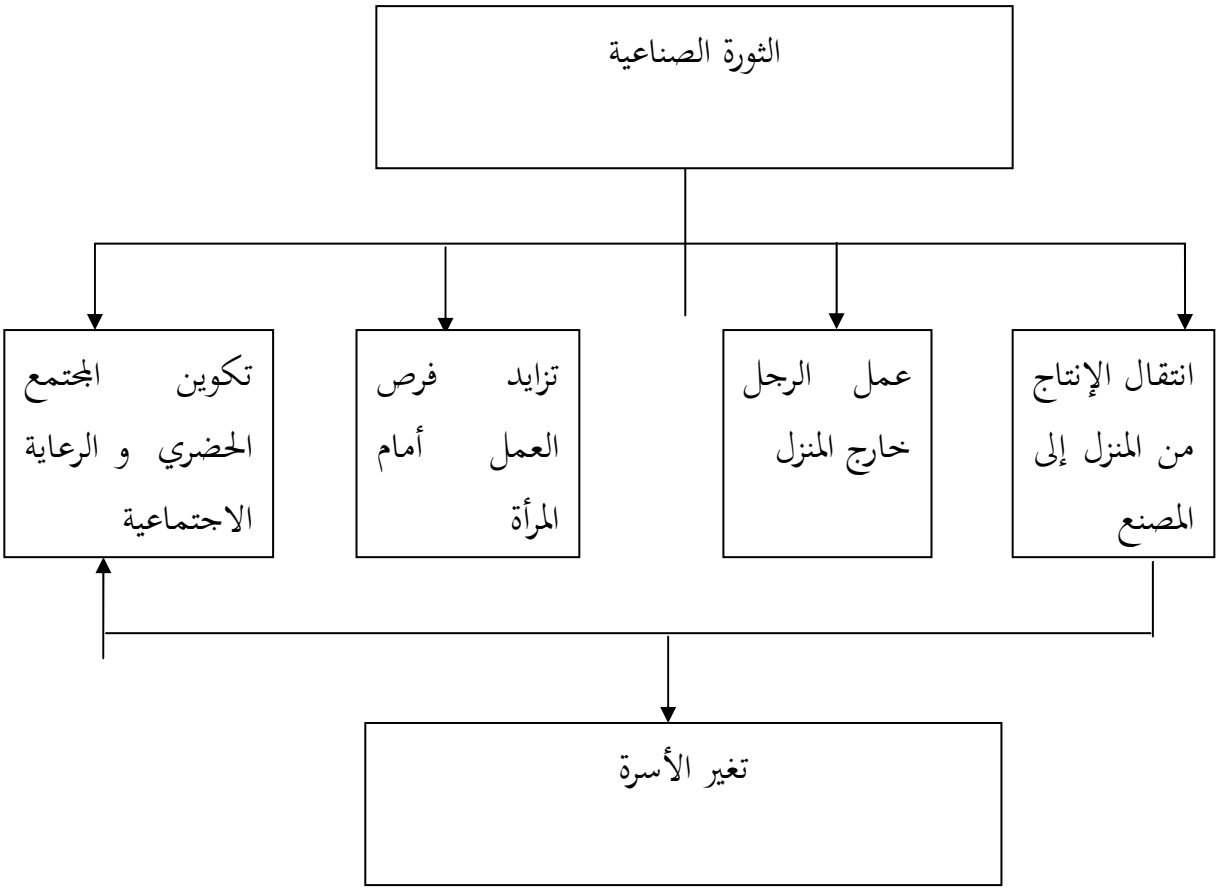

(الحد من سلطة الرجل ..... المساواة بين الجنسين)[1]

4 – جوانب التغيير الاجتماعي :

التغير في ذاته ظاهرة اجتماعية و طبيعية تخضع لكل مظاهر الكون الاجتماعية و الطبيعية وان كانت أكثر وضوحا في البيئة الاجتماعية التي تتميز بالتفاعل الدائم ومن ثم بالتغير المستمر و المتعدد الجوانب وقد نتعرض لبعض هذه الجوانب وذلك للتوضيح أكثر.

أ – الأسرة :

تعتبر الأسرة الوعاء الأول الذي يشكل حياة الفرد و يتناوله بالتربية بما فيها من علاقات وأنماط ثقافية تعبر عن الثقافة الأم كأساليب الزواج و العلاقات الزوجية و مركز الرجل و المرأة و علاقة الآباء بالأبناء ووسائل الكسب ومعنى التماسك العائلي و المسؤولية الاجتماعية .التي يتعرض لها الفرد منذ

1 – محمد عبد المولى الدقس، المرجع السابق، ص 122.

ميلاده إلى عدد كبير من السنين و غير ذلك من الاتجاهات السلوكية و الممارسة الاجتماعية و تتمثل الوظيفة التربوية للأسرة في ناحيتين أساسيتين :

إنها أداة لنقل الثقافة و الإطار الثقافي إلى الطفل ومن طريقها يعرف ثقافة عصره وبيئته على السواء و يعرف الأنماط العامة السائدة في ثقافته كأنواع الاتصال من إشارات و لغة و طرق تحقيق الرعاية الجسمانية ووسائل و أساليب الانتقال و تبادل السلع[1] و الخدمات ونوع الملكية و معناها ووظيفتها و الأنماط الأسرية و الجنسية من زواج وطلاق وقربى ووصاية و معايير و قوانين وقيم اجتماعية و أنشطة ترويجية و أفكار و مراسيم دينية و عقائدية و اتجاهات اجتماعية كالتعاون و التنافس و التحيز و التعصب و التسامح.

إنها تختار من الطبيعة و الثقافة ما تراه هاما تقوم بتفسيره و تقويمه و إصدار الأحكام عليه مما يؤثر على اتجاهات أفرادها و معنى هذا أنهم ينظرون إلى الميراث الثقافي من وجهة نظر السرقة فيتعلمون منها الرموز و اللغة الشائعة و يشاركون فيها المشاعر العامة ثم إن اختيارهم و تقويمهم للأشياء يتأثر بنوع اختيار أسرتهم و تقويمهم لها هذا ، إلا أنهم يتأثرون بنوع الآمال التي تضعها الأسرة لمستقبلها و مستقبل أعضائها بل أنه كثيرا ما يفرض أمالها و مثلها العليا على أطفالها و كثيرا ما يكون هذا الفرض مصحوبا بانفعالات أكثر مما يوجد في واقع الثقافة [2].

و الأسرة تنقل ميراثها الثقافي بطريقتها الخاصة بل إنها تطبع الثقافة عند نقلها إلى أفرادها بصورتها الخاصة التي تراها بها و بالكيفية التي تريد أن تراها بها . و تتجه عملية الاختيار و التقويم هذه من جانب الأسرة تتكون معاني الأفراد و فهمهم، فكل ثقافة فيها الفرد لها معاييرها و آدابها الشعبية و أنواع ثوابها و عقابها، غير أن هذا كله يتأثر بطريقة معالجة الأسرة لها و بالأسلوب الذي تنقله به إلى أفرادها، و من هنا يكون نمو شخصيتهم سلسة من أنواع الاختيار و تكون القيم التي ينشرونها متأثرة بنظرة الأسرة إليها و بتعبيرها عنها [3] و مطالبها الضرورية بواسطة التعاون و التضامن الجماعي في الإنتاج و الاستهلاك فإن الصورة تنقلب في الوسط الحضري ذلك أن كل أسرة زوجية

---

1 – محمد مصطفى زيدان، **علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1986 م، ص 110.

2 – نفسه، ص 111.

3 – محمد مصطفى زيدان، المرجع السابق، ص 111.

مستقلة اقتصاديا عن بقية أفراد القرابة من أخوة الدين وأعمام، و من ثم فهي تؤمن معاشها اعتمادا على دخلها الشهري المتمثل في مرتب رب الأسرة العامل

و معنى هذا أن تحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد إلى نظام النووي لم يكن يبرز بشكل واضح و سريع إلا بعد أن غادرت الأسرة مسكنها و حياتها القديمة إلى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي أو من نموذج اجتماعي و اقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة و يعتمد على الإنتاج الزراعي و الحيواني إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي و التجاري ، و تحكمه العمل المأجور في الزمان و المكان ، و تشير بعض الدراسات أنه تبعا لهذه الحركة في المكان من الريف إلى الحضر بدأت الأسرة الجزائرية تفقد شكلها كأسرة ممتدة (يصل عدد أفرادها إلى أكثر من أربعين فردا) لتتجه نحو شكل الأسرة الزوجية النووية مع ملاحظة أن هذا الشكل الجديد الذي بدأت تتسم به المراكز الحضرية بالذات يتميز من جهة أخرى بكثرة الإنجاب إذ يتراوح معدل أفراد الأسرة الزوجية الجزائرية بين 5 و 7 أفراد مع بقائها أيضا محتفظة في كثير من الأحيان بوظائف الأسرة الممتدة و من ثمة يمكن القول أته بعد الاستقلال بدأت تتشكل بوضوح أسرة جزائرية تجمع بين خصائص[1] الأسرة الحضرية و وظائف الأسرة الريفية و هذا على مستوى الجيل الأول و الثاني من المنتقلين أما الجيل الثالث ففي الغالب يتجه نحو شكل الأسرة الحضرية الزوجية .

فالأسرة الجزائرية المعاصرة (الحضرية) تتميز بتقلص حجمها من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النووي فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة أصبحت اليوم تتسم بصغر الحجم ، فالريف الجزائري الذي كان يمثل طابع الحياة الاجتماعية القائم على الاقتصاد الزراعي و تربية الماشية في مقابل المركز الحضري المحدودة العدد و السكان أصبح اليوم يتجه نحو الانكماش. كما سبق أن ذكرنا في مقابل النمو السريع للمراكز الحضرية بل و يتوقع الديمغرافيون أنه قبل سنة 2000م سوف يتقلب الميزان الديموغرافي في الجزائر إذ سيرتفع معدل السكان الحضريين عنه في الريف[2].

و إذا كانت الأسرة الجزائرية في النطاق الريفي تتحكم في إمكانية توسيع أو تغيير المسكن كلما تزايد أعضاؤها فإن هذه الإمكانية أصبحت في الوسط الجديد (المدينة)صعبة أو مستحيلة.

---

1 – نفسه ص 89.

2 – محمد السويدي، المرجع السابق، ص 89.

أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي في المراكز الحضرية فيمثل انقلابا بالنسبة للنشاط الاقتصادي في الوسط الريفي فإذ كان النظام الاقتصادي القائم على الزراعة في الريف يساعد على بقاء و استمرار نظام الأسرة الممتدة و ذلك من خلال تأمين معاشها.[1]

ب – المسكن:

إن للمسكن تأثيرا مباشرا في حياة الفرد من كافة الجوانب فيمكنه أن يؤثر على صحته وفي قدرته على السعي و الكسب و يؤثر كذالك في علاقته الاجتماعية و إمكاناته المادية و المالية و كذالك في معنوياته بالإضافة إلى كونه يؤثر في المجتمع الذي يعيش فيه[2] و عليه نجد مشكلة السكن اليوم قائمة على الإصلاح في جميع الدول المتقدمة و النامية ففي إنجلترا مثلا صدر أكثر من تشريع يعالج مشكلة السكن بقصد توفير المسكن الصحي الرخيص للطبقات الكادحة و الفقيرة و في سنة 1909 صدر قانون يلزم الهيئات المحلية ببناء المساكن كلما ثبت قصور المحتاجين للمسكن و أصبح من المسلم به في كافة الدول اليوم أن الدولة هي المسؤولية عن حماية الطبقات العاملة من الشعب عن طريق توفير المساكن لها لحمايتها من الأخطار الصحية و الأخلاقية و العمل على رفع مستوى إنتاجهم و معاشهم الاجتماعي[3] و انطلاقا من تلك المسلمة أخذت الجزائر على عاتقها توفر المساكن الصحية و من ثمة جاءت مخططاتها في التنمية . فقد غدت قضية المكان الحضري واحدة من القضايا المحورية التي تشغل عالم الاجتماع و المخطط الحضري و مسؤول التنفيذ على حد سواء ذلك أن الهدف من توفير الإسكان لا ينحصر في مجرد إقامة أو تشييد مباني صماء في المدن ، لكن ارتباط هذه القضية بالحجات الاجتماعية التي ينبغي أن يتبعها المجتمع جعلها تأتي في مقدمة الجوانب التي يجب أن يبذل فيها الجهد و تصمم الخطط و أبعد من ذلك فإنه [4] و في بعض الحالات ينظر إلى إشباع هذا الجانب على المستوى المحلي. فالمسكن يلعب دورا اجتماعيا أساسيا في الحياة الحضرية خاصة ذلك إنه إطار للعلاقات الأسرية و مجالا للتنشئة الاجتماعية كما أنه وحدة أساسية في إطار

---

1 – نفسه، ص 85.

2 عبد السلام حبيب ، **الخدمة الاجتماعية العمالية**، مكتبة النهضة المصرية، ص 310.

3 – نفسه، ص 312.

4 – عبد الهادي محمد والي، **– التخطيط الحضري – تحليل نظري و ملاحظات واقعية** ، دار المعرفة الجامعية، 1981م، ص 66.

مجتمع الجيرة و من هنا فالمسكن الملائم عنصر جذب لأفراد الأسرة و جماعات الجوار بينهما ،يدفع المسكن غير الملائم بأفراد لإشباع حاجاتهم بعيدا عنه و قد تترتب على ذلك مشكلات يصعب مواجهتها [1] و من خلال هذا سيجد الفرد نفسه حتما متأثرا و لو قليلا بظروف السكن التي تسود في المجتمع المأخوذ بعين الاعتبار ... و على أي حال فإن الوسط يحدد بدون شك و إلى حد كبير علاقات متباينة مع ظروف السكن فعلم الاجتماع الخاص بالسكن مثل النفسانية الاجتماعية أو نفسانية السلوك ستساعد كلها بفضل توضيحات علم النفس و علم الاجتماع المتعلق بالإجرام على تحديد عوامل تشجيع و تزايد الجنح و الأمراض الاجتماعية الأخرى و كذا تحديد صلاحيتها و من المؤكد جدا أن الظروف الحسنة أو السيئة. في المسكن قد تشكل حسب الأحوال عناصر ملائمة بالنسبة للوسط الذي يتحرك فيه..... و كما هو معروف قد يخفي المفهومان 'المسكن' و 'العائلة' تشابها قويا و حقائق متقاربة إلى درجة أنهما في العائلة يستعملان على السواء على الأقل في الحضر على الأقل الجزائري الذي قد يتبع فيه اسم العائلة عبارة 'عائلة' مثلما يتبع عبارة 'دار أو مسكن' فالدار تعطي تقريبا بدقة بيانا عن الوضعية العائلية و بهذا فإن التكوين العائلي و تماسكه و حجمه و نقله أو حله لكن ذلك يستوقف وإلى درجة أساسية على وسائل السكن المتوفر عليها العائلة. [2]

– وظائف المسكن:

إن نوع السكن و شكله و الوظائف التي يقدمها هي صوره تعكس تفاعل الإنسان مع بيئته وتفسر حاجات الإنسان الخاصة بالحياة و توضح العوامل الطبيعية والنفسية التي يستجيب لها فللواقع البشري أثر كبير في تحديد التطلعات وفي ظهور حاجات جديدة وتغيير سلم القيم فقد اختلفت وجهات النظر وتعددت الآراء وتنوعت بؤر الاهتمام حول دراسة موضوع المسكن و مدى توفره للفرد وكيفيه توافره ومن الذين لفت انتباههم "ROBERT LEROUX" حيث يوضح في دراسته الايكولوجية أن المسكن يستجيب إلى ثلاثة وظائف:

يقي الفرد من العواصف والإمطار والثلج و الشمس.

يحافظ على الفرد من العدوان الخارجي.

---

1 – عبد الهادي محمد والي، المرجع السابق، ص 66.

2 – نفسه، ص 193.

يحافظ على الأشياء السرية للفرد. [1]

أما "JACQUELINE PALMA " تبين في دراستها حول المسكن انه يلبي أربع وظائف أساسية هي:

– المسكن يحمي الفرد:

وتفسر ذلك في القول التالي: "لا يراني احد إلا في الحالة التي أريد فيها ذلك" ويجب أن يفسح المجال بضرورة الاتصال مع الغير ويجب أن يقدم إمكانية اللامبالاة وعدم الاهتمام بالغير.

وظيفة الحفظ:

لان في وسط المجال الذي تعيش فيه العائلة أي أنه يجب أن يوفر لكل فرد من أعضاء العائلة الاستقلال. [2]

– وظائف لضمانات اجتماعية:

أي يجب أن يوفر المسكن مجالا الخاصة بالأطفال ويوفر مكانا للتركيز النفسي والاستهلاك العاطفي ويجب أن يوفر أيضا مجالا يسمح لكل فرد القيام بدوره.

– وظائف الاستقبال:

للحياة الاجتماعية – التنظيم الحر للمجالات – وظيفة الحفاظ على الأشياء القديمة و إمكانية دمج وسائل الحماية العصرية [3] ويرى "PIERRE GEORGE ""بيار جورج" أن المسكن لا يقدم الوظيفة العضوية فقط هل يعتبر عنصر أساسيا في بين الفرد و الأسرة و الوسط الاجتماعي الذي يعتبر في نفس الوقت وسطا ثقافيا و حضريا. ويربط الصلة اليومية بالإطار

1- Robert Leroux , **Ecologie humaine** , Science de l'habitait ED Eyroues, 1963, p 23.

2- Jacqueline Palmade, **Problème de logements approche psychosociologique** , **L'économie et les sciences humaines**, dumir Paris 1967 , p 185.

3- Jacqueline Palmade, Op.cit., p 210.

التاريخي و الجمالي و الوظيفي [1] و تذهب "ELIZABETH WOOD" إلى أن المسكن الجيد يسمح للعائلة إن تحقق وتصون الشرف وعزه النفس وتلبي جميع الأعمال اليومية. [2]

كما يفسر مجموعة من العلماء "جوزيف شونغ" و "دومنيك أشور" في كتاب "الاقتصاد الحضري" إن المسكن حاجة ضرورية يتكون من الخرسانة و الحديد والخشب ويلبي مجموعه من المصالح النجدة الراحة والرفاهية للفرد.[3]

وفي بحث حول التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية ترى "سارة منيمنة" أن المسكن يحمي الإنسان من غضب الطبيعة وهو الساتر من عيون المتطفلين كما انه مقدس وعلى هذا الأساس قالوا أن: (دار الرجل جنة في الدنيا) و قالوا:"(ينبغي للدار أن تكون أول يبتاع و أخر ما يباع) ويعرف المنجد الفرنسي "LE PETIT ROBERT" أن المسكن هو نمط تنظيمي للجماهير بني من قبل الإنسان في الوسط الذي يعيش فيه وفي هذا الإطار توصل فريق الأخر من الباحثين إلى إن الإسكان هو المجال المنظم والمسكون بالمجتمعات الإنسانية لتنميه إنتاجهم المادي و الثقافي و الذي يبني في حدود الإمكان وله ثلاث وظائف:

ج – الإنتاجية في مجال العمال مجال الحياة:

وبما أن حياه الفرد مندمجة في الحياة الاجتماعية[4] والجماعية تنمو وتتطور بطريقة دائمة وبالضرورة يجد الإنسان نفسه في عالمه الخاص (السكن) وفي الوسط الاجتماعي الخارجي الذي يؤثر بدون انقطاع في تغيير المجال الحضري ولهذا حسب "دوكيسمادسي" تدرس صوره استعداد الفرد من خلال ثلاثة المؤشرات أساسية :

– من خلال الإطار المعيشي والثقافي و من خلال شخصية الفرد والمجتمع.

– من خلال التهيئة للتمتع بالحياة الخاصة.

---

1 - Bemata Farouk, s'habitat de la terres mont le cos de l'Algérie, SNED, 1980, p 18.

2- Josèphe. H. **Dominique Achour** ,1981, p 73,

3- IBID, p 74.

4 - Doxiadis .CAS, **talutât en transition**, ed casleman, 1985, p 215.

– من خلال العلاقات الشخصية مشاركة السكان في اتخاذ القرار.[1]

ومن هذه التعاريف نستنتج أن المسكن هو المكان الذي يلجا إليه الإنسان للراحة من عناء اليوم كله ولحماية نفسه أثناء راحته و نومه من الحيوانات المفترسة و الكائنات الحية الضارة. فمن كان يعيش على الزراعة استخدام فروع الأشجار ليصبح مأوى له واستخدم كذلك الطبق لنفس الغرض ومن كان يعيش على الصيد اتخذ لنفسه من الكهوف الصخرية مسكنا له ومن يشتعل راعي الغنم و الإبل حيث من الكهوف و الأشجار صنع مأواه من جلود الحيوانات و غزل الصوف.

هذه الطرق الثلاثة التي تفكر فيها الإنسان الأول في صنع مأواه وبعد هذه المرحلة بدأ يعطي لمسكنه ما يحوله من عناصر زخرفية ثم تطورت هذه المساكن على مر العصور وتقدم في العمارة في إيجاد مسكن لا مأوى فقط ولكن لإمداد جميع أفراد الأسرة للاحتياجات الأساسية كالمأوى والغذاء والصحة والنظافة والاستقلال وتوفير الخدمات المختلفة كما يوفر لنا المسكن القيام بأوجه النشاطات الضرورية وهي الطهي والغسل والتخزين وتناول الطعام والملبس والحمام والنور كما يمدنا بضرورات الحياة اليومية كالقراءة والكتابة و استقبال الأصدقاء و تنميه الهوايات المختلفة لإفراد الأسرة.

د– النمط السكني:

منذ زمن بعيد و الإنسان و يستخدم كل مجهوداته لحماية حياته المرتبطة بالأرض لأنها توفر له الغذاء واللباس والماء والمسكن ويقضي فيها كل أوقات فراغه وقد لعبت دورا هاما من حيث استعمال الطين و الحجارة و الخشب في البناء. وعبر التاريخ الإنساني كان كفاح الأفراد والجماعات و القبائل والشعوب مستمرا من اجل الدفاع عن الأرض والحفاظ عليها بطريقة الحروب هذه والفتوحات وامتلاك الأرض بالقوة، نجم عنها عند توزيع المجال التي كان بدون أي عدل اجتماعي هذا التفاوت في امتلاك المكان أوضح بصوره جلية من الأصناف البشرية الأولى مدي أهمية الأرض والماء والمسكن عند الإنسان .

في عصرنا هذا رغم استخدام الإنسان للصناعة والتكنولوجيا في شتى مجالات الحياة . لازال عدد كبير من البشر يبحثون عن ملاجئ لحماية أنفسهم من الأمراض الجسدية و المشاكل النفسية

---

1 – IBid, p 126.

الاجتماعية. و لقد عرفت اليوم الكثير من مدن العالم نموا حضاريا واسعا من حيث الزيادة الديموغرافية المرتفعة و الهجرة الكثيفة نحوها [1] قبل التطرق إلى شرح هذه النقاط بصورة دقيقه لابد من تحديد مفهوم نمط المسكن باعتبار هذا المصطلح يسرد ضمن هذه الدراسة و ستبنى عليه مجموعة من المعطيات العلمية. و نظرا لقدرة المصادر المفسرة لمفهوم نمط المسكن رغم استخدامها لهذا اللفظ وقد عمدنا الى تحديد مجموعة من الأنماط السكنية وذلك انطلاقا من أشكالها و مضامينها:

– من حيث الشكل:

فان المساكن تختلف من حيث المظهر الخارجي أي أنها ليست متجانسة لا من حيث الشكل الهندسي ولا من حيث مادة البناء وكذلك الحال بالنسبة للسقف وشكله الخارجي.

– من حيث المضمون:

فان المساكن أيضا تختلف من حيث التقسيمات الداخلية فهناك مسكن يتكون من غرفه واحدة ومسكن الأخر يتكون من عده غرف كما أن الغرف في حد ذاتها تختلف من حيث الحجم من مسكن لأخر.

– من حيث المجال الخارجي:

هنالك مساكن تقع في مجال مفتوح والبعض الأخر منها يقع ضمن مجال مغلق و نوع أخر يشرف على منطقة خضراء إلى غير ذلك وفي ضوء ما سبق ذكره تم تنميط المساكن إلى مجموعة من الأنماط.[2]

– النمط الجماعي:

وهي العمارات التي تتكون من مجموعه من الطوابق و قد تصل إلى 10 طوابق أو أكثر . ويشترك سكانها في مدخل واحد وفي مجال الخارجي واحد كما إن مساكنها متجانسة من حيث التقسيم الداخلي إلا من حيث الحجم فإنها تختلف من حيث عدد الغرف.

1- بوهروم محمد، **العمران في مدينة جيجل**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية – جامعة قسنطينة- 1986م، ص 106-107.

2 - الصادق مزهور، **أزمة السكن بمدينة قسنطينة**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية، 2 ديسمبر، 1986، ص 39.

– النمط الأوربي :

وقد ارتبط هذا النمط بالاستيطان الأوروبي الأول حيث شاهدت مجموعة من المساكن تغيير بأشكالها الخارجية [1] المزخرفة وجدرانها السميكة و سقوفها المغطاة بالقرميد الأحمر كما تحتوي على مجموعة من الأبواب وفي معظم الأحيان تتكون من طابقين أو أربعة طوابق كما تتميز تقسيماتها الداخلية باتساع غرفها.

– نمط الفيلات:

وهي المساكن الفخمة التي يتفنن البناؤون في أشكالها الخارجية وهي غالبا ما تحيط بها منطقة خضراء أو حديقة وقد تسكنها أسره واحدة أو مجموعة من الأسر تنتمي إلى عائلة واحدة وهو أفخم نمط وقد ارتبط هذا النمط بالطبقة الارستقراطية من المحتلين الأوائل وقد استمر هذا النمط بنفس المنوال.

– نمط السكن الفردي :

وهو عبارة عن مساكن فردية تجمع بين الطابع القديم والحديث من حيث الشكل الخارجي سقفها عبارة عن طالة و تكلفتها بسيطة وهذا النمط يجمع بين الطراز العربي القديم و التطور الحديث.

– نمط المحتشدات:

وهي عبارة عن بيوت متواضعة جدا تتفق لها في أشكالها الخارجية وتقسيماتها الداخلية وقد ارتبط اسمها بظروف تاريخية معينة وفي السنوات الأخيرة من الحرب التحريرية الكبرى لجأ الاستعمار إلى فرض سياسة الأمر الواقع على السكان حيث لجأ إلى حشد السكان في محتشدات بنيت خصيصا لهذا الغرض وذلك بهدف فرض العزلة عليهم و عدم تقديم المساعدات للمقاتلين ، وهذه المساكن لا تعدو إن تكون أكثر من ملاجئ لأنها تفتقر إلى ابسط الشروط الضرورية للمسكن. [2]

---

1 – نفسه، ص 40.

2– الصادق مزهور، المرجع السابق، ص 40.

(61)

- الأنماط السكنية -

السكن الجاهز

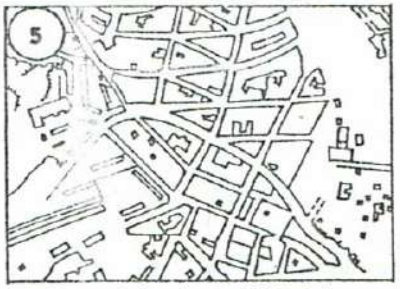

نمط السكن الفردي

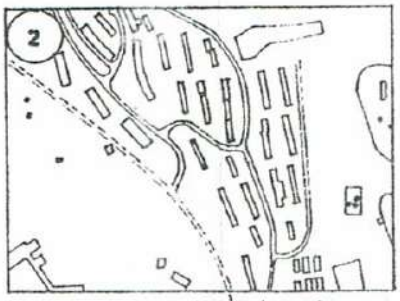

النمط الجماعي

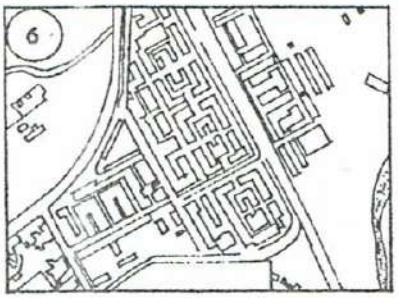

نمط المشتملات

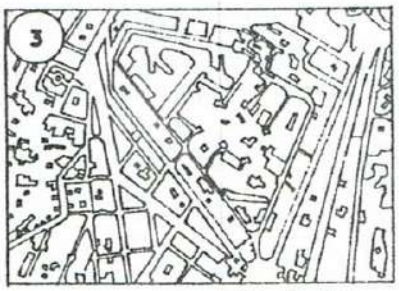

النمط الأوروبي

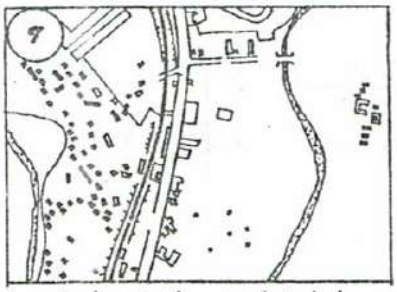

نمط السكن الفوضوي الصلب

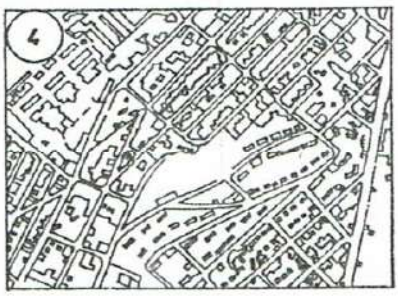

نمط الفيلات

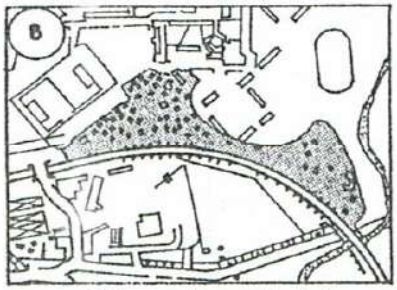

نمط الأكواخ القصديرية

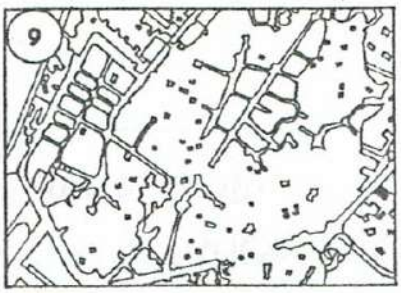

النمط التقليدي

– نمط السكن الفوضوي :

و قد عرفه "GEORGE PIERRE" بقوله "إن هذا الاسم أي السكن الفوضوي قد استعمله الباحثون الفرنسيون لتميز السكن الفوضوي في المدن الكبرى التي وجدت نتيجة لتكدس السكان في المدن الكبرى التابعة للبلدان الأقل نموا. هؤلاء السكان ليست لهم موارد رزق جاؤوا من النواحي واحتلوا مجالا لا يستهان به من المدينة و غالبا ما يكون هذا المجال عبارة عن مناطق معرضة للفيضانات أو إنها عبارة عن منحدرات".

وقد بنيت هذه المباني بمواد تحصلوا عليها مجانا من أماكن القمامة أو الموانئ أو أماكن التخزين وهي عبارة عن صفائح من القصدير أو القش وتفتقر تماما إلى ابسط الشروط الصحية كما تعكس صورة حقيقية عن فقر المشاكل الريفية التي جاؤوا منها.[1]

أما "GERARED BLANCHERE" فيتطرق إلى تعريف السكن الفوضوي بقوله: " بان الفرنسيون قد عرفوا السكن الفوضوي في شمال إفريقيا لان معظم المدن الكبرى في هذا الشمال محاطة بأحزمة من السكن الفوضوي وانه ظاهرة تتميز بها شمال إفريقيا وان هذا النوع من السكن وجد نتيجة لعينات الدخل الفردي الكافي و أن الاستثمارات قد سخرت لقطاعات الأخرى على حساب السكن[2] و مهما تعددت تعاريف السكن الفوضوي فالمهم هو هذا النوع يعد أسوأ نمط عرفه الإنسان في هذا القرن ناهيك عن أثاره الاجتماعية و الصحية كانتشار الأوبئة و قله الوعي إلى غير ذالك من الآثار السلبية. أما فيما يخص موضوع الدراسة التي نحن بصدد القيام بها فهو يتركز على السكن الجماعي و الذي سنتطرق لتوضيحه.

– السكن الجماعي :

فقد نشاه فكره السكن الجماعي بعد الحرب العالمية الأولى للتغلب على أزمة السكن والإسكان التي عرفتها الدول الأوروبية عموما نتيجة الخراب الذي حدث في قطاع الإسكان. وبعد الحرب العالمية الثانية زادت هذه الدول في إنتاج هذا النمط من الإسكان نتيجة للفوائد الاقتصادية

---

1 - Amiroch Fouzia, **une ville dans la ville (sidi Mabrouk à trouver l'habitat les achirites et la population**), thèse de 3eme cycle juin 1983, montpeterk p 82

2- Gerard. blavchre ,**vers une usbimsnac vais onné**, Paris, 1968, p 172.

التي يقدمها و المردود المرتفع بالمقارنة مع السكن الفردي . ويوفر هذا النوع من البناء أراضي كثيرة تستغل كفضاءات خضراء وتسهل لتمركز عدد كبير من السكان حول المناطق الصناعية و التجارية الكبرى ولا يستغل الأرضي الزراعية . ويعرف هذا النمط من الإسكان على انه تجميع لعدة مساكن تبنى في عمارات ذات أربع أو خمسة طوابق في الارتفاع وهي ذات شكل مربع أو مستطيل أو دائري بحيث يستعمل سكان هذه العمارات الفضاءات جماعيا ، و برز هذا النمط من الإسكان في الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي في الخمسينيات وقد أنجز المستعمر بعض الأحياء لتجميع سكان الريف في المناطق الحضرية من اجل مراقبة الثوار والحد من الثورة . وبعد الاستقلال مباشرة وبهدف الحد من توسع الأحياء القصديرية انتهجت الجزائر سياسة البناء في الارتفاع و نظرا لعدم وجود إطارات جزائرية مختصة في بناء العمارة أسندت معظم المشاريع الإسكانية إلى شركات أجنبية ودرست هذه المشاريع إلا من ناحية الاقتصادية بهدف جلب الأرباح الكثيرة وتوفير اكبر وقت ممكن مهملين بذلك الجانب الاجتماعي والثقافي.[1]

5 – التكيف الاجتماعي كعملية للتغيير الاجتماعي:

تتطلب ظاهرة التغيير الاجتماعي من أفراد المجتمع أن يكيفوا سلوكهم في مواجهة ما يطرأ على المجتمع من تغيرات و لقد ظهر لنا فيما سبق أن الإخفاق في عمليه التكييف يؤدى إلى بعض المظاهر الانحلالية و ظهور كثير من المشكلات المختلفة. فمثلا لقد كان من اثر المدينة على الفرد أنها قوت من اثر البيئة الاجتماعية وأضعفت من اثر الطبيعة في حياه الفرد إذ نقلته من الريف إلى المدن ، أي نقلته من الحقول إلى المصانع ... وكان من أثار المدينة أنها خلقت له مشاكل في بيئته الحضرية الجديدة تتعلق بمدى توافقه أي تكيفه وانسجامه معها. ومن هنا كانت عملية التكيف الاجتماعي من العمليات الهامة التي يتم عن طريقها الملائمة بين الإرادات القديمة المتصارعة و الموافقة بين الهيئات والجماعات المتعارضة في مصالحها الطائفية أو المهنية أو الجماعية بصفة عامة والمؤلفة بين موجات اجتماعية متباينة أو عادات و تقاليد قديمة مستحدثة داخل الإطار الاجتماعي

1- عبد الحميد دليمي، المرجع السابق، ص 145.

والمطاوعة الفردية والجماعية لمظاهر البيئة الاجتماعية و أوضاعها السياسية والاقتصادية و نماذجها الثقافية والحضارية و نظمها التربوية ومعاييرها الخلقية والفنية و الذوقية.[1]

وترتكز عملية التكييف على وجود حد ادني عن التشابه بين الظروف البيئية الاجتماعية التي تواجه جميع أفراد الجماعة . بحيث يستطيعون القيام بفعاليات مختلفة ولكن بحد أدنى في التصادم والمقاومة ويتضمن التكيف تبادلات في العادات والتقاليد والمواقف والنماذج الثقافية المتصلة بها والتي تنتقل و سنرى نتيجة التعلم والتجربة[2] الاجتماعية ولذلك تعد الأنماط و النماذج الثقافية نتيجة لازمة عملية التوافق والتكيف التي تقوم بها الأفراد بنمو محيطهم الاجتماعي أو بيئتهم عامة .

وينطوي التكيف كذلك على الطبيعة دينامكية ذلك لان كل توافق يعتبر وقتيا ونسبيا في المستوى الاجتماعي الذي يتحقق فيه التوازن الاجتماعي بين القوات والعوامل المتنافرة بل إن التوازن الاجتماعي ينطوي في جوهره على مجموعة من التكليفات المؤقتة فحين يتم التوازن يعد عمليه من التوازن المؤقتة سرعان ما يختل التنظيم الاجتماعي فيتطلب الأمر حينذاك إحلال أنواع جديدة من التكييف ليتحول دون حدوث مصادمات أو منازعات أو ثورات اجتماعية عنيفة ولذلك فمن الضروري أن يدرك المسؤول عن الاستقرار الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات أهمية احتمال توقع حدوث منازعات في محيط المنظمات والهيئات والجماعات و الفئات نتيجة لعمليات الملائمة والتوافق و التكليفات المؤقتة ومن ثم فلابد من أن يمهد الزعماء والقادة السبيل لقبول مجتمعهم لأساليب الجديدة لتكيف والتوافق بين التبادلات الاجتماعية الكامنة في ما وراء المنازعات المتوقعة وذلك بقصد تفادي أو القضاء على الفتن والمشاحنات بين فتات الجماعة.

و يأتي هذا بإيجاد جو من المرونة الاجتماعية التي تسمح للطبقات الفئات المتحركة الصاعدة في سلم الارتقاء لممارسة نشاطها لتحقيق أهدافها في دفع الحركة الاجتماعية التطورية. ومن ناحية أهدافها في دفع الحركة الاجتماعية التطورية ومن ناحية أخرى تضمن تميع موقف التصلب والعناد الذي تلتزمه الهيئات والفئات والقوى الرجعية من تطور الاجتماعي وبهذا التكييف الدينامكي

---

1 – أحمد الخشاب، المرجع السابق، ص 39.

2 – نفسه، ص 40.

يتحقق وتقدم المجتمع و مسايرته للانتفاضات الاجتماعية ويحتفظ بتكامل وتوازن تنظيمه . و بتلاقي الهزات العنيفة التي قد تطيح ببنائه الاجتماعي ومن الملاحظ انه من الصعب الوصول إلى تكيف اجتماعي تام في مجتمع ديناميكي متطور وخاصة إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى الاتجاهات الفردية. المتحررة إلى حد ما من مقتضيات ومستلزمات التوافق الاجتماعي أو الانسجام الكامل بين الفئات والمستويات الاجتماعية المتفاوتة ولذلك فان دراسة التكيف الاجتماعي تتصل اتصال تقليديا بدراسة تكوين التراث الثقافي والاجتماعي الذي من شانه إن يجعل الأكثرية من أفراد المجتمع وجهات نظر متماثلة ومتشابهة بحيث تعتنق الأغلبية نفس الآراء في المواضيع العامة المشتركة و يستحبون إزاء المواقف استجابات موحدة.

وتشير الأحداث العابرة في نفوسهم انطباعات و ردود و أفكار متجانسة إلى حد ما مما يظهر وجود حد أدنى من التوافق و التفاهم المشترك في ما يتعلق بالوضعيات الاجتماعية ذات الأهمية الحيوية ومن هنا تتبين أهمية عملية التكيف الاجتماعي في تكوين نماذج و أنماط ثقافية يتلقها الأفراد من الفئات وسلوكهم وتصرفاتهم و مواقفهم وأحكامهم، وفقا لها إذ أنها ترسب وتصبح من أهم مقومات دواتهم فلا يشعرون بوطأة الأوضاع الاجتماعية أو السلطة و الرقابة الجماعية.[1]

1 – أحمد الخشاب، المرجع السابق، ص 45.

– قائمة المصادر و المراجع:

1- المراجع و الرسائل الجامعية باللغة العربية:

- أحمد الخشاب، **التغير الاجتماعي**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1986م.

- بوهروم محمد، **العمران في مدينة جيجل**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية – جامعة قسنطينة- 1986م.

- زيدان عبد الباقي ، **علم الاجتماع الحضري و المدن المصرية** .مكتبة الأنجلو مصرية.

- الصادق مزهور، **أزمة السكن بمدينة قسنطينة**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية، 2 ديسمبر، 1986.

- عبد السلام حبيب ، **الخدمة الاجتماعية العمالية**، مكتبة النهضة المصرية، ص 310.

- عبد الهادي محمد والي، **– التخطيط الحضري – تحليل ذطري و ملاحظات واقعية** ، دار المعرفة الجامعية، 1981.

- محمد عبد المولى الدقس ، **التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق** ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع. عمان الأردن، 1989م.

- محمد السويدي ، **بدو الطوارق بين الثبات و التغير** . دراسة سوسيو أنتثروبولوجية في التغيير الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للمكتبات – الجزائر.

- مربيعي السعيد، **التغيرات السكانية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- محمد مصطفى زيدان، **علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1986 م.

2 – المراجع باللغة الأجنبية:

- Amiroch Fouzia**, une ville dans la ville (sidi Mabrouk à trouver l'habitat les achirites et la population)**, thèse de 3eme cycle juin 1983, montpeterk

- Bemata Farouk**, s'habitat de la terres mont le cos de l'Algérie**, SNED, 1980.

- Doxiadis .CAS**, talutât en transition**, ed casleman, 1985.

- Gerard. blavchre ,**vers une usbimsnac vais onné**, Paris, 1968.

- Jacqueline Palmade, **Problème de logements approche psychosociologique , L'économie et les sciences humaines**, dumir Paris 1967.

- Robert Leroux , **Ecologie humaine , Science de l'habitait** ED Eyroues, 1963
- R.Roussi, **Populations et société de Maghreb**.

العناصر الوظيفية و المرافق في المساجد الجامعة.

من خلال نماذج من مساجد مدينتي تلمسان و الجزائر.

د/ موشموش محمد

جامعة المسيلة

العناصر الوظيفية و المرافق في المساجد الجامعة.
من خلال نماذج من مساجد مدينتي تلمسان و الجزائر.

مقدمة

يعتبر المسجد من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة المجتمع، فبالإضافة إلى وظيفته الدينية فهو مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية، ففيه يستقبل الوفود والسفراء، وتخطب فيه الجمعة والأعياد، وينظم شؤونهم ويعلمهم أمور دينهم. وكان الخلفاء يعلنون من منبر المسجد الجامع الأحداث التي تواكب الفتوحات الإسلامية، ويلقي الخليفة أو الأمير خطابه السياسي الذي يوضح فيه كيفية مسيرته السياسية ومسؤولياته وواجب الرعية نحوه،و إذا كان دور المسجد الجامع في حياة المسلمين مرتبط بهذه الوظائف المتفق عليها عند الباحثين المسلمين و غيرهم، إلا أنه لم يسلم كعمارة دينية تخص المسلمين من نقد المستشرقين، حيث جعلوا أصله المعماري من المعابد الوثنية بالحبشة و الهند، و كذلك كنائس النصارى بالشام، وركزوا على الحضارات القديمة و جانبها اللاتيني خاصة، وكل ما قيل حول الأصل المعماري للمسجد لا يمكن أن يستقيم، لكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذا التخطيط و الأصل المعماري، لكونه عليه الصلاة والسلام لم يكن جوالا سائحا يطوف البلدان، ليتأثر بعمائرها، ولو سلمنا أنه صلوات الله عليه كان تاجرا، و سافر إلى الشام لكنه من الأكيد لم يدخل معابد الوثنين، أو كنائس النصارى، أو معابد اليهود، وكيف يدخل رسول الله إلى هذه المعابد و قد كان الله يحرسه و يجنبه الوقوف على هذه العمائر، و التقرب حتى للكعبة أو قيامه بالطقوس و الشعائر الدينية التي كان يقوم بها القرشيين.

و كان من حقنا كذلك أن نتساءل كيف اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني على شاكلة المعابد الوثنية، أو معابد أهل الكتاب؟ بينما كان عليه الصلاة و السلام يرغب في قبلة أخرى من غير بيت المقدس لمسجده، فولاه الله قبلة يرضها ويطمأن قلبه بها، فحولت القبلة إلى

كعبة بالمسجد الحرام ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** .... ﴾.[1]

إن التأصيل التاريخي للعناصر الوظيفية للمساجد الجامعة و وظيفتها من شأنه أن يساعدنا في استنباط أثر التشريع الإسلامي على عمارة هذه الجوامع في تخطيطها و عناصرها الوظيفية، و هذا ما سوف نراه من خلال التطرق لبعض العناصر و منظور التشريع الإسلامي فيها.

1- المداخل:

تمثل المداخل عنصر أساسي في كل مسجد، و توزيعها داخله يرتبط بحائط القبلة و حدود المسجد الجامع، حيث تفتح الأبواب عادة على الشوارع الرئيسية. و على هذا النسق كانت أبواب المسجد النبوي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، و الخلفاء من بعده رضي الله عنهم و من ثم فإن فتح الأبواب على حائط القبلة استحدث في فترة لاحقة، و جعلت لأمراء الخلفاء حتى لا يختلطون بعامة الناس، و يبدو أنها كانت متزامنة مع ظهور المقصورة، و أصبحت فيما بعد عادة جارية المفعول، و هذا ما نلاحظه في المساجد الجامعة بعواصم البلدان، و أقرب مثال لدينا هو المسجد الجامع المرابطي"بتلمسان" ، و كذلك المسجد الجامع الكبير"بالجزائر".

و يرتبط توزع أبواب المساجد بالفقه العمراني الإسلامي، و من بين الباحثين الذين أشاروا إلى هذه القضية نجد الأستاذ "محمد الكحلاوي"[2] و اعتمد على الحديث النبوي التالي: **"** حدثنا "عبد الله بن يوسف" قال: أخبرنا "مالك" عن أبي النّضْرِ" مولى "عمر بن عبيد الله" عن "بسر بن سعيد" أن "يزيد بن خالد" أرسله إلى "أبي جُهيم" يسأله ماذا سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم في المارّ بين يدي المصلي فقال "أبو جُهيْم": قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو يعلم المار بين

---

1 - سورة البقرة، الآية 144.

2 - للمزيد من التفاصيل أنظر:- محمد الكحلاوي، " أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد"، **مجلة المنهل**، العدد 519، العدد الخاص بالعمارة و المدينة الإسلامية عطاء و مدلول، دار المنهل للصحافة، و النشر المحدودة، جدة، جمادي الأولى و الثانية 1415 هـ / أكتوبر . نوفمبر 1994 م، ص 139.

يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه... ، قال: "أبو النّضر" لا أدري أقال أربعين يوما أو شهرا أو سنة."[1].

إن الحديث الذي اعتمد عليه الأستاذ "محمد الكحلاوي" ينطبق على صلاة الفرد منفردا و لا ينطبق على صلاة الجماعة[2]، و ما يؤكد ذلك ما ذكره عبد الله بن العبّاس رضي الله عنه حيث قال: " أقبلت راكبا على حمار أتان، و أنا يومئذٍ فد ناهزت الاحتلام، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلّي بالنّاس بمنىً إلى غير جدار، فمررت بين يديْ بعض الصَّفِّ، فنزلتُ و أرسلتُ الأتان ترتع و دخلتُ في الصّفّ، فلم ينكر ذلك عليّ أحدٌ.". ذلك لأن سترة الإمام سترة من خلفه، و إذا بحثنا و عززنا حجتنا في ذلك لكان اعتمادنا على الحديث التالي: قال "أبي الزهارية": " كنا مع "عبد الله بن بسر" صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أن رجل جاء يتخطى و النبي يخطب فقال له الرسول صلى الله عليه و سلم: أجلس فقد آذيت "[3] ، و بالتالي لا يمكن فتح أبواب على حائط القبلة لعلمنا أن المصليين يتسابقون على الصّفّ الأول، فإذا تصورنا بابا فتح على حائط القبلة فكم من صّفّ يجتازه المصلي حتى يبلغ أخر صّفّ خاصة يوم الجمعة، لذلك قل ما نجد أبواب تفتح على

1- البخاري محمد بن إسماعيل(194هـ -809م / 256هـ -869م)، **الجامع الصحيح**، اعتنى وضبط نصها أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، المنصورة، القاهرة، مصر،1432هـ / 2011م، ص 106، 107.

2- ومما يؤكد أن الحديث الذي اعتمد عليه الأستاذ محمد الكحلاوي ينطبق على صلاة الفرد منفردا هو الذي ذكره البخاري في صحيحه حيث قال:".....حدثنا أبو صالح السّمّان قال رأيت أبا سعيد الخذريَّ في يوم الجمعة يصلّي إلى شيء يستره من النّاس فأراد شابٌّ من بني أبي معيطٍ أن يجتاز بين يديه فدفعه أبو سعيد في صدره فنظر الشَّابُّ فلم يجد مساغا إلا بين يديه فعاد ليجتاز فدفعه أبو سعيد أشدّ من الأولى فنال من أبي سعيد، ثمّ دخل على مروان فشكا إليه ما لقي من أبي سعيد، ودخل أبو سعيد خلفه على مروان، فقال ما لك ولابن أخيك يا أبا سعيد قال: سمعت النّبيّ صلَّى الله عليه و سلم يقول: إذا صلَّى أحدكم إلى شيء يستره من النّاس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبَى فليقاتله فإنّما هو شيطان"، و قد أفردا لنا العوايشة في موسوعته أحاديث كثيرة تحرم المرور بين يدي المصلي، ووجب على المصلي دفع المار و مقاتلته و منع بهيمة الأنعام و نحوها. للمزيد من التفاصيل أنظر:- البخاري، المصدر السابق، ص 106. و كذلك: - بن عودة حسين العوايشة، **الموسوعـــة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب و السنة المطهرة**، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن 1423 هـ / 2002م، المرجع السابق، ج2، ص 277.

3 - للمزيد من التفاصيل أنظر: - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري: شرح صحيح البوخاري**، تحقيق: عبد الله بن الباز، ط3، مكتبة دار السلام، السعودية، 1421 هـ / 2000 م، ج1، ص 755. كذلك: - العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 104.

حائط القبلة، فأفضل مكان هو الجدار المقابل لحائط القبلة، أما الأبواب الجانبية فهي عادة تفتح في صلاة الجمعة للعدد الهائل للمصلين، و تستعمل للخروج عادة لكون دخول المصليين إلى المسجد يكون إما فرادى أو في مجموعات صغيرة على عكس خروجهم منه، و لهذا يقول "محمد الكحلاوي"[1] أن أفضل مكان لتواجد أبواب المسجد الجامع هو الجدار المقابل لحائط القبلة.

إن مساجد مدينتي "تلمسان" و "الجزائر"، صغيرة المساحة إذا ما قورنت بالمساجد الكبيرة بالمشرق و المغرب الإسلامي، لذلك لا نلاحظ كثرة المداخل لهذه المساجد، و نستثني في ذلك المسجد المرابطي بمدينة "تلمسان" ، حيث فتحت بهت تسعة مداخل: أربعة أمامية شرقية، و ثلاثة يسارية شمالية و واحد خلفي غربي، و آخر يميني جنوبي، و هذه المداخل بعضها أساسي مفتوح بالاستمرار كتلك الموجودة على جدار المحراب و الباب الخلفي بالجدار الغربي، و بعضها ثانوي لا يفتح إلا أيام الجمعة و الأعياد، و على هذا النمط سار المسجد المرابطي بمدينة "الجزائر"، رغم أننا لا يمكن تأصيل المداخل الموجودة على جدار القبلة لتغير و تجديد الذي كان يطله خاصة في الفترة العثمانية بسبب ضربات المدفعية، و المسجد "الجديد " الذي جعل له باب رئيسي بالواجهة الشمالية و على يساره و يمينه بابين، و آخر رئيسي كذلك بالواجهة الغربية، و يلاحظ أن حائط القبلة لم يفتح به أبواب لكونه مرتفع عن السطح بحوالي 2م. أما بقيت المساجد فلها باب أو بابين لم تفتح بجدار القبلة، مثل مسجد "العباد"، و مسجد "سيدي الحلوي"، و مسجد "باب زيري"، و غيرها من مساجد مدينة "تلمسان"، و الأمر المعهود كذلك بمساجد مدينة "الجزائر" منها: مسجد "البراني"، و مسجد "صفر بن عبد الله"، و مسجد "علي بتشين".

إن مداخل مساجد مدينتي "تلمسان" و "الجزائر" بسيطة جدا إذا ما قورنت بمساجد المشرق الإسلامي عامة، و مساجد المغرب الإسلامي خاصة، و من الناحية الجمالية كذلك، و خرج باب مسجد "العباد" عن هذا الإسقاط (بني في الفترة المرينية عند دخول "أبو الحسن المريني" إلى مدينة "تلمسان")، و تبدوا أن تأثيرات أبواب مسجد "القرويين" بمدينة "فاس" واضحة على الباب الرئيسي لمسجد "العباد" (مسجد سيدي أبي مدين شعيب).

---

1 – محمد الكحلاوي، المرجع السابق، ص139.

2- المحراب:

هو صدر البيت، وأكرم موضع فيه، و الجمع محاريب، وأصطلح على المكان الذي يحدد اتجاه المسلمون إلى القبلة حين يجتمعون للصلاة بلفظة محراب، و هو كوة في الحائط تعلوها نصف قبة، فالمحراب دائما يكون متجها للقبلة، و هو محل الإمام من المسجد و تكبيره و ركوعه و سجوده ليأتم به المصلون.

و لفظة المحراب مأخوذة من شبه الجزيرة العربية، ووردت في الشعر الجاهلي حيث يقول "وضّاح اليمن":

ربّةُ محرابٍ، إذا جئتها

لم ألقها، أو أرتقي سلّما .

و أنشد الأزهري قول "امرىء القيس":

كغزلان رمل في محاريب أقوال.[1]

كما ورد ذكر مصطلح المحراب في القرآن في آيات كثيرة فسرها و شرحها كثير من علماء التفسير منهم "ابن كثير" في كتابه "تفسير القرآن الكريم" و هي:

- يقول الله تعالى في كتابه المنير: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ...** ﴾[2]. يقول ابن كثير في تفسيره: " إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، و هو أشرف مكان في داره، و كان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين، قد تسوّرا عليه المحراب، أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما "[3].

- و يقول الله تعالى كذلك: ﴿ ...**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**.... ﴾[4]، و المحراب هنا مكان أو محل عبادة مريم عليها السلام لله ربّ العالمين.

---

1 - ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م، ج2، ص336.

2 - سورة ص، الآية 21، 22.

3 - ابن كثير إسماعيل الدمشقي(توفي: 774 هـ/ 1372م)، **تفسير القرآن العظيم**، اعتنى بها و خرج أحاديثها: محمود بن الجميل، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر، 1430هـ / 2009م، ج4، ص47.

4 - سورة أل عمران، الآية، 37.

– و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ مَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ.... ﴾[1]، أي خاطبته الملائكة شفاها خطابا، أسمعته و هو قائم يصلي في محراب عبادته و محل خلوته و مجلس مناجاته و صلاته.[2]

– و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾[3]، حبس لسان النبي "زكريا" و انقطع عن النّاس لا يكلمهم و شغل نفسه بعبادة الله في محرابه ثلاث ليالي و أيامهن ثم خرج عليهم من المحراب.[4]

– و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ.... ﴾[5]، المحاريب: فهي البناء الحسن، و هو أشرف شيء في المسكن و صدره، و قال "مجاهد": المحاريب بنيان دون القصور.

و قال "الضحاك": "... هي المساجد "، و قال "قتادة" : " ...هي القصور و المساجد"، وقال "ابن زيد": " ...هي المساكن".[6]

و المحراب عند العامة: الذي يقيمه النّاس اليوم مقام الإمام في المسجد، وقال "الزجاج" في قول الله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[7]: " المحراب أرفع بيت في الدّار، و أرفع مكان في المسجد. قال: و المحراب هاهنا كالغرفة، ، وفي حديث: أن النّبيّ صلى الله عليه و سلم بعث عروة بن مسعود رضي الله عنه إلى قومه بالطّائف، فأتاهم و دخل محرابا له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذّن للصّلاة. قال: هذا يدل على أنه غرفة يرقى إليها ".[8]

---

1 – سورة أل عمران، الآية، 39.

2 – ابن كثير، المصدر السابق، ج1، ص562.

3 – سورة مريم الآية 11.

4 – للمزيد من التفاصيل أنظر: – ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص165.

5 – سورة سبأ، الآية 13.

6 – ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص761.

7 – سورة ص، الآية 21، 22.

8 – للمزيد من التفاصيل أنظر:– ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص336، 337. و كذلك: – مؤنس حسين، **المساجد**، عالم المعرفة، الكويت، 1401 هـ / 1981م، ص 73.

و المحاريب هي صدور المجالس، ومنه سميّ محراب المسجد، و منه محاريب غمدان باليمن ومحراب قبلة. و محراب المسجد أيضا صدره وأشرف موضع فيه، و محاريب بني إسرائيل: مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها، و يجتمعون فيها للصلاة. وفي حديث أنس، رضي الله عنه، أنه كان يكره المحاريب، أي لم يكن يحبّ أن يجلس في صدر المجلس، و يترفّع على الناس، و قوله تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ** ﴾[1]، و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** ﴾[2]، قال المفسرون يقصد هنا المسجد، و مكان العبادة و محل الخلوة و مجلس المناجاة[3] و الصلاة، و محراب أكرم مجالس الملوك، و قال "أبو عبيدة": المحراب سيّد المجالس و مقدّمها و أشرفها.

و قال "الأصمعي": " العرب تسمي القصر محرابا، لشرفه. و قال: دخلت محرابا من محاريب حيمر، فنفح في وجهي ريح المسك، و المحراب الموضع الذي ينفرد فيه الملك، فيتباعد من الناس، قال الأزهري: وسمي محراب محرابا لإنفراد الإمام فيه، و بعده عن الناس، و قيل سمي المحراب محرابا لأن الإمام إذا قام فيه، لم يأمن أن يلحن، أو يخطى، فهو خائف مكانا كأنه مأوى الأسد، ومن ثم يقال المحراب مأوى الأسد، يقال: دخل فلان على الأسد في محرابه، و غيله و عرينه "، وقال "ابن الأعرابي": " المحراب مجلس الناس و مجتمعهم. و يقال محراب المصلي مأخوذ من المحاربة لأن المصلي يحارب الشيطان و يحارب نفسه بإحضار قلبه"[4].

و القبلة هي صدر المسجد، و هي جداره المتجه نحو الكعبة، فإذا صلى الناس تجاهها كانت وجوههم ناظرة إلى بيت الله في البلد الحرام. و كانت قبلة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم الأولى ناحية بيت المقدس، ثم حولها سبحانه و تعالى تجاه الكعبة فتحولت في مسجد الرسول من الشمال إلى الجنوب. وقد صلى المسلمون في صدر يوم صرف القبلة إلى بيت المقدس، ثم نزلت آيات صرفها فصلى الناس نحو مكة في آخره (15 رجب سنة 2 هـ / 624م)، ويبالغ من يقول أن

---

1 – سورة مريم الآية 11.

2 – سورة أل عمران، الآية، 39.

3 – ابن كثير، المصدر السابق، ج1، ص 562.

4 – محمد السعيد الطريحي، المرجع السابق، ص، 60.

الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة عليهم الرضوان صلوا إلى القبلتين في نفس الصلاة، حيث صلوا ركعتين، ثم نزلت الآية فصلوا الركعتين الأخريين إلى القبلة الأخرى. وهذا التحليل ليس له معنى، فإن الوحي ما كان ليقطع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يؤم الناس ليبلغه صرف القبلة، وكذلك كيف يتحول المصلين من الشمال إلى الجنوب في صلاتهم دورة كاملة، ومن ثم يصبح الإمام خلف المصلين. و تشير معظم كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه و سلم صلى الظهر إلى بيت المقدس، أما صلاة العصر فصلها إلى الكعبة و هذا هو الأصل و القول الصحيح.[1]

و تذكر المصادر التاريخية أن أول من اتخذ المحراب هو "عمر بن عبد العزيز" رحمه الله، حيث لم يكن في المسجد النبوي محرابا في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم[2]، و يمكن القول أن المحراب كان متخذا قبل هذا التاريخ إلا أنه طور أيام "عمر بن عبد العزيز" رحمه الله، و ذكر "ابن بطوطة" أن "عثمان بن عفان" رحمه الله هو الذي وضع المحراب لمسجد المدينة وأشار كذلك: " أنه قيل أن " عبد الملك بن مروان "، هو أول من بنى المحراب، وقيل "عمر بن عبد العزيز" في خلافة "الوليد بن عبد الملك"..."، أما "المقدسي" الذي عاش في منتصف القرن الرابع الهجري قال: " أنه لما تولى "عمر بن عبد العزيز" بناء مسجد "المدينة" وبلغ هدم المحراب دعا بمشايخ المهاجرين و الأنصار فقال: احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غيرها "عمر" ".[3]

و يذكر الإمام "السيوطي" رحمه الله أن المحاريب ظهرت في أول المائة الثانية للهجرة: "...لأن قوما خفي عليهم كون المحراب بدعة، و ظنوا أنه كان في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم في زمنه، و لم يكن في زمانه قط محراب، و لا في زمان الخلفاء الأربعة، فمن بعدهم إلى آخر المائة الأولى، و إنما حدث في أول المائة الثانية مع ورود الحديث بالنهي عن اتخاذه، و أنه من شأن الكنائس، و أن اتخاذه في المساجد من أشراط الساعة. قال "البيهقي" في "السنن الكبرى": باب في "كيفية بناء

---

1 – للمزيد من التفاصيل أنظر:– ابن كثير، المصدر السابق، ص300. و كذلك:– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 70.

2 – للمزيد من التفاصيل حول ظهور المحاريب في عمارة المساجد، و رأي علماء الأمة في ذلك أنظر بتمعن: – جلال الدين السيوطي، **إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب**، دراسة و تحقيق: عماد طه فرة، ط2، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1411هـ/ 1990م، 14.

3 – المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد (336هـ – 947م / 380هـ – 990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، 1877م، ص8.

المساجد" ...عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اتقوا هذه المذابح، يعني المحاريب".[1]

أما محراب جامع القيروان فقد أجمع المؤرخون على أنه في سنة (50 هـ/ 670 م) خط "عقبة بن نافع" مسجد "القيروان" ورسم مكان القبلة منه، وأقام محرابه فيه، و أن هذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم و تقديسهم فلم يمسه أحد منهم بسوء. و لما أراد زيادة الله بن الأغلب هدمه و ألح على ذلك لم يجبه و حيل بينه و بين هدم. و شكل محراب مسجد "القيروان" مقوس و هو بذلك يختلف على جل المحاريب المغرب الإسلامي التي نراها مضلعة، وبالتالي هو أقدم محراب مجوف أدخل على المساجد[2].

أما عن تحديد لمكان وقوف الإمام في المحراب و الفائدة من ذلك[3]، و الدور الحقيقي للمحراب فقال "ابن الحاج": "و السنة الماضية إذا استوى الإمام قائما في المحراب أن يكون قريبا من المأمومين، وقد كان الإمام في السلف رضي الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين و ذلك لفوائد: منها قد يطرأ عليه في صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج إلى الكلام و لا كثير من عمل الاستخلاف، بل يمد يده إلى من يستخلفه فيقدمه، و منها أنه قد يسهو في صلاته فيسبحون به فلا يسمعهم، فإذا كان قريبا منهم سمعهم في الغالب و تداركوا ما فات ذلك بمسهم أو تنبيههم له عليه فيتدارك إصلاح ما أخل به. ومنها أن يكون بثوبه نجاسة لم يشعر بها، فإذا كان قريبا منهم أدركوها فنبهوه عليها إلى غير ذلك. ولم يكن للسلف رضي الله عنهم محرابا و هو من البدع التي أحدثت

---

1 - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (توفي 458هـ/ 1066م)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م، ج2، رقم الحديث 4304، ص616.

2 - للمزيد من التفاصيل أنظر:- محمد ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار"**، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 32. كذلك: - المقديسي، المصدر السابق، ص8. كذلك: - أبو عبيد البكري (توفي: 487هـ / 1094م)، **كتاب المسالك و ممالك**، تحقيق: ديسلان، الجزائر، 1857م، ص23. كذلك: - ابن عذارى محمد المراكشي (توفي حوالي: 695هـ/ 1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق: ج. س كولان و إليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص24.

3 - للمزيد من التفاصيل أنظر: - محمد بن حمو، **العمران و العمارة من خلال كتب النوازل بالمغرب الإسلامي**، دراسة في فقه العمران و العمارة الإسلامية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص 124.

لكنها مستحسنة، لأن أكثر الناس إذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة إلا بالمحراب، فصارت متعينة لكن يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة، و الغالب من بعض الأئمة أنهم يصلون داخل المحراب حتى يصير بسبب ذلك على بعد من المأمومين و ذلك خلاف السنة، ثم إنه يخرج بذلك نفسه من الفضيلة لأن باقي المسجد أفضل منه، ألا ترى أن علمائنا رحمهم الله قالوا فيمن أضطر إلى النوم في المسجد، أنه ينام في محرابه لأنه أخفّ من باقي المسجد. بل لا ينبغي له إذا كان المسجد لا يضيق بالناس أن يدخل إلى المحراب، فإن ضاق بهم فليدخل على الصفة المتقدمة، لأنه إذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف في المسجد و هو قد يسع خلقا كثيرا."[1]

ويمكن استنتاج من هذا الرأي:

- يفيد في تحديد مكان الإمام عند الصلاة.

- يفيد في توسيع طاقة المسجد بما يقرب من صف من المصلين في الصلاة الجامعة، ليتسع للإمام في ركوعه وسجوده أثناء الصلاة، بحيث لا يشغل مساحة كبيرة يستهلكها هذا الإمام من أصل مساحة المسجد دون أي طائل أو فائدة.

- يساعد على تجميع صوت الإمام وتكبيره، وإيصاله للمصلين الذين يوليهم ظهره أثناء الصلاة.

- والمحراب من المصالح المرسلة التي تبدو لمن لا بصيرة له، كأنها بدع يجب تجنبها و عدم إقرارها، و هو عبارة عن علامة دالة على القبلة؛ إذ لولاها لكان العوام و من لا علم لهم إذا دخل المسجد في وقت لا يوجد غيره يحتار في القبلة، و قد يصلي إلى غيرها، و قد يصبح كل من يدخل المسجد يسأل عن قبلته، لذا اتخذ السلف هذا الطاق في قبلة المسجد للدلالة على القبلة، و ليس هو من العبادات في شيء حتى يقال فيه " بدعة منكرة "[2].

1- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (914هـ/ 1508م)، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**، أخرجه: محمد حجي و آخرون، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1401هـ/ 1981م، ج7، ص 486.

2 - نفسه.

و عادة ما يحدث خلاف في كيفية تنصيب القبلة، و من ثم مكان المحراب، وهذا ما نجده عادة في المساجد المبكرة، حيث نرى المحاريب تميل إلى اليسار أو إلى اليمين وهذا ما نجده بالمسجد الجامع "بالقيروان"[1]، ولكن هذا الانحراف ما كان ليخرجهم عن توسطهم لحائط القبلة لبيت الصلاة.

و على العموم كان اهتمام العلماء بتحديد جهة القبلة شغلهم الشاغل عند بناء المساجد، و كان ينصب المحراب بالمشورة، و اتفاق العلماء عليه، و من ثم وجب إتباع و تقليد المساجد الكبيرة في تحديد القبلة سئل الشيخ الفقيه قاضي الجماعة و مفتي حضرة "غرناطة" "أبو القاسم بن سراج" رحمه الله عن إمام بقطر كبير يؤم الناس بالمسجد الأعظم من ذلك القطر، ينحرف بداخل المحراب لجهة المشرق انحرافا كثيرا مع أن المحراب على خمسة و أربعين جزءا كما هي أكثر محاريب بمساجد الأندلس، فهل يسوغ ذلك للإمام و يلزم المأمومين إتباعه في ذلك، و ينحرفون معه ؟ أو لا يسوغ ذلك له ؟ فأجاب: " إنه لا ينبغي للإمام أن ينحرف الانحراف المسؤول عنه، لأن المحراب المنصوب بمصر كبير يعلم نصبه باجتماع كثير من الناس و العلماء، وذلك ما يدل على صحته و نصبه بالاجتهاد، و قد نص العلماء رضي الله عنهم أن المحاريب التي بالأقطار الكبار يصح تقليدها...."[2].

ولما أراد عبد الرحمن بن الحكم تحويل قبلة المسجد الجامع "بقرطبة"، و قد اتفق من لديه من أهل الحساب، و فيهم أئمة يقتدى بهم، على انحرافها إلى جهة المغرب كثيرا، صرف عن ذلك لاستعظام عامة الناس مخالفة ما درج عليه أسلافهم فأقصر عن ذلك[3].

و يذكر الونشريسي كيفية تنصيب قبلة مسجد جامع مدينة مراكش بقوله: " وعندما قدم الموحدون على نصب القبلة بمسجد جامع مدينة "بمراكش" على وسط الجنوب بتقريب، وجه آخر أيضا مما يدل على صحة الوسط ما ذكره "أبو عمر بن عبد البر" و "ابن العربي المالكي"، و اللفظ "لأبي عمر"، عن "أحمد بن حنبل" أنه قال: هذا المشرق، وأشار بيساره و هذا المغرب، وأشار بيمينه، و هذه القبلة فيما بينها. إلا أنه ينبغي أن يتحرى الوسط، و قال "ابن حسان": عمله لأمير المؤمنين

1- أحمد فكري ، **مسجد القيروان**، مطبعة المعارف، مصر، 1355 هـ / 1963م، ص56.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 116.

3- نفسه، ج1، ص 118.

"المنصور" "بمراكش"، وأمر برفعه للخزانة. وهو يتضمن صحة ما عمله الموحدون من نصبهم القبلة "بمراكش" على وسط الجنوب بتقريب."[1] .

وسئل "الونشريسي" عن نقل المحراب عن موضعه إذا زيد في المسجد، فأجاب: "... أما نقل المحراب من موضع إلى موضع جديد فلا بأس به بحسب المصلحة، و ما تراه الجماعة في ذلك من الرفق لهم".[2]

و يقول "ابن العربي المالكي" في محاريب المساجد الكبيرة[3]:"....مساجد الأمصار هي بالاجتهاد، ولكنه يتعاضد الأمر فيها و لا يعلم واضعها، و هي مختلفة في التيامن و التياسر، و إن كانت لم تخرج عن السمت المتعارف مما بين المشرق و المغرب، و قد خط جامع "قرطبة" ووصل جماعة من الرفقاء "الحجاج"، "كبقي بن مخلد" و "محمد بن وضاح" من أهل الصلاة جماعة ممن حج وروى "كيحيى بن يحيى" و صلوا القبلة ذاهبين و راجعين "بافريقية" و "مصر" و "الشام" و "الحجاز" و "العراق"، فما اعترضوا على جامعها بعيب سمته و لا حرفوا فيه، فالدين عندهم أمتن و العلم أوفر..."[4].

و يقول "ابن رشد": "...و جامع الأندلس و مدرسة "العطارين" مستقبلة جهة الجنوب بين المشرق و المغرب، و كذا جامع "تلمسان"، و قد تقدم أنه ليس لأهل المغرب قبلة بين المشرق و المغرب، و إنما قبلتهم في جهة المشرق بين الشمال و الجنوب..."[5].

و من خلال ما أفردناه من النصوص الشرعية و آراء المفكرين و علماء الإسلام التي وردت في المحراب و اتجاه القبلة يتضح لنا أن محاريب مساجد مدينة "تلمسان" متجهة نحو الجنوب الشرقي تقريبا، و يبدوا أنها اتبعت في ذلك موضع و اتجاه محراب مسجد "أغدير"، ثم محراب الجامع المرابطي "بتكرارت" على غرار مسجد سيدي أبي الحسن.

---

1 – الونشريسي، المصدر السابق ، ج7، ص199.

2 – نفسه، ج7، ص204.

3 – مساجد الأمصار.

4– الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 122، 123.

5 – عبد الله ابن إبراهيم الزرهوني التافستي (توفي بعد سنة 1150هـ 1738م)، **رحلة الوافد**، تحقيق: صديقي عازيكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م، ص 18 و مايليها.

أما في مدينة "الجزائر" فإن محاريب المساجد متجهة نحو الشرق تميل ميلا طفيفا نحو الجنوب الشرقي، و هذا ما نلاحظه في المساجد التي بنيت قبل الفترة العثمانية مثل مسجد "سيدي رمضان"، و المسجد "الجامع المرابطي"، و المساجد التي بنيت في ما بعد و التي يبدوا أنها اتخذت من محراب المسجد "الجامع المرابطي" مقياسا لنصب القبلة، و يبدو أن مسجد "على بتشين" قد خرج عن هذه القاعدة، حيث نرى محرابه يميل نحو الشمال الشرقي، لم يتغير مكان منذ تأسيسه.

بالإضافة إلى المحراب الذي نجده في بيت الصلاة نجد حنية أخرى في صحن بعض المساجد، و أشتهر على تسميتها بالعنزة.[1] و نجدها بصحن المسجد "الجامع المرابطي"، ومسجد "سيدي أبي مدين شعيب بالعباد العلوي"[2]، و مسجد سيدي إبراهيم، و هي من مساجد مدينة "تلمسان"، و علل "ديسو لاماري" وظيفة العنزة[3] بأنها مكان يجلس فيه إمام ثاني (مبلغ ثاني) من أجل تبليغ[4] المصلين أيام الجمع ما يقوله الإمام الخطيب.

ولكن التحليل الذي قدمه "ديسو لاماري" ينتابه الغموض[5]، فلم تذكر المصادر التاريخية أن العنزة جعلت مكانا للمبلغ لتبليغ المصلين ما يردده الإمام من صيغ التكبير و السجود و هذا من

---

1 – عن ابن عمر رض الله عنهما: قال: كان الرسول تُحْمَلُ معه العَنَزَةُ في العيدين في أسفاره، فتُرْكَزُ بين يديه فيصلي إليه.
قال عون بن أبي جحيفة: " سمعت عن أبي أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم صلّى بهم بالبطحاء و بين يديه عنزة (مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا) الظهر ركعتين و العصر ركعتين ...". للمزيد من التفاصيل أنظر: – أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م، ج10، رقم الحديث 5734، ص26.

2– عبد العزيز لعرج، المباني المرينية، ص 547. كذلك: – ابن أبي زرع علي (توفي: 726هـ / 1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، المغرب، 1420 هـ / 1999 م، ص79.

3 – قال عون بن أبي جحيفة: " سمعت عن أبي أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم صلّى بهم بالبطحاء و بين يديه عنزة (مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا) الظهر ركعتين و العصر ركعتين ...". أنظر: – العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 278.

4 – التبليغ بالأنغام المعروفة: التبليغ هو التسميع وراء الإمام، و إنما يتسامح به للحاجة، من كثرة المصلين أو عدم بلوغ صوت الإمام لجميعهم، فحينئذ يسمع واحد بصوته الطبيعي بلا تكليف و لا تمطيط و لا تصور لتلاحين مخصوصة. يحسن التبليغ خلف الإمام إذا دعت الحاجة إليه، و قد يجب إذا تعذّر متابعة الإمام في ركوعه و سجوده، لضعف الصوت، إذا ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب. أنظر:– القاسمي، المصدر السابق، ص 12 .كذلك: – العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 201.

5 – Dessus Lamar, **La Anaza**, 5eme congrès international d'archéologie, Alger,1930, p 329.

طرف إمام ثاني، و ذلك في صلاة الجمعة، و المواسم في المسجد الجامع بالأمصار الكبيرة، فإن كان المبلغ (الذي يقف في أول الصحن لكون العنزة تبنى مقابلة للمحراب في آخر البلاطة التي على الصحن) يسمع صوت الإمام فكيف لا يسمعه المصلون بالصحن ؟.

والثانية أن الفقه الإسلامي لا يجيز هذا العنصر الوظيفي إن كان ما قال "ديسو لاماري" صحيح للأسباب التالية:

– إن الصلاة الفرد منفردا خلف الصف أو بين الصفوف غير جائزة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم و هو صريح لا ينتابه غموض حيث نرى ذلك واضحا من خلال الحديث الذي رواه "علي بن شيبان" رضي الله عنه، قال: " خرجنا حتّى قدمنا على النّبيّ صلى الله عليه وسلم فبايعناه، وصلّينا خلفه، ثمّ صلّينا وراءه صلاة أخرى، فقضى الصلاة فرأى رجلا فردا يصلّي خلف الصّفّ، قال: فوقف عليه نبّي الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف، قال: استقبل صلاتك ! لا صلاة للّذي خلف الصّفّ. "[1]

– إنّ الكلام أثناء الخطبة (صلاة الجمعة) تبطل الصلاة إلاّ للإمام الخطيب، و هذا لقول رسول الله عليه الصلاة و السلام: " إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت و الإمام يخطب، فقد لغوت "، و هذا الحديث صريح ليس فيه ترخيص بالكلام إلا للإمام[2].

و لعل ما قاله "ابن أبي زرع" في "القرطاس" أقرب إلى الحقيقة من كل الأقوال، حيث وصف لنا مسجد القرويين "بفاس" بقوله: "..أما العنزة التي يصلي إليها في زمن الصيف فكانت القديمة من خشب الأرز، ألواحا ساذجة في أعلاها كتابة، و هي (صنعت هذه العنزة في شهر شعبان المكرم سنة أربع و عشرين و خمسمائة)..."[3].

و حسب "ابن أبي زرع" يمكن القول أن العنزة ما هي إلا سترة حتى لا يقطع الصلاة من يمر بين العنزة و القبلة، ولعل هذه الوظيفة الحقيقية للعنزة مادامت كتب النوازل لم تتعرض إليها.

1- محمود أبي عبد الرحمن، **أحكام صلاة المسبوق في السنن و الآثار**، دار المصحف الشريف الجزائر، ط2، 1422 هـ / 2001م ص81. كذلك:- العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 244.

2 – البخاري، المصدر السابق، ص 165. كذلك:- العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 390.

3- أبي زرع، المصدر السابق، ص79.

3- المنبر:

المنبر هو المكان الذي يخطب منه الحاكم أو الإمام للناس، و هو عادة ما يكون في الجهة اليمنى للمحراب في المسجد الجامع، وهو العنصر الحيوي للمدينة الإسلامية و مركزها الهام حيث تطرح و تناقش جميع قضايا الدولة من الأمور السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في إطار الشريعة الإسلامية.

و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: " وضع منبري[1] على ترعة من ترعات الجنة وما بين بيتي، ومنبري روضة من رياض الجنة وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة"[2]. و المنبر بصفة عامة لم يكن موجودا أول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فكان إذا خطب و قف إلى جدع نخلة، و التي كانت تمثل أحد الأعمدة التي يرتكز عليها السقف، و كان إذا طال به الموقف و شق عليه القيام استند إلى الجدع[3].

كان أول منبر في الإسلام هو المنبر الخشبي الذي صنعه نجارا لرسول صلى الله عليه وسلم و جاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى امرأة فقال: " إن مري غلامك النّجّار، يعمل لي أعوادا أجلس عليهنّ "، وفي رواية أخرى يذكرها "البخاري": " أنّ امرأة قالت يا رسول الله: ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه ؟ فإنّ لي غلاما نجّارا. فقال عليه الصلاة و السلام: إن شئت. فعملت المنبر".[4]

---

1 - منبر الرسول صلى الله عليه و سلم.

2 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص22.

3- محمد عبد العزيز مرزوق، **الفن الإسلامي تاريخه و خصائصه**، مطبعة أسعد، العراق، 1965 م، ص 42.

4- حدّثنا ابن مريم: حدّثنا أبو غسّان قال: حدّثني أبو حازم، عن سهل رضي الله عنه: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أرسل إلى امرأة من المهاجرين، و كان لها غلام نجّار، قال لها: " مري عبدك فليعمل لنا أعواد المنبر " فأمرت عبدها، فذهب فقطع من الطّرفاء، فصنع له منبرا فلما قضاه، أرسلت إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قد قضاه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أرسلي به إليّ " فجاؤوا به فأحتمله النّبيّ صلى الله عليه وسلم فوضعه حيث ترونه. أنظر:- البخاري، المصدر السابق، ص 94. كذلك:- ابن كثير إسماعيل الدمشقي، **البداية و النهاية**، تحقيق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م، ج2، ص229.

ولم يسلم المنبر من نسبه لمصطبة الكنائس، فقد ذكر أن من صنع لرسول الله المنبر رجل ممن سبق له أن رأى الكنائس ببلاد الشام، و في الحقيقة أن الرسول كان يحرس على مخالفة أهل الكتاب، ويحث المسلمين على ذلك، فكيف يرخص للنجار أن يصنع له منبر على شاكلة مصطبة الكنائس ؟

و صنع لرسول الله منبرا خشبيا متكون من ثلاثة درجات، فكان النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقعد على أعلى الدرجات، و يضع قدميه الشريفتين على الدرجة الوسطى. ولما أصبح "أبو بكر الصديق" خليفة للمسلمين قعد على الدرجة الوسطى تأدبا، ووضع قدميه على الدرجة السفلى، ولما تولى "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه الخلافة بعده قعد على الدرجة السفلى ووضع قدميه على الأرض، ولما جاء "عثمان" رضي الله عنه فعل في أول الأمر كما فعل "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، ولكنه رأى بعد ذلك أن يجلس على الدرجة العليا تأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم[1].

لم تعرف المنابر في الفترة الإسلامية المبكرة تطورا كبيرا، فقد ظلت بسيطة بساطة المجتمع الإسلامي الأول. و بحلول الفترة الأموية بدأت المنابر تتطور خاصة في زيادة عدد الدرجات، فزاد معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه في عدد درجات المنبر فأصبحت سبعة أو تسعة حسب أقوال المؤرخين.

و بانتشار الإسلام بدأت المنابر تعرف عناية خاصة، شكلا و مضمونا، حيث تنوعت مواد صناعتها بين الخشب و الرخام و الحجر، كما أصبحت تحمل شتى أنواع الزخارف(النباتية، و الكتابة، و الهندسية)[2]، و قد عرفت صناعة المنابر طرازين مختلفين من ناحية المادة الصناعية، حيث نجد المنابر الخشبية و التي عادة ما تكون متحركة كالمنابر المغربية كمنبر الجامع الكبير "بالجزائر"، و منبر جامع الكبير "بتلمسان" و كلاهما يعودان للفترة المرابطية، والتي كانت تخصص لها غرفة في حائط القبلة على يمينه تخرج منها يوم الجمعة للخطبة، حيث تخرج و تدخل بواسطة عجلات

1 – محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص42.

2 – زكي محمد حسن، **الفنون الإسلامية**، دار الرائد العربي، لبنان، 1981م، ج3، ص 239.

حديدية[1]، والمنابر الرخامية ، مثل منبر مسجد "السيدة" حيث يوجد حاليا بالجامع "الجديد" بمدينة "الجزائر"، و منبر جامع "كتشاوة"[2] محفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة و الفنون الإسلامية.[3]

و نظرا لهذا التطور الذي عرفته المنابر في المدن الإسلامية، كان للفقهاء أراء في ذلك من بينهم كلام الفقيه "الونشريسي" الذي وصف هذا التطور و ما أستحدث من جراء ذلك حيث قال:" ومنها اتخاذ المنبر العالي فإنه من الأشياء التي تقطع الصفوف و تأخذ من المسجد جزءا جيدا و هو وقف على صلاة المسلمين. قال " أبو طالب": كان تقدمة الصفوف عندهم إلى الفناء المنبر بدعة. و كان "الثوري" يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر. وقال "ابن الحاج": و أما بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان إحداهما كبر المنبر على ما هو في البلاد، والثانية أنهم يدخلون المنبر في بيته إذا فرغ الخطيب من خطبته، و هذه بدعة الحجاج، و منبر السنة خلاف هذا كله إنما كان ثلاث درجات لا غير، وهي لا تشغل مواضع المصلين...."[4].

و من وظائف المنبر كذلك هو تبليغ المصلين[5]، أو الناس بالمنشورات و البلاغات، و الإعلانات، و القرارات الصادرة من طرف الحكام أو الأمراء، و هذا ما نجده خاصة في الفترة العبيدية و الأيوبيين و المماليك بمصر ، ثم تطورت الأمور إلى أن صار يجعل للمبلغ دكة في وسط المسجد حتى يقوم بمهامه على أحسن تبليغ و يتسنى للناس كذلك التفاف حول الدكة و سماع ما يقوله المبلغ، خاصة في الفترة العثمانية، و هذا ما نجده بالمسجد المرابطي "بتلمسان"، و في المسجد الجديد "بالجزائر"، و مسجد "صفر بن عبد الله"[6]، وعلى هذا فدورها هو تبليغ القرارات وليس مثل

---

1 – فريد شافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، ج1، الهيئة المصرية العامة لتأليف و النشر، مصر، 1970 م، ص 633.

2 – للمزيد من التفاصيل حول منابر مدينة الجزائر في الفترة العثمانية أنظر: – بن بلة خيرة، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م، 2008م، ص304.

– Doukali .Rachid, **Les mosquées de la période turque à Alger**, SNED, 3 1974, p 28.

4 – الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 485، 486.

5 – ماهر سعاد، **مساجد القاهرة و أو لبائها الصالحين**، ج1، مطبعة الأهرام، مصر، 1971م، ص 149.

6 – للمزيد من التفاصيل حول دكة المبلغ في مساجد مدينة الجزائر أنظر: – خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص319.

ما هو شائع عند العديد من الباحثين أنها المكان الذي يصلي فيه المبلغ لتبليغ المصلين ما يقوله الإمام من تكبير و تسليم أثناء الصلاة[1]، فإن كنا قد ذكرنا أن صلاة الفرد منفردا خلف الصفوف لا يجوز لما قد ذكرناه فيما سبق حول العنزة، فكيف يجوز له الصلاة منفردا فوق الصفوف !!؟.

4 – المقصورة:

أنشئت المقصورة[2] بالمسجد من رغبة بعض الخلفاء و الولاة في أن يقيموا الصلاة في مكان منعزل عن المسجد خوفا على حياتهم، ويبدوا من خلال المصادر التاريخية من أن اثنين من الخلفاء الراشدين ("عمر بن الخطاب" و "علي بن أبي طالب" رضي الله عنهما) قد استشهدا بالمسجد طعنا بالخنجر، مما جعل "معاوية بن أبي سفيان" يتخذ مقصورة له. و قال البلاذري: " ...وكان أول من اتخذ فيه (يقصد المسجد النبوي) المقصورة "مروان بن الحكم بن العاص بن أمية" بناها بالحجارة المنقوشة...."[3]، ثم وجدت في مساجد كثيرة بعد ذلك دون أن تصبح جزءا أساسيا من أجزاء المسجد[4].

---

1 – دكة المبلغ: تستعمل دكة المبلغ لجلوس المبلغ الذي يقوم بترديد بعض جمل الإمام أثناء الصلاة، لتوصيلها إلى الصفوف الخلفية، توجد دكة المبلغ في أروقة القبلة في المساجد أو في نهاية إيوان القبل و تقع على محور المحراب، تعمل عادة من الخشب و تعمل بواسطة أعمدة رخامية، و يصعد إليها بواسطة سلم خشبي من عدة درجات، و لها درابزين من الخشب الخرط ذو ارتفاع منخفض، و لقد شاع استعمال الدكة الرخامية في العصر المملوكي، و يرجح أن أقدم دكة رخامية تلك الموجودة في مسجد الماس الحاجب (729 – 730 هـ / 1329 م – 1330م)، و قد حملت على أعمدة رخامية أيضا، و من الأمثلة النموذجية تلك الدكة الموجودة بمدرسة السلطان حسن (757 هـ– 764 هـ / 1356 م – 1362م)، أما في العصر العثماني فتوجد الدكة في الحائط المقابل للمحراب، و على ارتفاع كبير و يمكن الوصول إليها عن طريق سلم في هذا الحائط و تعمل من الخشب، و تحمل إما على أعمدة أو على كوابل خشبية. للمزيد من التفاصيل أنظر: – صالح لمعي مصطفى، **التراث المعماري الإسلامي بمصر**، بيروت، لبنان، 1957م، ص 59.

2 – و قد سميت المقصورة مقصورةً لأنها قصرت على الإمام دون الناس، و قال الليث: المقصورة مقام الإمام. للمزيد من التفاصيل أنظر: – ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص 284.

3 – أحمد بن يحي بن جابر البغدادي البلاذري، **فتوح البلادان**، مطبعة الموسوعات، القاهرة، مصر،1319هـ/ 1901م، ص13.

4 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 92.

و كانت المقاصير مجرد حواجز خشبية تحيط بجزء صغير من المسجد عند حائط القبلة ويدخل إليها من باب خاص في حائط القبلة أو من باب في بيت الصلاة نفسه، ثم تطورت حتى أصبحت غرفة قائمة بذاتها.

و يقال أن الخليفة العباسي المهدي (158 هـ- 169 هـ / 775م - 785م) أمر بأن تعميم المقاصير في المساجد الجامعة، و يقال العكس كذلك وهو أن المهدي أمر بأن تزال المقاصير من جميع المساجد[1].

أما بالمغرب الإسلامي نجد أن المقصورة التي بنها "المعز بن زيري" بالمسجد الجامع "بالقيروان" هي أكثر شهرة على غرار بقية المساجد التي أنشئت بها المقاصير مثل المسجد الجامع "بقلعة بني حماد"، و المسجد الجامع "بتلمسان" في الفترة المرابطية، و مسجد الجامع "بقرطبة" و هي من إنشاء "عبد الرحمن الثاني" الأموي.

أما من الجانب الفقهي فيرى "أبو العباس القرطبي" في شرح مسلم: "... أنه لا يجوز اتخاذها، و لا يصلى فيها لتفريقها الصفوف. وروي عن "الحسن البصري" و "بكر المزني" أنهما كانا لا يصليان فيها لأنها أحدثت بعد النبي صلى الله عليه وسلم"[2]. أما "الزركشي" فيقول: " ..إلى أنه ينطبق عليها ما سبق أن قيل في المنبر، إذ لا يجوز أن يمتد المنبر في بيت الصلاة حتى يقطع الصف الأول من المصلين، أما احتجاج من كرهوا الصلاة في المقصورة بأنها لم تحدث أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، فليس بحجة لأن المئذنة أيضا لم تتخذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك القبة، فهل معنى ذلك أنهما مكروهتان."[3].

و على الدوام فإن المقصورة من شأنها أن تغير في شكل بيت الصلاة مما يضطر بالمصلين بتغير مكان المحراب وكذلك تضيق على المصلين خاصة لضفر بثواب الصف الأول، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الجواب الذي سرده "الونشريسي" لأحد العلماء، و لم يذكر لنا اسم الفقيه أو نص

---

1 - فريد شافعي، المرجع السابق، ج1، ص 649.

2 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 92.

3 - بدر الدين محمد بن بهادار الزركشي الشافعي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، قدم له و اعتنى به: أيمن صالح شعبان، ط1،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1990م، ص383.

النازلة، ولكن الجواب كان كافيا لمعرفة السؤال، و مضمون الجواب هو: " ..أن تغيير مثل هذا واجب على من له أمر، ولا يتركه بحال إلا من عجز عن ذلك لخوف فاعله فذلك المعذور لا يلام، و هذا جل ما سكت أهل العلم و الدين على تغيير المقام الذي اتخذها ذوي السطوة من الملوك الإسلام مع إنكارها أمرها و منعهم للصلاة بها على بسط في كتب أئمتنا، و لم تكن من أئمة الهدى و الخلفاء الراشدين، و إنما اتخذها بعضهم لخوفهم على أنفسهم حين قتل من الخلفاء الراشدين من قتل عند خروجه للصلاة، و جرح من جرح، و هذا له عذر، وبعضهم أيضا يكبر عند الاختلاط بالناس، و كل هذا تغيير لما شرط الله في المساجد، و من تعظيمها و إباحتها للناس كافة، و لزوم التواضع فيها و التذلل لقول الله تعالى: ﴿ ...سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِي....﴾[1]، و إن كان ذلك واردا في مسجد مكة، فقد أجمع المسلمون أن حرمة سائر المساجد و حقها كذلك في أنه لا يتملك أحد منها شيئا و لا يحجره على الناس، و أن جميعها مباح لجميع الناس و قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ... ﴾[2]، و قد شرع في الصلاة التواضع و التمكن و الخشوع و لها بنيت المساجد، فكل ما نافى ذلك و ضاده فيجب تغييره، و أن تطلق المساجد للمسلمين و لا تقطع الصفوف التي هي أحد عليها.....و قد رأى أهل العلم أن جميع صفوف المقصورة ليس بمحسوب في الصف الأول..."[3].

إن المقصورة الموجودة بمساجد مدينة "تلمسان" جعلت كمكان ينتظر به الحاكم إقامة الصلاة و لها باب يفتح إلى الخارج و هي على جدار القبلة، و هذا ما نجده في المسجد الجامع المرابطي، و المسجد الجامع بمدينة "المنصورة".

أما في مدينة "الجزائر" فيتضح هذا العنصر بالمسجد الجامع الكبير المرابطي، و لا يمكن تأصيلها تاريخيا حيث جدار القبلة أعيد بناءه عدة مرات في الفترة العثمانية بسبب تضرره من ضربات المدفعية المعادية، بالإضافة إلى كون الأبواب التي على جدار القبلة بنيت في الفترة الفرنسية ، و يحتمل

---

1 – سورة الحج الآية 25.

2 – سورة النور الآية 36.

3 – الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 72.

أنها كانت موجودة بمسجد "السيدة" لكونه مقصد سلاطين مدينة "الجزائر" في الفترة العثمانية في صلاة الجمعة، و صلاة العيدين.

كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يصلين خلف الرجال، ولم يكن يحجزهن عن الرجال حاجز و كان لهن مدخل خاص بهن حتى لا يختلطن بالرجال، وقد رخص الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء بالصلاة بالمساجد، فعن "أبي هريرة" رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن و هنّ تفيلات "[1]، و كان بالمغرب الإسلامي مكان مخصص للنساء بالمسجد الجامع يطلق عليه اسم المقصورة كذلك، حيث تشغل مكان معين بالمسجد ويتضح ذلك مما ذكره "الونشريسي": "...أن مقاصير النساء كانت موجودة في المساجد، و كان موضعها إما بمؤخرة المسجد، و ذلك ببناء حاجز يسترهن عن الرجال، و إما بناء خاص بهن في سقائف المسجد يبنى بالآجر."[2]

إن بناء المقصورة أو اتخاذ حاجرا يفصل بين النساء و الرجال أجازه العلماء سدا لباب الذرائع[3]، و يعلل ذلك "اللخمي" بقوله: " ...و إذا كان مصلى النساء ينتهي إليه الرجال، و لهم حاجة، ولم يسبق النساء إليه لم يبقى هنالك شيء، و منع النساء من الصلاة فيه، و هم أحق، ولو لم تكن للرجال حاجة، و لم يضق المسجد فبناء حاجز يسترهن حسن..."[4].

---

1 – تفيلات: أي تاركات للطيب". للمزيد من التفاصيل أنظر: – العوايشة، المرجع السابق، ج2، ص 207.

2 – الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 440، 441.

3 – النّساء أربع: عجوز قد انقطعت حاجة الرجال منها، و هي كالرّجال في ذلك. و متجالّة لم تنقطع حاجة الرّجال منها بالجملة، فهذه تخرج إلى المسجد و لا تكثر التردّد إليه...و شابة من الشّواب فهذه تخرج إلى المسجد في الفرض و في الجنائز جنائز أهلها و قرابتها. و فاذّة شابة في الشّباب و الثخانة فهذه الأخير لها أن لا تخرج أصلا، فإن حضر المسجد منهن من يسوغ حضورها فلا بد من ضرب حائط فاصل بينهنّ و بين الرّجال...و لا تخرج إلا تفلة، قال عياض في أحكامه غير متزيِّنة و لا متطيِّبة و لا متزاحمة للرجال. و زاد محيي الدّين النّووي و لا يكون بالطّريق ما تتقى مفسدته. أنظر: – العقباني محمد بن أحمد بن السعيد (توفي: 854هـ/1450م)، **تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر**، تحقيق علي شنوفي، Bulletin d'étude oriental institut français de Damas , T14, 1965, 1966,p307.

4 – نقلا عن الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 440، 441.

و كانت المساجد الجامعة بمدينة "تلمسان" يخصص فيها مكان للنساء و ذلك بضرب حائط فاصل بينهنّ و بين الرِّجال، و في مدينة "الجزائر"، يبدوا أن أماكنها هي نفسها الموجودة حاليا خاصة تلك الموجودة بالمسجد الكبير المرابطي.

5- الصحن:

يعرف الصحن لغة بساحة الدار، وساحة وسط الفلاة، و نحوهما من متون الأرض و سعة بطونها و الجمع صحون، لا يكسر على غير ذلك، وقال "فراء": " الصّحن و الصّرحة ساحة الدار و أوسعها"[1]. أما وظيفته من حيث وجوده بالمساجد فهو الجزء غير المسقوف يتوسط المساجد الجامعة التي صممت وفق تخطيط المسجد النبوي بالمدينة، وقد أطلقت عليه عدة مصطلحات أشهرها: الصحن و هو مصطلح متعارف عليه في غالب المدن الإسلامية، و من المصطلحات المترادفة معه نجد الفناء، الرحبة، الساحة، الباحة، الصرح، كما أطلق على الجزء المكشوف الذي يتقدم الجزء المغطى في تخطيط المساجد العثمانية بالحرم[2].

و إذا رجعنا إلى طراز المساجد بالمشرق الإسلامي، نجد الصحن محصور بين بيت الصلاة و الأروقة الجانبية و الخلفية يطلق على هذه الامتدادات بالمجنبات: اليمنى، و اليسرى، و الخلفية[3]، وأوضح مثال جامع "ابن طولون" في القاهرة، حيث الصحن محاط بالأعمدة و العقود من كل ناحية[4].

أما بالمغرب الإسلامي، فإن بيت الصلاة يمتد حتى يشغل نصف مساحة المسجد أو أكثر وفي هذه الحالة تلغى المجنبات، فيبدوا الصحن كأنه فناء فسيح في مؤخرة المسجد، وإن دار عليه سور، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال مساجد "تلمسان" خاصة المسجد الكبير المرابطي رغم أنه يبدوا من الوهلة الأولى أن صحنه محاط بمجنبتي من اليمين و الشّمال، ولكن في حقيقة الأمر ما هما إلى

---

1 - ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 206.

2 - محمد حمزة حداد، **مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية**، ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 2001م، ص34، 35.

3 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص88.

4- للمزيد من التفاصيل أنظر: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 144.كذلك: - حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية بالقاهرة**، ط1، بيروت، لبنان، 1993 م، ج1، ص32.

امتداد لبلاطات بيت الصلاة، و هذا ما نجده كذلك في المسجد الجامع الكبير "بالجزائر"، و بقية المساجد بالمغرب الإسلامي، وهذه الظاهرة راجعة بطبيعة الحال إلى الظروف المناخية التي تختلف عن المشرق الإسلامي، ذلك أن الأمطار بالمغرب الإسلامي أغزر و أطول مدى مما هي عليه في المشرق، فاتجهت العناية إلى تغطية أكبر مساحة ممكنة من المسجد[1].

كما تشغل بعض الصحون بمساجد مدينة "تلمسان" مقدمة المسجد في ظهر المحراب مثل مسجد حارة "الرماة" الذي أمّ فيه لمدة طويلة الفقيه الصالح "أبو القاسم بن أبي القاسم الحكيم التلمساني"[2].

وفي الحقيقة فإن الصحون المكشوفة تنكمش انكماشا شديدا في البلاد الإسلامية الباردة أو الشديدة الحرارة، ومن هنا نرى أنه تصغر كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا في البلاد الإسلامية، فهي تكاد أن تكون فناء مكشوف في "الحجاز"، و "إيران" و شبه القارة "الهندية"، و تصغر أحجمها جدا في مساجد "تركيا"، و ما إليها من البلاد الشمالية، وهي نادرة في المساجد الاستوائية، و في "الأندلس" نجد الصحون تنتهي عند خط "طليطلة" شمالا بسب كثرة الأمطار و برودة الجو معظم العام، و قد اقتضى الأمر إلى تصغير المساجد و إكثار عددها بالمدينة الواحدة، وليس هناك ما يدل على أن المساجد الجامعة في "طليطلة"[3] و سرقسطة و "وشقة" و "لاردة "و "تطيلة" كانت بها صحون و المسجد الوحيد الباقي الأثر في "سرقسطة" هو مسجد "الجعفرية" الذي بناه "أبو جعفر أحمد بن هود"، و هو مسجد صغير مغطى كله.[4]

رغم هذا فإننا ألفنا مساجد بصحون، وما هي إلا مساحة مكشوفة تستعمل للصلاة في الحالات القليلة دون أن تكون صحنا بالضرورة، فقد تكون كذلك بهوا أو حديقة، وهذا ما نجده بمسجد "علي بتشين" ويبدوا أن هذه المساحة أضيفت في فترة متأخرة عن بناء المسجد و لكنها أصبحت تؤذي مهام الصحن لما بها من مرافق، و بيت الوضوء.

---

1 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص89.

2 – ابن مرزوق محمد التلمساني، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهد، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ / 2009م، ص154.

3 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص89

4 – عبد العزيز سالم، "العمارة الإسلامية في الأندلس و تطورها"، **مجلة عالم الفكر**، العدد الأول (أفريل،ماي،جوان،جويلية)، الكويت، 1977م، ص89.

من أهم المتطلبات التي نجدها بالصحن كذلك، النافورة بوسط الصحن، و التي تساعد على تلطيف الجو كما تستعمل للوضوء و الشرب[1]، أما البئر (الجب)، فقد شاع بنائه في المساجد بالمغرب الإسلامي[2]، وقد نهى الفقه الإسلامي عن استعمال الماء المخصص للمسجد في استعمال خارجي حيث سئل "الونشريسي" رحمه الله، عن مسجد له جب يجلب إليه الماء من ساقية تدخل للبلد، و له دلو و حبل من غلة أحباس المسجد ليتوضأ الناس به، ثم إن بعض أهل الديار و المجاورين للمسجد المذكور يأتون للجب المذكور و يحملون من الماء في أوانيهم بالدلو و الحبل و المشتري من الحبس، فهل يجوز لهم ذلك ؟ فأجاب: "...ماء الجب المذكور إنما هو خاص بالمسجد المذكور.... و لا يجوز لأحد أن يستقي منه ليحمله إلى منزله.."[3].

في أول الأمر كان صحن المسجد يستعمل كامتداد لبيت الصلاة إذا ضاقت بالمصلين وذلك في يوم الجمعة، و لا يعتبر فيما عدا ذلك جزءا من المصلى نفسه، لهذا كانوا يترخصون في استعمال صحون المساجد فكانوا يتخذونها ممرات من طريق إلى طريق، و ربما جلسوا فيها للسمر أو البيع و الشراء أو النوم، وكانوا لا يراعون في نظافتها مثل ما يراعون في بيوت الصلاة، ثم أخذ الفقهاء يحددون استعمال صحون المساجد، و يحرمون القيام بأي عمل لا يتصل بالصلاة فيها، ثم اعتبر جزء أساسيا من المسجد، و قد بين ذلك "الزركشي" "في أحكام المساجد"[4]، وقد خلط البعض بين صحن المسجد الجامع، و حرم الجامع، و لكن الفقهاء فرقوا بينهما، فصحن المسجد ما يوجد بداخل جدرانه من فناء غير مسقوف، أما حرم المسجد فالمنطقة المحيطة به من مبان ملاصقة لجدرانه، أو رحبات خارجها، و قد اشترطوا فيها النظافة و حرموا الاتجار فيها لأن ذلك يشوب نظافة المسجد و جلاله إذا ازدحم الجامع[5].

---

1 – محمد حسين جودي، **العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها، ابتكاراتها جماليتها**، ط1، الأردن، 1419هـ/1998م، ص62.

2 – نلاحظ ذلك أيضا بمسجد القرويين بفاس، أنظر: – على ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص60.

3 – الونشريسي، المرجع السابق، ج7، ص55، 56.

4 – الزركشي، المصدر السابق، ص341.

5 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص70.

والصحن له حرمة المسجد، فلا يصلى فيه على الميت، و سئل "الونشريسي" رحمه الله عن مسجد يلاصقه صحن، و الدخول إلى المسجد على الصحن معمر منصب بإغلاق ورحبته قدام الصحن هي الطريق، وفيها شيء من الضيق فهل يجوز لنا أن نصلي على الميت في الصحن أم لا يصلي عليه إلا في رحبته ؟ والصحن المذكور يجلس فيه بعض يعملون الحلفاء و ما أشبه ذلك و هل يجوز لهم ذلك أم لا ؟ ، فأجاب عن السؤال بما حوله: " أن الصحن الذي يغلق عليه باب المسجد له حرمة المسجد و حكمه، فلا يصلى فيه على الميت، لأن الميت لا يدخل إلى المسجد و لا يعمل فيه عمل الدنيا، و لا شغل من أشغالها، ولم تبنى المساجد إلا لأعمال الآخرة."[1].

وقد كره الفقهاء غرس الشجر في صحون المساجد[2] خوفا مما ينجم من المشكلات بسبب ثمرها، وبسبب الطيور التي تسكن الشجر و تكون سببا من أسباب عدم نظافة الصحن، و منها كذلك فضالات الطيور التي تأثر على البناء لكونها مادة حمضية تتلف الجدران، وقد سئل "أبو سعيد بن لب" عن الغراسة في المسجد، فأجاب: مذهب مالك المنع من ذلك، و إن غرس شيء قلع و ذلك مذهب "الأوزاعي" جواز ذلك، فأما ثمرها فلم يتكلم المتقدمون عليها ووقع في نوازل "ابن سهل" ثلاثة أقوال: أحدهما أنه يكون لجماعة المسلمين، الثاني أنه يكون للمؤذنين و شبيههم من خدام المسجد، و الثالث أن ذلك للفقراء، و المساكين، والصحيح أنه لجماعة المسلمين لأنه كل واحد له حق في المسجد.[3] و قال "الونشريسي": "... هذه إحدى المسائل الست التي خالف الأندلسيون فيها مذهب "مالك"[4] ، وقد أضاف "الزركشي" إلى ما ذكره "الونشريسي" بقوله:" و ذكر "أبو الوليد بن الفرضي" في تاريخ الأندلس أن "صعصعة بن سلام الشامي" يروي عن "الأوزاعي" قال: " وولي القضاء "بقرطبة" وفي أيامه غرست الشجر في المسجد الجامع، قال وهو مذهب "الأوزاعي" و الشاميين ويكرهه "مالك" و أصحابه.... "[5].

---

1 – الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص162.

2 – للمزيد من التفاصيل أنظر: – محمد بن حمو، المرجع السابق، ص131، 132.

3 – الونشريسي، المصدر السابق ، ج11، ص13.

4 – نفسه.

5 – الزركشي، المصدر السابق، ص341.

كما ذهب "عبد الحميد الصائغ" إلى الإكراه على رأي المالكيين، حيث سئل عمن كان عنده شعير أخضر أو تين كذلك لم يجد أن ينشره إلا في صحن المسجد هل يباح له ذلك و كذلك المبيت فيه للغريب أو الحاضر في الليل و النهار للقائلة و كذا نشر الثياب؟ فأجاب: " المساجد حبس للصلاة و فعل الخير فينزه المسجد عن الأكل و المبيت للأضياف (الضيوف) و غيرهم، و نشر أخاف إن أبيح للمضطر أن يتعدى ذلك لغيره كالديار و هذا ينظر فيه حين نزوله بحسب الحال".[1]

سارت مساجد مدينة "تلمسان" خاصة الجامعة منها على نمط مسجد القيروان، حيث أتخذ لها صحون في مؤخرة المسجد و زودت بنافورة جلب إليها الماء للوضوء، و لتلطيف الجو داخل المسجد، و هذا ما نجده في المسجد الجامع المرابطي، و مسجد العباد، و مسجد سيدي إبراهيم، و مسجد سيدي "الحلوي"، و يبدوا أن مسجد جامع المنصورة كان به صحنا في مؤخرته[2]، و هذا بمدينة تلمسان، كما نجده في الجامع المرابطي بمدينة و مسجد علي بتشين بمدينة الجزائر.

6- الميضأة:

حيث التشريع الإسلامي المصلين بالخروج إلى المساجد على وضوء، و يبدوا ذلك جليا من خلال قول الرسول صلى الله عليه و سلم: " صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته و في سوقه خمسا و عشرين ضعفا و ذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة و حط عنه بها خطيئة. فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه..."[3]، و يبدوا أن المساجد لم تكن بها مراحيض، و إنما جعلت خارجها لما فيها من ضرر جراء الرائحة التي تنبعث منها، و قد جعل الرسول صلى الله عليه و سلم بمدينته مواضع لقضاء الحاجات تسمى بالمناصع، ثم أمر بإلحاق بيوت الخلاء بالمنازل، و لم يأمر بجعلها كذلك بالمساجد، و هذا حرصا منه عليه الصلاة و السلام على نظافة المساجد.[4]

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص440.

2 - للمزيد من التفاصيل أنظر: - عبد لعزيز لعرج، **مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية" عمرنا و عمارة و فنا"**، ط2، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2011م، ص148.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن....، ج3، ص430.

4 - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص50.

ويبدوا أن مساجد المغرب الإسلامي سارت وفقا لتوجيهات الرسول صلى الله عليه و سلم، و هذا ما يؤكده نص المسألة التي وجهت إلى "ابن لبابة" مضمونها: عن ميضأة مسجد خارجة عن دار المسجد، و إنما كانت قد ردت من الداخل الدار ثم قام أكثر الجيران فقالوا إنه يدخل الصبيان، و من لا يجب دخوله للمسجد إلى الميضأة، فردوا باب الميضأة خارجا عن المسجد كما كان بابها في ما مضى، و استظهر في ذلك بقوم أتى بهم و ذكر أن بعض الجيران أراد فتح باب الميضأة في داخل المسجد. فأجاب: "....و إني أكرمكم الله كثيرا أمر بالمسجد، و رأيت الميضأة مفتوحا في الشارع في موضع حسن، و بلغني أنها هكذا كانت في ابتداء بنيانها حتى رأى بعض من كان في المسجد رد الباب داخل المسجد، فمضى زمانا كذلك فلما استفتحه وجده أهل المسجد ممن يدخل الميضأة على المسجد و لا يتحفظ من الصبيان و ينال ضرر ذلك المسجد رد الباب إلى ما كان عليه فرأيت رده نظرا للمسجد و حفظا له و صونا عمن يدخله و لا يتحفظ من الصبيان و كذلك يجب أن يتحفظ بالمساجد و يقطع عنها كل من يدنسها...."[1].

و يقول "الزركشي" في حكم بناء الميضأة بقوله: " يجور بناء المطاهر بالقرب من المساجد و التوضئة، و قد روى "أبو عبد الله بن بطة" في كتاب جواز اتخاذ السقاية في رحبة المسجد من جهة "عبد الرزاق": حدثنا "الثوري" عن "المقدام بن شريح" عن أبيه عن "عائشة" رضي الله عنها قالت: كن المعتكفات إذا حضن أمر رسول الله بإخراجهن من المسجد، و أن يضربن الأخبية في رحبة المسجد حتى يطهرن، و ذكر فيه حكاية من "أحمد بن حنبل" أنه احتج بذلك، و هو يدل على صحته عنده، و في كتاب الطهور "لأبي عبيد" عن "إبراهيم النخعي" قال: كانوا يتطهرون من مطاهر المساجد، و روى فعل ذلك عن "علي" و "أبي هريرة" رضي الله عنهما"[2].

كما أن كتب الحسبة لم تغفل عن التطرق إلى نظافة المساجد خاصة الأماكن المخصصة للوضوء و قضاء الحاجة، حيث ذكر "ابن عبدون" عند تطرقه لدور المحتسب في المدينة الإسلامية بقوله:

---

1 – الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص443.

2 – الزركشي، المصدر السابق، ص383.

" يجب أن يُؤمر أحد الكنّافين أن يتعاهد بيوته كلّ يوم و ينظّفها، و يكون راتبا لذلك، و يجعل له أجرة من الأحباس"[1].

سارت مدينة "الجزائر" و مساجدها على هذا النمط خاصة في الفترة العثمانية، حيث بنيت المراحيض العمومية، و لم تجعل في المساجد، و يبدوا أنها كانت موزعة بطريقة دقيقة لتكون في خدمة رواد المساجد خاصة الغرباء عن المدينة، و قد قام الجنرال "كلوزيل" بهدمها في الفترة الفرنسية[2].

7- السطح:

يعرف "ابن منظور" السطح لغة بقوله: " السّطح: سطحك الشيء على وجه الأرض كما تقول في الحرب: سطحوهم أي أضجعوهم على الأرض. و تسطّح الشيء و انسطح: انبسط، وفي حديث "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه قال للمرأة التي معها الصبيان: أطعميهم و أنا أسطح لك أي أبسطه حتى يبرد، والسّطح: ظهر البيت إذا كان مستويا لانبساطه، معروف، وهو من كل شيء أعلاه، و الجمع سطوح، و فعلك التّسطيح. و سطح البيت يسطحه سطحا و سطّحه سوّى سطحها"[3].

لم تكن تستعمل سطوح المساجد للصلاة إلا نادر، و ذلك راجعا لنظام تغطية المساجد، رغم أن الفقه الإسلامي أجاز الصلاة على السطوح، و ذكر لنا الإمام "البخاري" حديثا في هذا الباب حيث قال: " قال "أبو عبد الله": و لم يرى "الحسن" بأسا أن يصلى على المساجد و القناطر، و صلى "أبو هريرة" على سقف المسجد بصلاة الإمام..."[4]. وسبب الصلاة على السطح هو ضيق

---

1 - ابن عبدون محمد بن أحمد التجيني (توفي: 299هـ/911م)، **رسالة في آداب الحسبة و المحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، منتجة للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، م2، 1955م، ص23.

2 - حمدان بن عثمان خوجه (عاش خلال القرن 13هـ/ 19م)، **المرآة**، تحقيق و تعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص249.

3 - ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 424.

4 - البخاري، المصدر السابق، ص460.

المسجد مما يضطر المصلون لصعود إلى السطح[1]، وكذلك في موسم الحر يستعمله المصلون كمصلى طلبا للهواء المنعش، وهذا من النوادر قلنا لأن المسجد حين يضيق بالمصلين يستعمل الأفنية التي هي من حرم المسجد وتستعمل كذلك في فصل الصيف هروبا من حرارة المبنى، وسئل "السوري"، عن مسجد له أسطح، و يحتاج إليه لشدة الحر في الصيف و في الشتاء للشمس فأراد أهل المسجد إحداث درج للصعود لمصلحة، لذلك هل يجوز أم لا ؟ و إذا لم يجز فهل يصنع سلم من عود يصعد عليه فوق المسجد ؟ و قد نزلت من غير موضع فمن الناس من فعل الأول، ومنهم من فعل الثاني، و المساجد قديمة لم يكن فيها شيء من ذلك، فأجاب: "إن كان الدرج لا يمنع أحدا من المصلين، أو لا يحتاج إلى الموضع الذي يعمل فيه الدرج للعادة، فيفعل من عود بحيث لا يضيق. "[2]

اعتمدت مساجد مدينة "تلمسان" في تخطيتها على السقف الجاملوني، أو الهرمي، و مثل هذه السطوح غير مهيأة للصلاة عليها، و على هذا الأساس سارت مساجد مدينة "الجزائر"، حيث جعلت سقوف مساجد على الطراز الجمالوني مثل الجامع المرابطي، أو نظام تخطية المساجد بالأقبية نصف برميلية و أقبية صغيرة على ما هو معهود بالجامع "الجديد"، أو استخدام قبة مركزية مع مجموعة من القباب الصغيرة مثل ما هو في جامع "علي بتشيين"، و هذين النظامين ظهرا في الفترة العثمانية.

7 – المئذنة:

الأذان لغة: الإعلام و هو اشتقاق من الأذن . بفتحتين . و هو الاستماع، قال الله تعالى:﴿ **وَ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ**.... ﴾[3]، أي إعلام. كما يقول عز وجل: ﴿.. **آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ**... ﴾[4]، أي أعلمتكم فاستوينا في العلم، و شرعا: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة.

---

1 – كان النظام المعروف في تسقيف المساجد يعرف بالتسقيف الخشبي مند العصر الإسلامي المبكر، إذ نجده يغطي أروقة المسجد الأموي بدمشق، و المسجد الأموي بقرطبة، ومسجد القرويين بفاس، وجل المساجد المبكرة، فيظهر التسقيف من الداخل على شكل ألواح متعامدة أما من الخارج فهو ذو شكل هرمي، ثم تطور نظام التسقيف إلى أن ظهر نظام القبة المركزية، و على هذا نلاحظ أن المساجد سطحها لم يكن مهيأ للصلاة عليه. أنظر: – فريد شافعي، المرجع السابق، ج1، ص197.

2 – الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 39.

3 – سورة التوبة الآية رقم: 3.

4 – سورة الأنبياء الآية رقم: 109.

أما فضله فقد روى لنا "أبو هريرة" رضي الله عنه، عدة أحاديث في هذا الباب، و من بينها ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عن فضل الأذان: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا "[1].

و عن "أبي هريرة"[2]رضي الله عنهما قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و سمعت من فيه يقول: المؤذن يغفر له مدى صوته و يشهد له كل رطب و يابس. "[3]. أما سبب مشروعيته، فعن "عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما قال: " كان المسلمون لما قدموا المدينة يجتمعون، فيتحينون الصّلاة ليس ينادى لها، فتكلم يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، و قال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصّلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا "بلال" قم فناد بالصّلاة."[4]

إذا بحثنا في المصطلحات و الأسماء التي أطلقت، أو استعملها المؤرخون المسلمون للدلالة على المكان الذي يرفع منه الآذان في المساجد، لوجدنا عدة أسماء اختلفت حسب البيئة الجغرافية، حيث استعمل مؤرخو العرب كلمة صومعة للدلالة على برج البيعة، التي يعيش فيها زهاد النصارى، و لعل إطلاق هذا الاسم على المئذنة يرجع إلى أن المئذنة الأولى سواء في "الشام" و "مصر"، أم في "المغرب الإسلامي" و "الأندلس "كانت تتخذ شكلا مربعا.

---

1 – البخاري، المصدر السابق، ص123.

2 – أسلم قديما مع أبيه و لم يبلغ الحلم، و هاجر و عمره عشر سنين، و قد أستصغر يوم أحد، و كان ابن أربع عشرة سنة، أعتق في حياته ألف رقبة، و ما كان يأكل طعاما إلا و معه يتيم، و روى عن النبي أحاديث كثيرة. للمزيد من التفاصيل أنظر: – ابن كثير، البداية...، ج5، ص350.

3 – البيهقي، المصدر السابق، ج1، رقم الحديث1861، ص584.

4 للمزيد من التفاصيل، أنظر:– العويشة، المرجع السابق، ج1، ص 359. كذلك:– ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 154، 155. كذلك: – ابن كثير، البداية....،ج2، ص243.

وقد شاع استخدام أهل المغرب الإسلامي لكلمة الصومعة للدلالة على المئذنة، و ما تزال كلمة صومعة هي المصطلح الشائع في بلدان المغرب الإسلامي حتى وقتنا هذا، و لعل ذلك راجع إلى أن شكل المئذنة في هذه البلاد ما يزال يحتفظ بصورته المربعة الأولى.

و الواقع أن هناك ارتباك كبير في استخدام هذه الألفاظ الأربعة: صومعة، و منارة، و منار، و مئذنة، فقد استعمل "الإدريسي"، و "ابن عذارى" كلمتي صومعة و منارة في آن واحد[1].

ولكي نفسر معنى كلمة منارة يستلزم الأمر تفسير كلمة منار، و هذه اللفظة الأخيرة مشتقة من فعل أنار أي أشعل و أضاء، و بالتالي فإن كلمة منار تعني المكان الذي ينبعث منه النور، أو تشتعل فيه النار، ثم أفضى الأمر بهذه الكلمة أن أطلقت على المنائر و المحارس، أو الأبراج المرتفعة لإرسال الإشارات عن طريق إشعال النار للمراقبة، و هداية من ضل بهم السبيل، و قد أستخدم مؤرخو و جغرافيو المغرب في أوصافهم نفس هذا اللفظ للدلالة على نفس المعنى الذي ذكرناه، فقد أطلق "البكري" على منار "سوسة" اسم منار، و أطلقها الرحالة "ابن بطوطة" و "ابن جبير" على منار "الإسكندرية"، و من ذلك نستنتج أن كلمة منار كان المقصود بها التعبير عن برج عال مرتفع توقد فيه النيران لإرسال الإشارات، أو لهداية الضالين، و يغلب الظن أن هذه الكلمة انتقل إلى المآذن لا لمشابهتها لأبراج الفنارات كما يدعي "بتلر" و "تيرش"، و إنما لأن من وظائف المئذنة إرسال الإشارات و المراقبة و الهداية كما هو الحال في منار رباط "سوسة" و "المنستير"[2].

لم تعرف المساجد الأولى التي بناها المسلمون المآذن، فالأصل في اتخاذها هو إيصال الأذان إلى أبعد مكان ممكن، ومما يوحي بفكرة إنشاء المآذن لإعلان و الدعوة إلى الصلاة، هو اختيار "بلال" رضي الله عنه أعلى بيت بالمدينة ليؤذن منه[3]، كما يشير "الحميري" بأن "أبا بكر الصديق" رضي الله عنه قام ببناء منار على جبل "أجياد" ينادي عليه المؤذنون في رمضان[4]. ويقول

---

1 – بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص276.

2 – نفسه

3 – ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 156.

4 – أجياد بفتح أوله و إسكان ثانيه و بالياء أخت الواو و الدال المهملة، كأنه جمع جيد أحد جبال مكة، و هو الجبل الأخضر العالي بغربي المسجد الحرام، يقابل من الكعبة الركن اليماني يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام، و يقابل قعيقعان من ناحية الغرب. للمزيد من التفاصيل أنظر: – الحميري، المصدر السابق، ص12.

"السيوطي": " إن أول من رقى منارة مصر للأذان "شرحبيل بن عامر المرادي" وبنا "سلمة" المنائر للأذان بأمر "معاوية بن سفيان"، و لم تكن قبل ذلك، وقال "ابن سعد" بالسند إلى "أم زيد بن ثابت": " كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد، وقد رفع له شيء فوق ظهره." [1].

و إذا عدنا إلى التأصيل التاريخي للمآذن نجد أن أقدم من تكلم عنها "البلاذري" في مصنفه "فتوح البلدان" حيث يذكر أن "زياد بن أبيه" عامل "معاوية بن أبي سفيان" على العراق بنى لجامع "البصرة" منارة[2] من حجر في سنة (45هـ/ 665م)، و ذلك عندما هدم الجامع الأول، و أعاد بناءه بالحجر، و ليست لنا تفاصيل عن النمط التخطيطي لها، و ما يمكن أن نلاحظه أن اسم المنارة هو الذي أطلق على المآذن أول ما ظهرت في العمارة الدينية.

و يذكر "المقريزي" أن "مسلمة بن مخلد" الذي كان عامل "مصر" "لمعاوية بن أبي سفيان" و ابنه "يزيد" و حفيده "معاوية" (47هـ- 62هـ / 667م- 681م) أنشأ في سنة (53هـ/ 672م) أربعة صوامع في أركان جامع "عمرو بن العاص" في "الفسطاط" لغرض الآذان، و أمر أن تبنى منارات في معظم مساجد "الفسطاط" الأخرى، و أمر مؤذني جامع "عمرو بن العاص" بأن يبدءوا بالآذان للصلوات ثم يتلوهم المؤذنون في المنارات.[3]

ويمكن القول بأن المآذن نشأت عن الصوامع (و هي الأبراج) و المنائر، ثم امتزج الطرازان معا فظهرت مآذن المساجد الأولى التي بقيت لنا بعضها إلى اليوم، و إذا نظرنا إلى تخطيط مئذنة "جامع عقبة بن نافع" في "القيروان" مثلا نلاحظ أنها تتكون من جزأين أساسيين: البدن أو القاعدة،

1- محمد الدين القاسمي، المصدر السابق، ص 106.

2 - البلاذري، المصدر السابق، ص 356.

3 - يذكر المقريزي أن الشريف أبو عبد الله بن أسعد الجواني سمع عن الأمير "تأييد الدولة "تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة 539هـ/ 1144م: " حدثني القاضي أبو الحسين على بن الحسين الخلعي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي، قال: كان في مصر الفسطاط من المساجد 36 ألف مسجد...". للمزيد من التفاصيل أنظر: - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، تحقيق: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1998م، ج1، ص911.

و هي بناء مربع مرتفع سميك الجدران بداخله سلم يؤدي إلى سطحه، فهي إذن مقتبسة من البرج القديم، ثم تلي ذلك منارة تقوم على هذا البرج في هيئة بنائين واحد منها فوق الآخر، الأدنى منهما أصغر حجما من البدن و الأعلى أصغرهما جميعا، و مئذنة جامع "عقبة" إذن برج و منارة في آن واحد، فإن الأذان كان يرفع من سطح البدن، أو البرج الأسفل، و السلالم الرئيسية تنتهي عند هذه الشرفة[1].

ثم تلي ذلك من حيث الترتيب الزمني صوامع المسجد الأموي "بدمشق"، فقد أنشئ هذا المسجد أيام "معاوية بن أبي سفيان" على أنقاض معبد روماني قديم تحول إلى كنيسة، ثم هجرت حتى جاء المسلمون فانتفعوا ببناء المعبد القديم و حولوه إلى مسجد جامع، و بعد سنوات رفعوا فوق الأبراج التي كانت قائمة في أركان المعبد القديم ظلات خشبية تقوم على عمد خشبية أيضا، يستظل بها المؤذنون عندما يرفعون الأذان، فلما جدد "عبد الملك بن مروان" منار الجامع الأموي و أعطاه صورته الحالية جدد أيضا ظلات المآذن سنة (96هـ/ 715م)، و لا يزال بعضها باقيا إلى اليوم، و الجدير بالذكر أن المئذنتين الحاليتين في مسجد "دمشق" و اللتين ترتفعان فوق البرجين الرومانيين القديمين الجنوبي الشرقي و الجنوبي الغربي، قد أعيد بناؤهما في عصر متأخر[2].

و على هذا الأساس تعتبر مئذنة "جامع عقبة بن نافع" في "القيروان" نقطة البداية لتاريخ المآذن و تطورها، و قد أنشئت هذه المئذنة أول مرة على يد "بشر بن صفوان" عامل بني أمية على "القيروان" فيما بين سنتي (105هـ- 109هـ/ 724م- 729م)، فهي على هذا أقدم المآذن الباقية إلى اليوم، و تليها في القدم منارة قصر "الحيرى" الشرقي في بادية الشام و يرجع إنشاؤها إلى حوالي سنة (110هـ/ 730م)[3].

و تقوم مئذنة جامع "القيروان" على قاعدة مربعة مرتفعة سميكة الجدران و يدخل إليها من باب ذي عقد على شكل حذوة فرس، و ينفذ الضوء داخلها من شبابيك فوق الباب ذات عقود من

---

1 - عبد العزيز السالم، **المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها و تطورها منذ الفتح العربي حتى نهاية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، دون سنة الطبع، ص4.

2 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص114.

3 - عبد العزيز السالم، المآذن...،ص4.

نفس الطراز، و تتكون هذه الشبابيك في جدران القاعدة الأخرى، و يصعد إلى السطح بسلالم ضخمة داخلية تدور مع الجدران، و من سطح القاعدة يرتفع بناء أصغر حجما من نفس الطراز يعلوه بناء ثالث، و فوق هذه الطبقات أنشئ الجوسق، و هو رأس المئذنة، و يقول "فريد الشافعي" على طراز مئذنة "عقبة بن نافع" "بالقيروان": " و أغلب ظننا أن جميع مآذن العالم الإسلامي كله في العصر المبكر، كانت تتبع تكوينيا و معماريا مشتركا و مشابها لمئذنة جامع "القيروان"، و ينحصر الاختلاف في النسب المعمارية للقواعد و طبقاتها العالية أو أبدانها، و ذلك من ناحية طول ضلعها إن كانت مربعة المسقط، أو قطرها إن كانت مستديرة بالنسبة لارتفاعها، و من ناحية عمل الجوسق واحد فوقها مباشرة أو يأتي فوقها طابق وسيط، أو بمعنى آخر عمل شرفة واحدة أو شرفتين، و أغلب ظننا أيضا أنه في جميع الحالات و النماذج كان الجوسق العلوي يغطى بقبة تتبع الأسلوب المحلي السائد في المنطقة أو الإقليم، وغالبا ما كانت الشرفات تغطى بمظلة من الخشب و ذلك في الأقطار التي تكثر فيها الأمطار حتى تحميها منها و تمنع ماء المطر من التسرب إلى السلم، و كانت تشبه في ذلك الأمثلة الباقية في "الشام" و "العراق" و "فارس"..."[1].

لقد حافظت مآذن المغرب الإسلامي على طراز مئذنة "عقبة بن نافع" "بالقيروان"، و قد استعملت كثيرا لأغراض الدفاعية، و لهذا جعلت في غالب الأحيان عند الجدار المقابل لجدار القبلة، أي في مؤخرة المسجد، و الدخول إليها يكون من داخل الصحن، أو من خارج الجامع، أما من حيث تخطيطها فهي عبارة عن بدن ضخم يقوم عند منتصف جدار الصحن، و قد يرتفع هذا البدن في هيئة مستطيل ضخم يصل ارتفاعه إلى ما يزيد على عشرين مترا أحيانا، هذا مانراه في مسجد "أغادير" و المسجد الجامع المرابطي في "تلمسان"، و انتشر هذا الطراز في مدن المغرب الإسلامي، واتخذت أشكالا مختلفة وعلو شاهق[2]، لذلك كان من الضروري أن يراعى في بنائها حرمة الجيران،

---

1 – فريد الشافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة لتأليف، مصر، 1970 م، ج1، ص647.

2– أجمع المؤرخون على أنه كان لمساجد الإسلام الأولى مآذن و منارات، و أن الآذان كان متبع في عهد الرسول، إلا أن مآذن المساجد الأولى قد اندثرت، و ظلت مئذنة القيروان قائمة، فهي إذن أقدم مئذنة بالعالم الإسلامي. أنظر بالتفصيل حول التسلسل التاريخي لظهور المآذن، وأشكالها المختلفة بالمغرب الإسلامي للمزيد من التفاصيل أنظر:– احمد فكري، المرجع السابق، ص110.
وكذلك: – عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن في الجزائر**، ط1، مكتبة زهراء الشرق، قاهرة، مصر، 2006 م ص 17.
و كذلك: Marçais, G. L'Architecteur .....,p20.

ولكن مع كبر المدن و الأمصار أصبح من الصعب الحفاظ على هذا الشرط[1]، و لكون الدور أصبحت تحيط بالمسجد من كل الجهة، و ربما يفصلها عن المسجد شارع يمكن أن يكون ضيق من جانبي المسجد وواسع من جهة الأبواب الرئيسية للولوج إليه و سئل "ابن رشد" عن صومعة أحدثت في المسجد فشكا بعض الجيران من الكشف منها ؟ فأجاب "ابن رشد": "....و الصعود في الصومعة للأذان يتكرر مرارا في كل يوم من الأيام والرواية في سماع أشهب عن مالك بالمنع من الصعود إليها، و الرقي عليها منصوصة على علمك، و المعنى فيها صحيح، و به أقول، و إن كان يطلع منها على الدور من بعض نواحيها دون بعض فيمنع من الوصول منها إلى الجهة التي يطلع منها بحاجز يبنى بين تلك الجهة و غيرها من الجهات، وعندنا بقرطبة في كثير من صوامعنا[2] ".

تقع مآذن مدينة "تلمسان" الجامع منها في منتصف جدار مؤخرة المسجد، و هذا في مسجد "أغادير"، و المسجد الجامع المرابطي، و المسجد الجامع لمدينة "المنصورة"، و ما يمكن ملاحظته أن هذه المساجد أبوابها الرئيسية تقع بهذا الجدار، و فتحت على الطريق الذي يمر أما هذه المساجد، و بالتالي فإن موقعها في منتصف جدار مؤخرة المسجد كان يضمن حرمة المساكن، كون المؤذن لا يمكنه أن يطلع على حرمات المساكن لأنها يفصلها عن المساجد طريق، و يمكن أن نشير أن صحن المساكن صغير يمكن لنسوة أن يتحججن عند سماع صوت المؤذن، أو اقتراب وقت الآذان، و هذا ما نلاحظه كذلك بمساجد مدينة "الجزائر"، إلا أنها لا تقع في منتصف جدار مؤخرة المسجد، بل يتحكم في موقعها تواجد الشوارع و الأزقة، حيث نرى أنها تقع في الركن الأيسر لجدار مؤخرة المسجد بالنسبة للمسجد جامع الكبير المرابطي و الجامع الجديد، و يمر بمحاذاتهما شارع البحرية، أما مئذنة مسجد "علي بتشين" فتقع في جدار القبلة على الركن الأيمن، و يمر بمحاذتها الشارع الرئيسي الذي ينطلق من باب "عزون" إلى باب "الوادي".

---

1 - EDMOD. D, **Les minarets et l'appel à la prière**, in Revue Africaine, 1899, p339.

2 - الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 23. كذلك:- ابن الرامي، المصدر السابق، ص79.

و بالإضافة إلى دورها الديني فقد تلعب في البلدان و المدن الساحلية دور الاستطلاع و مراقبة العدو[1] خاصة في الثغور التي اعتاد العدو الزحف عليها، ويطلق عليها بالعساس[2]، و هذا ما نجده في المسجد الجامع المرابطي لمدينة "الجزائر"، فمئذنته تلعب هذا الدور كذلك، حيث نراها شاهقة باستطاعة المراقب أن يترصد العدو من مكان بعيد، و قد تلعب كذلك دور المنار لإرشاد الهابطين للبحر للصيد، و كذلك السفن التجارية[3]. و لقد ذكر لنا "الونشريسي" من خلال هذه النازلة هذا الدور فقال رحمه الله: " عن أهل قرية دخل النصارى قريتهم و خربوها و خلت القرية، و بقي جامعها قائم البناء، و صومعة المسجد كذلك، و للمسجد حبس كثير، تألف منه حظ قدر، والجامع غني عنه، فأراد أهل قرية بناء قامرة على الصومعة المذكورة تكون لإغاثة لأهل بلش...فهل يسوغ لهم ذلك ؟ فأجاب: تكبير الصومعة المذكورة و جعلها قامرة لا يخرجها عن أن تبقى منارا يؤذن بها.." [4].

و من الأمور التي استحدثت في مهام المئذنة و لا يزال حتى في زمننا هذا هو نعي الميت خاصة في المشرق الإسلامي، وقد سئل "الونشريسي" عن أهل موضع عادتهم إذا مات لهم إنسان يصعد احدهم في ربع النهار في منار الجامع الأعظم و يقرأ شيئا من القرآن و يذكر نحو ما يفعل المؤذن بالليل ثم يدور في المنار و يقول مات فلان و جنازته في كذا... ، فأجاب رحمه الله: " إن ذلك من أشد النعي الذي جاء النهي عنه في الحديث، فالواجب التقدم فيه بالنهي عنه و المنع منه لقبحه بفعله في الصوامع التي لم يشرع فيها إلا إعلان بالأوقات لإقامة شرائع الصلاة. "[5].

و تستعمل كذلك في إنشاد الشعر الغزلي، و هذا ما نجده حاليا في المسجد الجامع المرابطي "بتلمسان"، وقد سئل "الونشريسي" إنشاد الشعر الغزلي في الصوامع عقب التهليل و ما معه من الأذكار ما حكمه ؟ فأجاب: " إنشاد الشعر الغزلي و غيره في الصوامع من البدع التابعة لبدع

---

1 – للمزيد من التفاصيل أنظر: – محمد بن حمو، المرجع السابق، ص 149.

2 – عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص 19.

3 – طه الولي، المرجع السابق، ص 246.

4– الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 149.

5 – نفسه ، ج1، ص317.

الأصل الأذان و حده، ثم اتبع الأذكار لقصد الإيقاظ، ثم اتبع الغناء و السماع، و هذا كله من الابتداع..."[1].

و يرى الشيخ "طه الولي" أن شكل مآذن بمساجد المغرب الإسلامي قد ارتبط بمذهب المصلين في المسجد الموجودة فيه، خاصة في "تونس" و "الجزائر" و "المغرب"[2]، حيث عرفت المساجد ذات المآذن المربعة الشكل بالمساجد المالكية، أما المساجد ذات المآذن الأسطوانية فهي للجماعة الحنفية، و يعلل ذلك بقوله:"...ويرجع تاريخ هذا التميز على الزمن التي كانت فيه هذه الأقطار المغربية تابعة للسلطة العثمانية في "اسطنبول"، فإن العثمانيين كانوا يأخذون بالمذهب الحنفي، و يعينون القضاة و المفتين من الذين هم على مذهبهم، و كذلك كان الولاة.....يحرصون على جعل مآذنها اسطوانية على طريقتهم في البلاد التركية... "[3].

8- خزانة الكتب:

من المعلوم أن الكثير من الكتب صنفت في المساجد، و من يتصفح الكتب المخطوطة المنتشرة في دور المكتبات في أنحاء البلاد الإسلامية يجد قسما كبيرا منها صنفت في المساجد، كما أن كتب التاريخ و التراجم تزخر بالعلماء و الفقهاء و الأدباء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بأنواع العلوم و المعارف، و يؤلفون آثارهم العلمية، و من أجل أن يحقق المسجد مطامح الطلبة فقد ألحقت في كل مسجد خزانة كتب عامرة تضم عددا وافرا من الكتب العلمية في مختلف مواضيع العلم و الأدب، و قد تسابق الناس إلى تزويد المساجد بالكتب لتعم فائدتها على الناس، و يكسب بها المؤلف الآجر كما يحافظ على كتبه من أن تبددها الأيدي، و يبدوا أن انتعاش عملية تزويد خزائن المساجد بالكتب كانت في منتصف القرن الثامن للهجرة[4] بعدما فترت حركة بناء

---

1 - الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص360.

2 - المغرب لم تدخل تحت لواء الدولة العثمانية، و من خلال الزيارات التي قمت بها إلى المغرب لم أشاهد مساجد ذات مآذن أسطوانية، و إن وجدت فهي ربما تأثرت بالطراز العثماني في الجزائر.

3 - طه الولي، المرجع السابق، ص254.

4 - الحسين إسكاف، **تاريخ التعليم بالمغرب من خلال العصر الوسيط (1هـ ـ 9هـ / 7م ـ15م)**، المطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004م، ص91 ـ97.

المدارس فأصبحت بعض المساجد أشبه بالأكاديمية العلمية و الثقافية، و كان لهذا الأثر الكبير في نجاح الدرس و التدريس و البحث و التصنيف[1].

لا تخلوا المساجد من خزائن الكتب سواء السابقة أو الحالية، و كان من الطبيعي أن تنتشر هذه الخزانات في المساجد خاصة في الفترة الموحدية لكثرة التأليف[2]، وذلك للاستقرار الذي عرفه المغرب الإسلامي في هذه الفترة وكذلك تشجيع الحكام و تسابق الأغنياء على اقتناء الكتب، و وقفها على خزائن المساجد و فق شروط يضعها الواقف، وكانت الكتب تخضع في إعارتها أو نسخها أو مطالعتها للشروط التي يضعها الواقف[3].

و كان طلبة العلم يستفيدون من نسخ الكتب الموجودة بهذه الخزائن، إذا ما ورد ذلك في متن الوقفية، وقد سئل الفقيه "أحمد القباب" عن وقفية اشترط فيها الواقف أن يقرأ كتابه و يطالع

---

1 – محمد السعيد الطريحي، المرجع السابق، ص 10.

2 – المقري، المصدر السابق، ج5، ص275، 276.

3 – من خلال وقفية ابن عنان (محفوظة في أعلى مستودع الجانب الشرقي لمسجد جامع القرويين بفاس) يمكن إعطاء مثال حول الشروط التي يضعها الواقف لوقفه و التي يحرص ناظر الأوقاف على تطبيقها و جاء نصها كمايلي:

– الحمد لله حق حمده.....و رضي الله عنه. سطر الأول.

– ملوك الزمان المظفر المولى أبو عنان ابن الخلفاء الراشدين. السطر الرابع.

– التعظيم و التكريم جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا لجميع المسلمين. السطر الثامن.

– حتى يرث الله الأرض و من عليها.....السطر التاسع.

– الله على طلبة العلم و إظهاره و ارتقائه و اشتهاره و تسهيلا لمن. السطر العاشر.

– أراد القراءة و النسخ منها و المطالعة و المقابلة و ليست لأحد أن يخرجها. السطر الحادي عشر.

– من أعلى الموضع التي هي فيه و لا يغفل للمحافظة عليها و التنويه. السطر الثاني عشر.

– سلكه و ذلك في جمادي الأولى عام خمسين و سبعمائة..... السطر الأخير.

* الشروط التي وضعها الواقف:

– وقفا مؤبدا لجميع المسلمين: يستفاد من هذه العبارة أن الوقف فسح المجال لكل المسلمين و لم يحدد المجال السياسي و الجغرافي.

– حتى يرث الله الأرض : يستفاد أن الواقف لم يحدد الإطار الجغرافي، فهو كذلك لم يحدد الزمان، هذا ما يعبر عنه بالوقف المؤبد.

– و تسهيلا لمن أراد القراءة و النسخ و المطالعة و المقابلة.

– و ليست لأحد أن يخرجها من أعلى الموضع: يقصد هنا نص الوقفية و جاءت كلمة الموضع يراد بها الخزانة أو باب المستودع. للمزيد من التفاصيل انظر: – عبد الهادي التازي، **جامع القروين، المسجد و الجامع بمدينة فاس**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972 م، ص331.

فقط و لم يذكر النسخ فهل يجوز نسخه ؟ فأجاب: " إذا لم تذكر الوقفية النسخ فلا ينسخ الكتاب، ثم أضاف: إن "القاضي ابن رشد" الجد ألقي عليه نفس السؤال فكان الجواب ما قلت. "[1]، و قد نص الفقهاء أن شرط الواقف[2] كنص الشارع[3].

ولم يقتصر دور خزانة الكتب في المساجد على خزن الكتب و المطالعة فقط، بل كانت مراكز الترجمة، و التناظر، كما اعتاد المعلمون أن يعقدوا حلقات التلاوة و الدرس حول هذه الكتب، و لعبت خزانة مسجد جامع "القروين" "بفاس" هذا الدور[4]، على غرار باقي الخزائن في بقية المساجد الجامعة بالمغرب الإسلامي.

لم تشر المصادر و المراجع التاريخية التي تناولت الحياة الفكرية في مدينة "تلمسان" المكتبات التي كانت موجودة بالمساجد، إلا ما ذكر حول المكتبتان اللتان كانتا موجودتين بالمسجد الجامع

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 37.

2 – من خلال وقفية ابن خلدون يمكن إعطاء نموذج لشروط التي يضعها الواقف لكتابه، و التي تراعى أثناء المطالعة و جاء نصها:

– بسم الله الرحمن الرحيم.....السطر الأول.

– هذا أحدهما وقفا مرعيا و حسبا مرضيا على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس...السطر السابع.

– قاعدة بلاد المغرب ينتفعون بذلك قراءة و مطالعة و نسخا.....بحيث لا يخرج حرمها إلا لثقة أمين برهن وثيق لحفظ صحته و أن لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين..... السطر التاسع.

–. المستعار أو المطالعة ثم يعاد إلى موضعه و جعل النظر.....السطر العاشر.

* الشروط التي وضعها الواقف:

– وقفا مرعيا و حبسا مرضيا على طلبة العلم: يستفاد من هذه العبارة أن الوقف فسح مجالا لكل طلبة العلم بمدينة فاس، و من ثم فإن هذا الشرط واسع الفائدة حيث لم يحدد فقط لطلبة جامع القرويين.

– ينتفعون به قراءة و مطالعة و نسخا.

– و لا يخرج حرمها إلا لثقة أمين...: و هي العادة في جميع الكتب الموقوفة، أي لا تخرج من الجهة الموقوفة عليها، و لا تعار، و ذلك خوفا من الضياع.

– لا ينبغي أن تتعدى المدة الزمنية شهرين و هي المدة الكافية لنسخ الكتاب و مطالعته. للمزيد من التفاصيل أنظر: – يحي وهيب الجبوري، **الخط و الكتابة في الحضارة الإسلامية**، ط1 بيروت، لبنان، 1994 م، ص175.

3 – البهوتي، المصدر السابق، ص128.

4 – عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 335.

المرابطي، و هما حافلتين بالكتب[1] النفيسة التي يستفيد منها الطلبة في وقت الفراغ من الدراسة، حيث المكتبة الأولى أنشأها السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" سنة (760هـ/ 1359م)، تتواجد على يمين المحراب، أما المكتبة الثانية أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني سنة (796هـ/ 1394م) تتواجد هذه المكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الكبير المرابطي.[2]

و يبدوا أن المساجد الجامعة بالمدن الإسلامية مشرقا أو مغربا كانت مزودة بمكتبات ذات شأن، كالجامع "الأزهر" في "مصر"، و الجامع "الأموي" "بدمشق"، و جامع "الزيتونة" "بتونس" و الجامع الكبير "بالجزائر" و "تلمسان"، كما يمكن القول أن جميع الحكام الذين أقاموا مؤسسات تعليمية دينية خلال الفترات التاريخية التي مرت بها البلاد الإسلامية زودوها بمكتبات عامرة، أكان في المشرق أو المغرب الإسلامي. و يؤكد ذلك "أبو القاسم سعد الله" من خلال قوله: " إن "الجزائر" كانت في طليعة البلاد الكثيرة الكتب و المكتبات، و شهد على ذلك الفرنسيين خصوم العثمانيين، و كانت مصادر هذه الكتب متنوعة، فهناك ما حمل إليها من "الأندلس"، و ما حمل من المشرق، و ما ألف في "المغرب" و "الجزائر" بالذات، و ما حمله العثمانيون معهم عند وفودهم إليها"[3]

ولم يحدد وقتا المطالعة إلا أنه لا يجوز استعمال مصابيح المسجد إلا في حالة اشتعالها، وقد غفل الكثير من الناس في زماننا على هذا النهي، حيث تراهم يستعملون مصابيح المساجد نهارا، أو يكثرون من إشعالها ليلا فوق الحاجة إليها، وقد أفرد لنا "الونشريسي" نازلة تصب في هذا السياق

---

1 – احتوت مساجد مدينة "تلمسان" على مكتبات ساهم في ملئها السلاطين و ذوي البر و الإحسان، و توجد العديد من أموال الأوقاف موقوفة عليها، و توفرت رفوف هذه المكتبات على نسخ من القرآن الكريم، و نسخ لصحاح السنة، و التفسير، و الفقه إلى غير ذلك من الكتب المرتبطة بالعلوم الشرعية، إلى جانب ذلك كتب اللغة، و الطب و الحساب، أما عن قوامة المكتبات فقد كان يشرف عليها موظفون أكفاء يسهرون على خدمة الطلبة، و ذلك من خلال تقديم كل ما يحتاجه الناسخ من مستلزمات النسخ كالأوراق و الأقلام و غيرها.

2 – للمزيد من التفاصيل أنظر: – عبد الجليل قريان، " تاريخ المذهب المالكي في المغرب الأوسط إلى نهاية العهد الزياني، **مجلة المحراب**، قسنطينة، العدد1، مارس 2007م، 84، 86. و كذلك: – محمد بن رمضان بن شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 400.

3 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ج1، ص230.

حيث قال: " و سئل رحمه الله هل يجوز الانتفاع بمصباح المسجد في حال اشتعاله بمطالعة كتب العلم أو غيره ؟ فأجاب: إن كان الانتفاع في وقت اشتعال المسجد المعتادة فليس فيه ما يتقى..."[1].

9- المخزن:

توجد في بعض المساجد مخازن تستعمل لحفظ أغراض المسجد من أفرشة و زيت المستعمل للإنارة، و قناديل، أو لأغراض موقوفة على المساجد مثل الخشب و مواد البناء وغيرها، وقد يكون مكانها في قاعدة المئذنة، كما هو الحال في المآذن مدينة "تلمسان"، كمئذنة جامع "أبي الحسن""بتلمسان" و مئذنة "المنصورة"،[2] و قد تستعمل في بعض الأحيان لخزن بعض حاجيات المصلين، إذا كان المخزن يتسع لذلك، و قد وسئل الإمام "الغزالي" عمن خزن في المسجد أو في طائفة منه شيئا هل يلزمه الكراء ؟ فأجاب:" إذا طرح في المسجد غلة أو غيرها لزمه أجرته..."[3].

خاتمة

ارتبط ظهور العناصر الوظيفية بعمارة المساجد بالمصلحة المرسلة، و من أهمها: المحراب المنبر، و المداخل، و منها ما ارتبط بالبيئة العمرانية كالصحن، حيث يؤدي وظيفة الإضاءة و التهوية و منها ما ارتبط بالظروف السياسية التي مرت الدولة الإسلامية كالمقصورة، حيث ظهرت نتيجة قتل خليفتي من الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضي الله عنهما)، و قد تأثرت في تخطيطها و وضعيتها في المساجد بالتشريع الإسلامي، و لم يغفل علماء الأمة في بيان مشروعيتها أو بدعيتها، حيث قدموا نصوص شرعية و أسسوا بها أحكام فقهية أجابت على النوازل المرتبطة بالعمارة الدينية.

---

1 - الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 294.

2 - للمزيد من التفاصيل أنظر: - محمد بن حمو، المرجع السابق، ص155.

3 - الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص.266

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ابن أبي زرع علي (توفي: 726هـ / 1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، المغرب، 1420 هـ / 1999 م.

- ابن كثير إسماعيل الدمشقي(توفي: 774 هـ/ 1372م)، **تفسير القرآن العظيم**، اعتنى بها و خرج أحاديثها: محمود بن الجميل، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر، 1430هـ / 2009م، ج4.

- ابن كثير إسماعيل الدمشقي، **البداية و النهاية**، تحقيق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م.

- ابن عذارى محمد المراكشي (توفي حوالي: 695هـ/ 1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق: ج. س كولان و إليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1.

- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيني (توفي: 299هـ/911م)، **رسالة في آداب الحسبة و المحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، منتجة للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، م2، 1955م.

- ابن مرزوق محمد التلمساني، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهد، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ / 2009م.

- ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م، ج2.

- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (914هـ/ 1508م)، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**، أخرجه: محمد حجي و آخرون، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1401هـ/ 1981م، ج7.

- أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م، ج10، رقم الحديث 5734.

- البخاري محمد بن إسماعيل(194هـ -809م / 256هـ -869م)، **الجامع الصحيح**، اعتنى وضبط نصها أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، المنصورة، القاهرة، مصر،1432هـ / 2011م.
- بدر الدين محمد بن بهادار الزركشي الشافعي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، قدم له و اعتنى به: أيمن صالح شعبان، ط1،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1990م.
- البكري أبو عبيد (توفي: 487هـ / 1094م)، **كتاب المسالك و ممالك**، تحقيق: ديسلان، الجزائر، 1857م.
- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ، (توفي: 458هـ/1066م)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2003م، ج1، رقم الحديث 1861.
- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، تحقيق: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1998م، ج1.
- عبد الله إبن إبراهيم الزرهوني التافستي (توفي بعد سنة 1150هـ 1738م)، **رحلة الوافد**، تحقيق: صديقي عازيكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.
- حمدان بن عثمان خوجه (عاش خلال القرن 13هـ/ 19م)، **المرآة**، تحقيق و تعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م.
- السيوطي جلال الدين ، **إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب**، دراسة و تحقيق: عماد طه فرة، ط2، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1411هـ/ 1990م، 14.
- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد (336هـ – 947م / 380هـ – 990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، 1877م.
- محمد ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار"**، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت).
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ، **فتح الباري: شرح صحيح البوخاري**، تحقيق: عبد الله بن الباز، ط3، مكتبة دار السلام، السعودية، 1421 هـ / 2000 م، ج1.

- العقباني محمد بن أحمد بن السعيد (توفي: 854هـ/1450م)، **تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر**، تحقيق علي شنوفي، Bulletin d'étude oriental institut français de Damas , T14, 1965,

– المراجع باللغة العربية:

- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م، ج1.
- بن عودة حسين العوايشة، **الموسوعـــة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب و السنة المطهرة**، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن 1423 هـ / 2002م، المرجع السابق، ج2.
- حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجـد الأثرية بالقاهرة**، ط1، بيروت، لبنان، 1993 م، ج1.
- الحسين إسكاف، **تاريخ التعليم بالمغرب من خلال العصر الوسيط (1هـ ـ9هـ/7م ـ15م)**، المطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004م.
- زكي محمد حسن، **الفنون الإسلامية**، دار الرائد العربي، لبنان، 1981م.
- فريد شافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، ج1، الهيئة المصرية العامة لتأليف و النشر، مصر، 1970 م.
- فكري أحمد، **مسجد القيروان**، مطبعة المعارف، مصر، 1355 هـ / 1963م.
- فريد الشافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة لتأليف،1970 م، ج1.
- صالح لمعي مصطفى، **التراث المعماري الإسلامي بمصر**، بيروت، لبنان، 1957م.
- عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن في الجزائر**، ط1، مكتبة زهراء الشرق ، مصر، 2006 م.
- عبد لعزيز لعرج، **مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية" عمرنا و عمارة و فنا"**، ط2، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2011م.
- عبد العزيز السالم، **المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها و تطورها منذ الفتح العربي حتى نهاية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، دون سنة الطبع.

- عبد الهادي التازي، **جامع القروين، المسجد و الجامع بمدينة فاس**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972 م.
- مؤنس حسين، **المساجد**، عالم المعرفة، الكويت، 1401 هـ / 1981م.
- محمد عبد العزيز مرزوق، **الفن الإسلامي تاريخه و خصائصه**، مطبعة أسعد، العراق، 1965 م.
- محمود أبي عبد الرحمن، **أحكام صلاة المسبوق في السنن و الآثار**، دار المصحف الشريف الجزائر، ط2، 1422 هـ / 2001م.
- ماهر سعاد، **مساجد القاهرة و أو ليائها الصالحين**، ج1، مطبعة الأهرام، مصر، 1971م.
- محمد حمزة حداد، **مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية**، ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 2001م،
- محمد حسين جودي، **العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها، ابتكاراتها جماليتها**، ط1، الأردن، 1419هـ/1998م.
- محمد بن رمضان بن شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- يحي وهيب الجبوري، **الخط و الكتابة في الحضارة الإسلامية**، ط1 بيروت، لبنان، 1994 م.

- المقالات:

- عبد الجليل قريان، " تاريخ المذهب المالكي في المغرب الأوسط إلى نهاية العهد الزياني، **مجلة المحراب**، قسنطينة، العدد1، مارس 2007م.
- عبد العزيز سالم، "العمارة الإسلامية في الأندلس و تطورها"، **مجلة عالم الفكر**، العدد الأول (أفريل، ماي، جوان، جويلية)، الكويت، 1977م.
- محمد الكحلاوي، " أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد"، **مجلة المنهل**، العدد 519، العدد الخاص بالعمارة و المدينة الإسلامية عطاء و مدلول، دار المنهل للصحافة، و النشر المحدودة، جدة، جمادي الأولى و الثانية 1415 هـ / أكتوبر . نوفمبر 1994 م.

– الرسائل الجامعية:

– بن بلة خيرة، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م، 2008م.

– محمد بن حمو، **العمران و العمارة من خلال كتب النوازل بالمغرب الإسلامي، دراسة في فقه العمران و العمارة الإسلامية**، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

– المراجع باللغة الأجنبية:

- Dessus Lamar, **La Anaza**, **5eme congrès international d'archéologie**, Alger,1930, p 329.

– Doukali .Rachid, **Les mosquées de la période turque à Alger**, SNED, 1974

- EDMOD. D, **Les minarets et l'appel à la prière**, in Revue Africaine, 1899, p339.

أثر الطراز العثماني في لباس ضباط الإنكشارية بأوجاق الجزائر في القرنين (10-11هـ/16-17م)

(دراسة مستمدة من النصوص التاريخية، والوثائق الأرشيفية)

د. حليم سرحان

جامعة المسيلة

أثر الطراز العثماني في لباس ضباط الإنكشارية بأجواق الجزائر في القرنين (10-11هـ/16-17م)

(دراسة مستمدة من النصوص التاريخية، والوثائق الأرشيفية)

مقدمة

لم تحظ الأزياء العسكرية في أوجاق الجزائر أثناء الحكم العثماني برعاية الدارسين و الباحثين في مجالي التاريخ و الآثار، و لم تنل ما تستحق من عناية مثلها مثل المواضيع ذات القيمة العلمية، و بذلك بقيت كغيرها من الدراسات مغمورة في بطون المصنفات التاريخية، و حبيسة بين طيات المخطوطات، و الوثائق الأرشيفية في خزانات الكتب، و دور الأرشيف مبعثرة هنا و هناك تنتظر من ينفض عنها الغبار ، و يسلط عليها الأضواء الكاشفة لعلها بذلك تخرج من زاوية الإهمال إلى النور، و من هنا يسهل تقديمها في حلة قشيبة لكل من تهفو نفسه إلى الاطلاع على ماض عريق ذهب بريقه، و لمعانه مع الأيام، و الليالي، كما يمكن الإفادة منها خدمة للتراث الوطني التليد المتعلق بالنظم العسكرية، و حفاظا عليه من الاندثار. علاوة على تزويد المكتبات المتخصصة في المعاهد، والجامعات بمثل هذه الدراسات النادرة. إذن تبدأ إشكالية هذا البحث من السؤال عن كيفية، وطبيعة، وصنف الأزياء الخاصة بضباط فرقة الإنكشارية، وما نهو توصيفها، وهل كانت جزائرية محلية بحتة من صنع أبناء البلد؟ أم أنها جاءت على نسق التأثيرات الفنية،و الصناعية من بلاد الأناضول، و بلاد فارس مع عصابة الإنكشارية التي أصبحت ركنا وطيدا في تنظيمات الجيش الجزائري خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م)؟

كل هذه الأسئلة المطروحة على بساط النقاش، سنحاول الإجابة عنها ما استطعنا إلى ذلك من سبيل فيما يلي:

أولا- لمحة تاريخية عن لباس فرقة الإنكشارية عامة:

يجرنا الحديث عن الأزياء الخاصة بضباط فرقة الإنكشارية، إلى الحديث ولو بإيجاز عن أزياء التشكيلات العسكرية الجزائرية في العهد العثماني لاسيما في الفترة المشار إليها أيفي الفترة الممتدة مابين القرنين (10-11هـ/16-17م) وهذا الأمر يدفعنا إلى ذكر أصل تلك الأزياء التي سادت

برهة من الوقت ليست باليسيرة في نظر مؤرخي الأزياء، وهي تنحدر حسب هؤلاء من مخلفات التأثيرات الحضارية السلجوقية في الأناضول، وبلاد فارس، وإيطاليا[1]. فضلا عن كونها من أهم الهدايا_ الباشكاش_ المتبادلة بين قادة الدول فيما بينهم[2]، و هي بهذا تميل إلى التنوع، و الاختلاف اعتبارا لتلك التأثيرات برأي جورج مارسيه على الأقل،[3] أو نتيجة لاختلاط العرب بالأجانب من كل الأمم[4]، و لهذا السبب تعددت الأزياء في الولايات و الدول التي كانت خاضعة لحكم الأتراك حسب الباحثة ثريا نصر، كما كانت هذه الدول و الولايات سالفة الذكر تؤثر بعضها في بعض في الأزياء نظرا للعلاقات الوطيدة التي كانت تربطها في المجالات التجارية، أو في الأسفار، أو روابط الزواج الذي كان يتم بين مواطنيها فيما بينهم[5]. و لم تكن الأزياء في عصر عثمان الأول[6] لتختلف عن بقية ملابس عامة الناس، و ربما يرجع ذلك إلى أن الجيش لم يكن آنذاك منظم كفاية، و بكيفية جيدة. و حينما أنشئت فرقة الإنكشارية، لم يمنح لأفرادها إشارة يتميزون بها عن غيرهم سوى لبس القلانس البيضاء البسيطة على طريقة ما كان سائدا بين الناس آنئذ، و كانت تتخذ تقريبا من اللباد

---

1) – م. س. ديماند: **الفنون الإسلامية**، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1958.، ص، 269.، وينظر:

Alexandre Papadopoulo : « **Esthétique de L'art Musulman**, **La peinture** », A.E.S. C., 28° année, n°3, France, 1973. p, 692.

2)- يحي بوعزيز: **المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780–1798)**، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.، ص، 13.

3)- Georges Marçais : **Le costumeMusulman D'Alger**, collection du centenaire de L'Algérie Archéologie et Histoire, Librairie Plon, Paris, 1930., p,31.

4)-Latifa El Hassar- Zeghari : **Les captifs D'Alger d'après la relation de Emanuel d'Aranda jadis esclave à Alger (XVII° siècle)**, casbah editions, Alger, 2004., p, 101.

5)-ثريا نصر: **تاريخ أزياء الشعوب**، ط2، عالم الكتب للطباعة و النشر، القاهرة،2007، ص، 110.

6)- عثمان الأول: لما توفي أرطغرل سنة (678هـ/1288م)، عين السلطان علاء الدين أكبر أولاده مكانه و هو عثمان مؤسس الدولة العلية للتوسع أنظر: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط11، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009. ، ص، 116.

الخالص، ولم يتم لبس العمامة إلا في عهد السلطان الغازي[1] محمد الثاني[2]، ثم استعمل ضباط الإنكشارية في زمن مراد الأول[3] القلانس الحمراء المزركشة، و المموهة بخيوط الذهب اقتداء بالأمير سليمان باشا بن أورخان[4]، ثم أصبح للإنكشارية زيا خالصا يميزها عن غيرها من الوحدات العسكرية[5]. ولم يكن زي نواب الضباط يقوم على اللون بل كان يقوم على هيئة الرداء الخارجي، غير أن لباس رؤساء الأورطات[6] فيختلف في لون الأحذية و الجزمات التي كانت حمراء، و صفراء لغيرهم، و سوداء لنواب الضباط، أما زي القواد فيتميز بتلك الخوذ المحلات بريش طويل[7].

---

1)- الغازي: لقب فخري من الغزو للتوسع أنظر: مصطفى بركات: الألقاب و الوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الأثار و الوثائق و المخطوطات)، 1517-1924، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2000.، ص 47.، وينظر:

Alphonse Royer : **Les Janissaires**, Dumont éditeur, Paris, 1844., p, 13.

2)- السلطان محمد الثاني: ولد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح، و أبي الخيرات في سنة (833هـ/1429م)، و هو سابع السلاطين العثمانيين، حكم ما يقرب من ثلاثين عاما للتوسع ينظر: محمد فريد بك المحامي: **المصدر السابق**، ص 160. وينظر: علي محمد الصلابي: **فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح**، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007.، ص، 52.

3)- مراد الأول: ابن السلطان أورخان الغازي، ولد في سنة (726هـ/1326م)، و كانت فاتحة أعماله احتلال مدينة انقرة للتوسع ينظر: محمد فريد بك المحامي: **المصدر السابق**، ص129.، وينظر: أورخان محمد علي: **روائع من التاريخ العثماني**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2000.، ص ص، 16-21.، وينظر: علي محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص، 27.

4)- سليمان بن أورخان: سليمان باشا أكبر أولاد السلطان أورخان الأول (توفي في سنة 726هـ/1326م)، وولي عهده و صدر مملكته الأعظم للتوسع ينظر: محمد فريد بك المحامي: **المصدر السابق**، ص ص، 125-126.، وينظر: علي محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص، .21

5)- مراد جه دوسون: **نظم الحكم و الإدارة في الدولة العثمانية**، نقله إلى العربية فيصل شيخ الأرض، جامعة بيروت الأمركية، 1942.، ص، .153

6)- رؤساء الأورطات: مفردها رئيس أورطة، يطلق هذا اللقب على الأورطة باشي، و يعني رئيس الثكنة. و يقصد بالأورطة وحدة عسكرية للتوسع ينظر: عبد اللطيف بوجلخة: **الدولة العثمانية**، دار المعرفة، الجزائر، 2005.، ص، 65. وانظر: مصطفى بركات: **المرجع السابق**، ص، 176.

7)- مراد جه دوسون: **المرجع السابق**، ص، .153

و الملابس التي تستعمل في الحياة اليومية قوامها قلنسوة القاووق التركي[1] المتخذة من اللباد، أو الصوف، و كانت توضع على الرأس، و يلف حول القاووق بعمامة هي عبارة عن شريط طويل من القماش، وتسمى هذه العمامة في التركية سريق، أو دولبند، و في العامية تنطق تولبنت، و نتج من القاووق و من طريقة لف العمامة حوله، أسماء متنوعة لغطاء الرأس في أوروبا عرفت فيما بعد باسم (turban)[2]، و كان القاووق الذي ذكر قبل حين في الغالب على شكل أسطواني ضخم أو منبسط، أو منتفخ، و هناك نوع أخر مخروطي ناقص يبدو على أنه قبة، و ارتفاع القاووق يتراوح ما بين (40-60سم)، و يتم المحافظة على هذا الإرتفاع باستعمال قوائم داخلية من المعدن، أو بتركيب سلة بداخله. و العمامة المصممة من قماش السريق تلف حول القاووق على هيئة طيات يطلق عليها لفظة بورما، و تتخذ من أقمشة رقيقة من القطن أو الشاش، أو الموسلين، أو الصوف الرقيق، أو الحرير الموشى. و يأتي تحت القاووق طاقية تعرف عند الأتراك باسم تكى، يمكن أن تلبس لوحدها. و يلاحظ أن بعض الضفائر، و الخيوط المجدولة تعلق بالقاووق، بحيث تتدلى من العمامة على الظهر و الكتفين كالطيلسان[3]. و في الاحتفالات الرسمية، و مختلف المناسبات، كانوا يضعون على رؤوسهم

---

1)- القاووق: كلمة تركية فارسية دخلت العربية في العصر العثماني، و أصل معناها في اللغتين المجوف الفارغ و القاووق في العربية من ملابس الرأس، شبه القدر يغطي به الأتراك و الفرس رؤوسهم، كالذي يلبسه كهنة المارونية عدا الرهبان منهم، و الجمع قواويق. و القاووق في العثمانية قاوق و قاغوق، و قاووق من ملابس الرأس على شكل قلنسوة طويلة للتوسع ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، تقديم محمود فهمي حجازي وراجع المادة المغربية عبد الهادي التازي، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر،2002.، ص، 371.، وينظر: سونيا محمد سعيد البنا: **فرقة الإنكشارية نشأتها و دورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية**،إيتراك للنشر و التوزيع، القاهرة، 2006.، ص، 158.

2)-الدولبند: من كلمة دل وهي قماش رقيق، أو شاش يلف على القلنسوة، و البند الرباط، و الكلمة فارسية تعني الشاش أو العمامة عند دوزي للتوسع ينظر: سونيا محمد سعيد البنا: **المرجع السابق**، ص، 158.، وينظر:

4- R.P.A.Dozy : **Dictionnaire Détaillé des noms des vêtements chez les arabes**, Jean Muller éditeur,Amsterdam,1845, p,4.

3)-يديدا ستيلمان: **لباس فيدائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة فاروق صادق عسكر، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثامن و العشرون، الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998.، ص ص، 8768-.8769

البوركاسكوف[1]. و هناك أنواع أخرى من أزياء الرأس هذه، فمنها صنف يطلق عليه (يونلككجه) ذات الريش، و نوع يسمى(يونلك سوز) من دون ريش. و الجدير قوله أن أولئك الأتراك كانوا يتمتعون أيضا بارتداء زي أصفر من المخمل، و هم يعتمرون على رؤوسهم الطواقي من القماش ذاته، المصممة على الطراز التتري، حيث يبلغ طولها ذراعان، علاوة على استعمال عباءة من اللون نفسه حول أكتافهم، و هي مرصعة بالذهب الخالص، و لاشك أن لهؤلاء قواد ملابس بنفسجية اللون، و على رؤوسهم أغطية يطلق عليها اسم كوكولسيا (cuocullcia)[2]، كما يظهر أن الجانب الداخلي لأزياء الرأس هذه مشكل على هيئة طاسة الرأس من المخمل الأبيض ذي الطرة المعلقة المائلة إلى الأسفل جهة الخلف مثل المقنعة المعروفة في الفرنسية باسم (hood)، و هو من لون الملابس، أما في الواجهة الأمامية من طاسة الرأس، و في وسط الجبهة قائمة فضية وضعت بشكل عمودي قدرت بذراع، مزدلنة هي الأخرى بالذهب، و مطعمة بالأحجار الكريمة، يعلوها خصلة كبيرة من ريش النعام، تتحرك إلى أمام أو خلف لابسها[3]. هذا غيض من فيض الأزياء الإنكشارية ذات الطراز العثماني التي أصبحت خبرا بعد عين، وسنحاول عبر هذه الدراسة المتواضعة معالجة البعض منهاوتوصيفها تبعا لرتب الضباط الإنكشاريين في أوجاق الجزائر في التاريخ المذكور على النحو التالي:

ثانيا – نماذج من لباس الضباط في أوجاق الجزائر:

1– زي أغا الإنكشارية:

أغا الإنكشارية من رجال الدولة العثمانية البارزين،وهو يعتبر القائد العام للوحدات العسكرية الموجودة في مدينة الجزائر، و أعلى منصب في تنظيم الأوجاق[4]، و كان يطلق عليه لقب أغا

---

1)–البورك اسكوف: كلمة تركية دخلت العربية حديثا و أصلها في التركية بوريك، و يطلق على نوع من ألبسة الرأس في الجيش العثماني، كان يرتديها الجند الإنكشاريون، تمتاز بلونها الأبيض، وهي على شكل مثلث رأسه باتجاه أسفل، مزينة بحافة صفراء، وهي مقتبسة من الأزياء الشرقية للتوسع ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: **المرجع السابق**، ص، 83.

2)–برنارد لويس: **استنبول و حضارة الخلافة الإسلامية**، تعريب سيد رضوان علي، ط2، الدار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982.، ص، 89.

3)– برنارد لويس: **المرجع السابق**، ص، 90.

4)– أمين محرز:**الجزائر في عهد الأغوات(1659–1671)**، دار البصائر، الجزائر، 2011.، ص، 32.

العسكر[1]، و أحيانا أغا السبايهية _ الفرسان_[2]، أو أغا المشاة[3]، و يعادل رتبة رئيس الجيش عند الفرنسيين(chef de l'armée)[4] أو اسم (capitaine general des janissaires)، أما الأتراك فيسمونه (janissaire agha)[5]، و الإنجليز يطلقون عليه اسم (Colonel of

---

1)- أغا: مصطلح من أصل فارسي، و يقصد به السيد، و قد استخدمه الأتراك لدلالات متنوعة، منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القرأة، و الكتابة، ومنها أيضا صاحب المنصب الكبير، و كان هذا اللقب مهم في عهود القوة و النفوذ، و قد نجد في العهد العثماني ألقاب متداولة منها أغا العرب الذي اشتهر به حمدان بن أمين السقا، و" أحمد أغا رئيس العسكر الجزائري". للتوسع ينظر: كاثكارت جيمس ليندر: **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمها عن الإنجليزية إسماعيل العربي، د.م.ج.، الجزائر، 1982.، ص، 116.، وينظر: حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنونالمطبعية، الجزائر، 2006.، ص ص، 83-84.، ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، شرح و تعليق ممدوح حقي، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.، ص، 140.، وينظر: سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000.، ص ص، 15-16.، وينظر:

- Laugier de Tassy : **Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement**, **de ses forces de terre et de ses revenus**, **police**, **justice**, **politique et commerce**. Un diplomate Français à Alger en 1724, éditions, Loysel, Paris, 1992., p, 136. voir : HamdanKhodja : **Le Miroir Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger**, éditions sindbad, Paris, 1985.,pp, 110, 123.

2)- Albert de voulx : **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, Alger imprimerie du gouvernement, 1852.,p, 20.

3)-Anonyme:**Abrégé ou aperçu de l'histoire d'Alger et des nations barbarèsques en général**, imprimerie de J. Lebreton, France, 1830., p, 21.

4)- Alonso Cano :**La régence d'Alger au XVIII° siècle nouvel aspect topographique de la ville son état ses forces et son gouvernement actuel comparé avec l'ancien**, traduit de l'espagnol par IsmetTerkiHassaine, éditions dar elquds el arabi, Oran, 2010.,p,18.

5)-Nicolas de Nicolay : **Les quatre premiers livres des navigations et pérégrinations orientales**, A, Lyon, par Guillaume Rouille, France, 1568, p 91.

janizaries)[1] و ينبغي على من يترقى إلى منصب أغا الإنكشارية أن يكون أقدم جندي انخرط في الجيش، و تدرج في سلم الرتب العسكرية من أدناها إلى أعلاها[2]. أما فيما يخص اللباس، فإن الأغا كان يعتمر على رأسه قلنسوة، أو عمامة بيضاوية الشكل تخاط من أقمشة الجوخ الأحمر، وتسمى القلفات وقد دربت بدروب من أعلى إلى أسفل، وجزئت إلى أجزاء متساوية، وحوافها العلوية مقوسة، وتظهر من أسفل الشاش قطعة صغيرة من القلفت، والقسم الخلفي من القلنسوة أو العمامة يطلق عليه الكفتار، وهو عبارة عن قطعة قماش كانت تكتب عليها أحيانا بعض آيات الذكر الحكيم، تثبت عليها علامة حمراء. كما يخبرنا الفارس دارفيو أن غطاء رأس الأغا عبارة عن طاقية (bonnet) شبيهة إلى حد كبير بمدفع هاون مقلوب، بمعنى أنه كان أكثر كبرا في الأعلى منه في الجهة السفلى، و البعض من هذه الطواقي مزدانة بقنزعة من الريش، مع الزخارف بحيث يمكن رسمها أحسن من توصيفها[3]. أما نيقولا دو نيقولاي فيقول في ذات الشأن أن الأغا كان يضع على رأسه شاشية خاصة (chechaya, ou protogero)[4]،و كان يضع على سائر بدنه القفطان، أو الخلعة الهمايونية[5]، المزدانة بقطعة من القماش الفاخر أو الفرو[6]، تبلغ مقاس شبر واحد فقط[7]. و عادة ما يكون القفطان بدون أكمام، لكن عندما نجده بالأكمام فإنهما يزينان بفراء أبيض،

---

1)- Tamer el Leithy : **Military Costume of The Ottoman Empire**, dar el kutub, Cairo, Egypt, 2000., p,40.

2)-Laugier de Tassy : **op**.**cit**.,p,136., voir : Anonyme : **op**.**cit**., p, 21.

3)- Le chevalier d'Arvieux : **Mémoires du chevalier d'Avrieux**, tome 5,chez Charles jean baptiste éditeur, paris, M.DCC.XXXV. 1735 .,p, 256.

4)-Nicolas de Nicolay : **op**.**cit**., p,91.

5)- دفتر مهم علبة رقم: 02، حكم 2456، تاريخ 976هـ.

6)-محمود شوكت: **التشكيلات و الأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة 1825م**، ترجمه عن التركية يوسف نعيسة و محمود عامر، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، سورية، 1988، ص 89. وينظر:
Capitaine V. Y. Boutin : Aperçu Historique, Statistique et Topographique sur l'état d'Alger a l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, 2° édition, J. Pinard imprimeur du roi, quai-conti, France, 1830.,p, 141.

7)- محمود شوكت: **المرجع السابق**، ص، 89.

و يحف نهاية الكمين شريطان أخضران، و يطوق وسطه بشال من الفرو، يثبت فيه خنجرا مرصعا، كما كان يلبس سروالا أحمر، و بردة حمراء، و ينتعل مستا أو بابوجا أصفر اللون[1]. و تحت البردة يأتي العنتري[2] الشبيه بالمجول و الصدار، و الشوذر، وهي أقمصة متقاربة الكيفية. وتكون الأكمام فيها واسعة، و طويلة، تتخذ من الكتان، وقد صممت الأكمام بتلك الطريقة حتى يتسنى للأغا إخراج يديه، و مرفقيه عند الوضوء بسهولة[3]. و في حالات كثيرة يستعمل الأغا برنسا أسود اللون فوق ثيابه، وخاصة عندما يحضر اجتماع مجلس الديوان[4]. (ينظر الصورة رقم: 01)

2- زي الكاهية أو الباشبولوك باشي:

ضابط سامي في الجيش الجزائري خلال الحكم العثماني، يطلق عليه عادة اسم كاهية الأغا، أو الكيتخدا[5]، أو الباشبولوك باشي، أو رئيس الديوان[6]، يسمى في الفرنسية (Le chaya ou Le Bachi-boluk-bachi)[7]، أو (kahy de l'agha)، و هو اللقب نفسه الذي منحه السلطان المنصور السعدي لقائد فرقة اليكشارية و هو تركي الأصل[8]. و يعني في العامية الجزائرية

---

1)-**نفسه**.

2)- العنتري: كلمة تركية معربة، و أصلها في التركية آنتاري، ويرادفها في العربية الصدار و المجول للتوسع ينظر:رجب عبد الجواد إبراهيم: **المرجع السابق**، ص، 337.

3)- سونيا محمد سعيد البنا: **المرجع السابق**، ص، 161.

4)- Le chevalier d'Arvieux : **op.cit**, p, 260.,voir : Latifa El Hassar- Zeghari : **op.cit**., pp,99-100.

5)- ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي: **الجزائر، العهد العثماني**،ج4،م.و.ك.، الجزائر، 1989، ص .18

6)- الديوان: مؤسسة تدعممجلس الديوان العمومي، تشارك الحاكم العام في إدارة شؤون الإقليم، و هي هيئة تشريعية عليا في الحكم العثمانيالمحلي بمدينة الجزائر، فكل ضباط الأوجاق كانوا أعضاء في هذا الإجتماع و كان عددهم لايقل بحال عن سبعماية شخص بل يتعداه أحيانا ليصل ألفا. و كان هذا الضابط يتولى رئاسة الديوان لمدة شهرين فقط للتوسع ينظر: حمدان خوجة: المصدر السابق، ص، 89.

7)-Anonyme: op.cit., p,23.

8)- ثريا برادة: **الجيش المغربي و تطوره في القرن التاسع عشر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص .53

لتلك الفترة نائب المسؤول حسب رأي محمد بن أبي شنب[1]، يأتي تلقائيا في المرتبة الثانية في سلم الرتبو التفصيلات العسكرية من حيث الأهمية[2]، وكانت له السلطة المطلقة على جميع التشكيلات العسكرية في الجزائر، و قد قلص الباي[3] من سلطاته الواسعة حتى صارت محصورة في نطاق ضيق. و رغم ذلك كان ينوب عن أغا الإنكشارية في منصبه تبعا للقوانين سارية المفعول التي تخول له هذا الأمر[4]، فيستعمل صلاحياته في حالة تعرض هذا الأخير للمرض، أو توقفه و عجزه عن أداء وظيفته و مواصلة مهامه العسكرية على أكمل وجه، أو حينما يقوم الجنود الإنكشاريون بعزله لما يأتي بعمل شنيع يغضبهم فينقمون عليه، و يعتبر أقدم قائد كتيبة في الجيش[5]. يقطن الكاهية منزل وظيفي خاص بالرتبة التي يشغلها، مع إمكانية الاحتفاظ بمسكنه العائلي، ويستمر في الاستفادة من السكن طيلة شهرين قمريين كاملين، وله في خدمته حارس شخصي، وخدم، وبعض الأعوان الذين يتم

---

1)- Mohammed Ben Cheneb : **Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien**, préface Hédi Ben cheneb, Flites éditions, Médéa, Algerie, 2009., p, 78.

2)- ابن المفتي: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها**، جمعها و اعتنى بها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص .65

3)- الباي: لقب لمن ولي أيالة تلمسان أو تيطري أو قسنطينة، يختار من بين المقربين لحاكم الجزائر للتوسع ينظر:محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم و تعليق المهدي البوعدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص، 189. وينظر: ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.2000،ص، 241.

4)- أمين محرز: **المرجع السابق**، ص، 32.

5)- Diego de Haedo :**Topographie et Histoire générale d'Alger**, traduction de l'espagnol et notés de A.Berbrugger et Dr, Monnereau, 3° édition, éditions, grand. Alger. Livres. Alger.2007., p, 73., voir : Laugier de Tassy : **op.cit**., p, 137., voir :Alonso Cano : **La régence d'Alger…op.cit**., p,118., voir : Henri Klein : **Feuillets d'el-djezair**, T01, éditions du tell, Blida, Algérie,2003., p, 101., voir : Kamal Chehrit :**Les Janissaires origines et Histoire des Milices Turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'Alger**, éditions grand. Alger.Livres, Alger,2005., p, 179.

تعيينهم من قبل السلطة الحاكمة. ففي كل ليلة تأتيه إلى مقر سكناه الوظيفي مفاتيح أبواب المدينة والأميرالية، وإضافة إلى هذا يتم إصدار أوامره الصارمة إلى حراس الحصون وأبواب المدينة، وإلى جميع أفراد الجيش للالتزام بالانضباط التام خلال المداومة الليلية. وحينما تأتيه التوصيات من الباي بمعاقبة المخالفين للمراسيم من الجند ينزل بهم أشد العقاب وأشنعه حتى المفضي منه إلى الموت دون رحمة أو شفقة أو تمييز في الانتماء الطبقي أو الوظيفي. ولا يمكن بأي حال للكاهية أن يخطو خطوة خارج منزله إلا لحضور جلسات الديوان التي يترأسها بنفسه، أو المساهمة في توزيع الأجور والمرتبات المستحقة على مختلف التشكيلات العسكرية التي تتم في تظاهرة رسمية باسمه وبتفويض منه، وبحضور الباي طبعا، ويتم ذلك مرة كل شهرين كما مر بنا، والتي تدوم لغاية عشرين يوما في الغالب. وهكذا يخرج الكاهية ممتطيا صهوة جواده مرتديا القفطان، أو المعطف الشرفي الشبيه إلى حد كبير بمعطف الباي، وبرفقته اثنين من الشواش وهما الضابطان الرئيسيان بالقصر. يتقدمان الموكب العسكري مشيا على الأقدام لإفساح الطريق للضابط التركي ولسان حالهما يردد بصوت جهوري وباللغة العثمانية: "أفسحوا الطريق فالكاهية قادم". و في مستهل الشهر الثالث يترك مكانه لضابط أخر، ثم يصبح عبارة عما يعرف عند العامة بمعزول أغا (mesulagas)[1]،وهي رتبة تضاهي رتبة الجندي المحال على التقاعد عند الرومان، و تدل عند الأتراك على معنى الرجل الحر[2]، بحيث تسمح له الوضعية الجديدة التي صار إليها بعد سنوات طويلة من العمل بالاستفادة من راتبه دون ممارسة أي نشاط أو وظيفة بعينها إن في البر أو في البحر [3]. كان يضع على رأسه عمامة مزدانة بريش ناصع البياض[4]،

---

1)- Pierre Boyer : « La révolution dite des aghas dans la régence d'Alger (1659-1671), R.O.M.M.,n°13-14, France, 1973., p, 160.

2)-ج.أو.هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ/1732م)**، ترجمة و تقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.،ص ص،32، 39.

3)- Alonso Cano :**op.cit**.,p p,118-119.

4)- يظهر أن غطاء الرأس عند الجنود العثمانيين سواء في الحاضرة اسطنبول، أو في الولايات التابعة للدولة العثمانية بالمغرب الإسلامي كان يزين بريش النعام الذي كان يطلق عليه اسم عروج، و ذلك تشبها بما فعله حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم في معركة بدر حينما وضع ريشة طائر النعام في منطقته بإيعاز من النبي الكريم للتوسع ينظر: محمد بيرم الخامس: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار**،ج2، المطبعة الإعلامية بمصر، القاهرة، 1302هـ. ، ص، 118.، و قد كان لقب بوريشة يميز بعض الحكام مثل محمد بوريشا باشا الذي سجن في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي للتوسع أنظر:

في جبهته تمييزا له عن غيره من قادة الجند، و إظهارا لمكانته، وقدره في المدينة، لكنه تخلى عن تلك الزينة تدريجيا في بداية القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لظروف مجهولة كما أشار إليه لوجيي دو تاسي في مذكراته[1] إلا أن الدكتور شو يذكر في هذا الصدد أن البولكباشي يضع على رأسه طاقية مرتفعة، و يتميز لباسه من الجهة الخلفية بوجود إضافة قطعت على هيئة صليب أحمر من الجلد يتدلى على الظهر[2] . (ينظر الصورة رقم: 02)

3- زي الياباشي:

رتبة من رتب الضباط الإنكشاريين الكبار المميزين[3]، الأربعة و العشرون المداومون على حضور اجتماعات الديوان[4]، الذين يعين منهم السفراء و المبعوثين الدبلوماسيين إلى الدول البحرية الكبرى، و كان يطلق على قائد أورطات المشاة اسم ياباشي، أو يايا باشي أي رئيس المشاة[5]. يهتم هؤلاء الضباط في تصنيفات الياباشي بنشر أوامر الباي في تراب المملكة، ومراقبة جميع السفن والمراكب المسيحية والأجنبية الراسية في الميناء قبل إبحارها وخروجها من المجال البحري الجزائري بحثا عن الأسرى أو العبيد الفارين عبرها، أو المدسوسين في قمراتها. و يأتي بعد الكاهية من حيث الأهمية

Pierre Boyer : « **Alger en 1645 d'après les notes du R.H. Hérault** », R.O.M.M, n°17, France , 1974., P,20.

1)- Laugier de Tassy : **op.cit**., p, 137.,voir : Henri Klein : **op.cit**., T01, p,101.

2)- Thomas shaw :**voyage dans la régence d'Alger au XIII° siècle**, traduit de l'anglais par e.mac carthy (1830), éditions grand Alger du livres. Alger., 2007. p, 161.

3)- أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الشريف الزهار**، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.، ص ص، 46-47.

4)-إيرينا بيتروسيان: **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، تقديم و مراجعة قسم الدراسات و النشر بالمركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، 2006.، ص، 43.

5)- أكمل الدين إحسان أوغلي: **الدولة العثمانية تاريخ و حضارة**، نقله إلى العربية صالح سعداوي، ج2، ط2، مطابع دار الإتحاد، دار السلام، القاهرة، 2010.، ص، 384.

في سلم الرتب العسكرية كما يفهم من نص الشويهد[1]. ورد هذا الاسم في الفرنسية بلفظة(Yabachi)، أو (ajabachi)[2]، أو (agas- bachis)[3] ما يعادل في نظرنا رتبة(Aças-Bachy)، في اسطنبول، التي لا تختلف كثيرا عن شبيهتها في الجزائر[4]. و يلاحظ أنه يحول تلقائيا نظير خبرته الطويلة بعد تقاعده من الخدمة إلى شغل منصب موظف شرفي يداوم على حضور جلسات الديوان، كما يتمتع بالامتيازات التي تمنحها له السلطة[5] و قد دأب البايات منذ توليهم مهامهم على بعث آخر كل شهر مبلغا معتبرا من الأموال إلى حاكم مدينة الجزائر، فيدفع ذلك المال إلى أصحاب هذه الرتبة العسكرية فأطلق على ذلك المال المرسل الياباشي[6]. الجدير قوله أن هذا التصنيف العسكري محدود العدد على اعتبار أن هناك عشرون ياباشي على أقل تقدير، تناط بهم مسؤولية مرافقة الباشا إلى المسجد في أيام الجمع، بحيث يمكن اعتبارهم من أفراد تشكيلة الحرس الخاص التابعة للقصر. يعتمر الياباشي على رأسه قبعة، مزينة بخصلة ريش(aigrette) _ قنزعة_[7] عالية من الجهة الأمامية (Haut panache blanc) كما وصفها هايدو[8] أو يضع

---

1)- عبد الله بن محمد الشويهد: **قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)**، تقديم و تحقيق و تعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006. ص، 58.

2)- Alonso Cano : **op.cit**., p,118., voir: Thomas shaw:**op.cit**., p, 160., voir : Pierre Boyer: **op.cit**., p,160.

3)-Le chevalier d'Arvieux : **op.cit**., p,261., voir : Anonyme : **op.cit**., p, 24.

4)- Galland M : **Recueil des rites et cérémonies du pèlerinage de la Mecque auquel on a joint divers écrits relatifs à la religion aux sciences aux mœurs des turcs**, chez de saint et saillant, paris, M.DCC.LIV. p, 130.

5)- Kamal Chehrit : **op.cit**., p, 178.

6)-أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص، 47.، وينظر:أحمد بن هطال التلمساني: **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969. ص، 38.

7)- قنزعة: ريش لتزيين القبعات و الخوذ للتوسع ينظر:، ، ص، 7.مجموعة مؤلفين: **المعجم الموحد لمصطلحات الآثار و التاريخ (إنجليزي_ فرنسي_ عربي)**، سلسلة المعاجم الموحدة رقم:7، مطبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1993، ص7.

8)- Diego de Haedo : **op.cit**., p,73.

المنتر(Mantar) المصنوع من قماش الموسلين ذي اللون الأبيض، المزدان بالريش[1]. يبدو جليا أن (Galland) التبس عليه الأمر بشأن توصيف هذا الزي، فاعتبر المنتر من أغطية الرأس، التي تظهر على ما يبدو و كأنها تحريف للكلمة الفرنسية (Mantle) التي تعني حسب مؤرخة الأزياء كفاية سليمان العباءة[2]. كما عرف عن عساكر الييباشي ارتداء البرنوسالأسود[3].(ينظر الصورة رقم: 03)

4- بلوك باشي:

في اللغة التركية تعني رتبة عسكرية، و تطلق في الغالب على رئيس الفوج[4]، أو قائد البلوكات(5)، لازمت القادة و الضباط الذين كانت تسند لهم مهمة تسيير كتيبة في الأوجاق، و كان يطلق على تصنيفهم الذي لم يعد خاضعا للأوجاق سالف الذكر[6]، وصار يشكل فصيلا لوحده، بحيث يدعى أفراده لقيادة نوبة عسكرية دون شك بإعاز من الأغا[7]. كما أطلق عليهم اسم البلوكباشيات حسب ما أشار إليه الرحالة الألماني هابنسترايت[8]، أو البولوشاردية بتعبير جون وولف[9]، و في العامية يطلق على الفرد منهم اسم بكباشي، أو مكباشي حسبما ذكره دوزي[10]، و بالفرنسية يطلق عليهم اسم (bouloukbachi) و يعتبرون بمثابة النقباء (capitaines)[11]، و قد حفظت لنا بعض الوثائق القضائية الأرشيفية اسم أحد مشاهير عساكر البلوكباشية بمدينة الجزائر،

---

1)-Galland M : op.cit., p, 130.

2)- كفاية سليمان أحمد، سلوى هنري جرجس،فيفيان شاكر ميخائل:**التصميم التاريخي للأزياء الباروكية بالقرن السابع عشر**، عالم الكتب للنشر و الطباعة و التوزيع، القاهرة، 2008.، ص، 93.

3)- Le chevalier d'Arvieux : op.cit., p, 261.

4)-دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية و علق عليه محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.، ج1، ص، 437.

5)-أكمل إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج1، ص، 385.

6)- ابن المفتي: المصدر السابق، ص، 54.

7)- Albert de voulx:op.cit., p,26.

8)- ج. أو. هابنسترايت: المصدر السابق، ص، 116.

9)- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص، 82.

10)-دوزي: المرجع السابق، ج1، ص، 437.

11)- Henri Klein : op.cit,T 1, p,101., voir :Pierre Boyer :op.cit., p, 160.

يدعى يوسف باشي بن عروج[1]. و في حالة الحرب يتولى البلوك باشي قيادة أربعمائة جندي (400)، أو ثلاثمائة انكشاري (300)، و هو العدد الكافي لتشكيل الفرقة العسكرية الصغيرة المعروفة بالمحلة[2]. و قد نجد حوالي عشرين (20)، أو ثلاثين (30) بلوك باشي أو أكثر بحسب رغبة أغا الإنكشارية الذي يقسمهم على التشكيلات العسكرية المختلفة[3]. و قد تميز زي البلوك باشي عن غيره من أزياء الضباط، وذلك بوضع قبعة مرتفعة على رأسه، وازدان بصليب أحمر مثبت على قطعة من الجلد وراء الظهر[4]. (ينظر الصورة رقم: 04)

خاتمة

بناء على ما تقدم من قراءة متأنية في النصوص التاريخية الشحيحة، و دراسة معمقة في الوثائق الأرشيفية القليلة المتاحة، نستنتج بما لا يدع مجالا للشك أن الأزياء الخاصة بضباط فرقة الإنكشارية بأوجاق الجزائر خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)كانت مقتبسة بل الأحرى أنها مطابقة تماما لمثيلتها في حاضرة الدولة العلية اسطنبول، مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة التي لا تكاد تبين،و كان ذلك التشابه الضئيل وليد القرارات الهمايونية التي كانت تفد على الجزائر رأسا من قصر الخلافة هنالك مع إلزامية تنفيذها بحذافيرها، غير أن الوضع اختلف بعض الشيء عن ذي قبل نتيجة تخلي الجزائر شيئا فشيئا عن ارتباطها الوثيق بالباب العالي، و استقلالها المبدأ في الظاهر. وأصبحت تلك الأزياء بما تحمله من مؤثرات حضارية وفنية أصيلة الفنون الفارسية، والسلجوقية التركية، والتصميمات الإيطالية، جزائرية خالصة بطابعها المتميز، وتختلف في الصميم عنها بالكامل،لأن مصممي الأزياء هاهنا استفادوا حتما من تلك الروافد الحضارية، وأخضعوها للنمط المحلي السائد في الجزائر ووسموها به، بحكم التأثير والتأثر المتبادل بين الحضارات.

---

1)- تثبت هذه الوثيقة ملكية البلوكباشي يوسف بن عروج لجنة بفحص العناصر بمدينة الجزائر، للتوسع ينظر: الوثيقة القضائية رقم: 1، المحفوظة ضمن المجموعة الأرشيفية تحت رقم: 3203، بالمكتبة الوطنية بالجزائر.

2)- المحلة: هي مائة فسطاط_خيمة_ فيها من الجنود الأتراك، و في كل فسطاط خمسة وعشرون جنديا للتوسع ينظر:ج.أو. هابنسترايت: **المصدر السابق**.صص، 84، 116.

3)-Diego de Haedo : **Topographie…op.cit**., p, 72.,voir : Kamal Chehrit : **op.cit**.,p,177.

4)- Laugier de tassy : **op.cit**., p, 138.,voir : Kamal Chehrit : **op.cit**.,p,101.

الملاحق:

الصورة رقم 01: زي أغا الإنكشارية عن نيقولاي

الصورة رقم 02: زي الكاهية

الصورة رقم 03: زي الياباشي

الصورة رقم 04: زي البلوك باشي عن نيقولاي

قائمة المصادر و المراجع:

– قائمة المصادر باللغة العربية:

– ابن المفتي: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها، جمعها و اعتنى بها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.

– أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.

– أحمد الشريف الزهار: مذكرات الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

– حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م.

– محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق ممدوح حقي، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

– محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم و تعليق المهدي البوعدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978م.

– محمد بيرم الخامس: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار،ج2، المطبعة الإعلامية بمصر، القاهرة، 1302هـ.

– عبد الله بن محمد الشويهد: قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)، تقديم و تحقيق و تعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

– قائمة المراجع:

-إيرينا بيتروسيان: الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، تقديم و مراجعة قسم الدراسات و النشر بالمركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، 2006م.

– أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ و حضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، ج2، ط2، مطابع دار الإتحاد، دار السلام، القاهرة، 2010.

– أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات(1659-1671)، دار البصائر، الجزائر، 2011م.

1958.

- أورخان محمد علي: روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2000م.
- برنارد لويس: استنبول و حضارة الخلافة الإسلامية، تعريب سيد رضوان علي، ط2، الدار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982م.
-ثريا نصر: تاريخ أزياء الشعوب، ط2، عالم الكتب للطباعة و النشر، القاهرة،2007م.
- ثريا برادة: الجيش المغربي و تطوره في القرن التاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
- دوزي: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية و علق عليه محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.، ج1.
- رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم محمود فهمي حجازي وراجع المادة المغربية عبد الهادي التازي، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر،2002م.
- علي محمد الصلابي: فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007.
- عبد اللطيف بوجلخة: الدولة العثمانية، دار المعرفة، الجزائر، 2005م.
- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط11، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009.
- مصطفى بركات: الألقاب و الوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الأثار و الوثائق و المخطوطات)، 1517-1924، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2000م.
- مراد جه دوسون: نظم الحكم و الإدارة في الدولة العثمانية، نقله إلى العربية فيصل شيخ الأرض، جامعة بيروت الأمركية، 1942م.
- سونيا محمد سعيد البنا: فرقة الإنكشارية نشأتها و دورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية،إيتراك للنشر و التوزيع، القاهرة، 2006.
- لباس فيدائرة المعارف الإسلامية، ترجمة فاروق صادق عسكر، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثامن و العشرون، الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.

- كاثكارت جيمس ليندر: مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية إسماعيل العربي، د.م.ج.، الجزائر، 1982م.
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م.
- دفتر مهم علبة رقم: 02، حكم 2456، تاريخ 976هـ.1
-محمود شوكت: التشكيلات و الأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة 1825م، ترجمه عن التركية يوسف نعيسة و محمود عامر، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، سورية، 198م.
- ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي: الجزائر، العهد العثماني،ج4،م.و.ك.، الجزائر، 1989م.
- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.2000م.
-ج.أو.هابنسترايت: رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة و تقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.
- مجموعة مؤلفين: المعجم الموحد لمصطلحات الآثار و التاريخ (إنجليزي_ فرنسي_ عربي)، سلسلة المعاجم الموحدة رقم:7، مطبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1993.
- كفاية سليمان أحمد، سلوى هنري جرجس،فيفيان شاكر ميخائل:التصميم التاريخي للأزياء الباروكية بالقرن السابع عشر، عالم الكتب للنشر و الطباعة و التوزيع، القاهرة، 2008م.
- الوثيقة القضائية رقم: 1، المحفوظة ضمن المجموعة الأرشيفية تحت رقم: 3203، بالمكتبة الوطنية بالجزائر.
- يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.

– المراجع باللغة الأجنبية:

-Alexandre Papa dopoulo : « Esthétique de L'art Musulman, La peinture », A.E.S. C., 28° année, n°3, France, 1973.
- Georges Marçais : Le costume Musulman D'Alger, collection du centenaire de L'Algérie Archéologie et Histoire, Librairie Plon, Paris, 1930.
-Latifa El Hassar- Zeghari : Les captifs D'Alger d'après la relation de Emanuel d'Aranda jadis esclave à Alger (XVII° siècle), casbah éditions, Alger, 2004.
- Alphonse Royer : Les Janissaires, Dumont éditeur, Paris, 1844.
- R.P.A.Dozy : Dictionnaire Détaillé des noms des vêtements chez les arabes, Jean Muller éditeur Amsterdam,1845. ., p,416.
- Laugier de Tassy : Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de ses revenus, police, justice, politique et commerce. - Un diplomate Français à Alger en 1724, éditions, Loysel, Paris, 1992.,
- HamdanKhodja : Le Miroir Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger, éditions sindbad, Paris, 1985.
- Albert de voulx : Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger imprimerie du gouvernement, 1852.
-Anonyme: Abrégé ou aperçu de l'histoire d'Alger et des nations barbaresques en général, imprimerie de J. Lebreton, France, 1830.
- Alonso Cano :La régence d'Alger au XVIII° siècle nouvel aspect topographique de la ville son état ses forces et son gouvernement actuel comparé avec l'ancien, traduit de l'espagnol par Ismet Terki Hassaine, éditions dar elquds el arabi, Oran, 2010.
-Nicolas de Nicolay : Les quatre premiers livres des navigations et pérégrinations orientales, A, Lyon, par Guillaume Rouille, France, 1568.
- Tamer el Leithy : Military Costume of The Ottoman Empire, dar el kutub, Cairo, Egypt, 2000.
- Le chevalier d'Arvieux : Mémoires du chevalier d'Avrieux, tome 5,chez Charles jean baptiste éditeur, paris, M.DCC.XXXV. 1735 .
- Capitaine V. Y. Boutin : Aperçu Historique, Statistique et Topographique sur l'état d'Alger a l'usage de l'armée expéditionnaire

d'Afrique, 2° édition, J. Pinard imprimeur du roi, quai-conti, France, 1830.
- Mohammed Ben Cheneb : Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien, préface Hédi Ben cheneb, Flites éditions, Médéa, Algerie, 2009.
- Diego de Haedo :Topographie et Histoire générale d'Alger, traduction de l'espagnol et notés de A.Berbrugger et Dr, Monnereau, 3° édition, éditions, grand. Alger. Livres. Alger.2007.
- Henri Klein : Feuillets d'el-djezair, T01, éditions du tell, Blida, Algerie,2003.
- Kamal Chehrit :Les Janissaires origines et Histoire des Milices Turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'Alger, éditions grand. Alger. Livres, Alger,2005.
- Pierre Boyer : « La révolution dite des aghas dans la régence d'Alger (1659-1671), R.O.M.M.,n°13-14, France, 1973.
- Pierre Boyer : « Alger en 1645 d'après les notes du R.H. Hérault », R.O.M.M, n°17, France , 1974.
- Thomas shaw :voyage dans la régence d'Alger au XIII° siècle, traduit de l'anglais par e.mac carthy (1830), éditions grand Alger du livres. Alger., 2007.
- Galland M : Recueil des rites et cérémonies du pèlerinage de la Mecque auquel on a joint divers écrits relatifs à la religion aux sciences aux mœurs des turcs, chez de saint et saillant, paris, M.DCC.LIV.

الزاوية في العمارة الإسلامية بالجزائر

في الفترة العثمانية

د/ بوزرينة سعيد

المركز الجامعي نور البشير بالبيض

الزاوية في العمارة الإسلامية بالجزائر
في الفترة العثمانية

مقدمة

بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطورا سريعا ساير ركب الحضارة، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعا لتعدد وتغير وظائفها، حيث نجد من بين هذه المنشآت الدينية الزاوية، حيث عرفت هذه الأخيرة تسارعا بين النشأة، و التطور في عديد الحواضر الإسلامية، خاصة في فترة الخلافة العثمانية، وقد كان للجزائر نصيبا معتبرا من هذه المنشآت الدينية، حيث لعبت دورا كبيرا في نشر التعليم، و إيواء الطلبة، ولهذا نالت اهتماما كبيرا من قبل الحكام، حيث أوقفوا عليها الأوقاف المتنوعة و أجروا على الأساتذة الجريات الكثيرة. وقد ارتأينا في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على أهم الزوايا التي بنيت في الجزائر خلال الفترة العثمانية، معتمدين في ذلك على الوثائق الأرشيفية.

1 – التعريف الزاوية لغة واصطلاحا:

أ – تعريف الزاوية لغة :

زاوية جمعها زوايا مأخوذة من فعل زوا وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه وبحثا عن الهدوء والسكون، لأنّهما يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة[1].

وتولدت لها معان كثيرة، نحاول أن نتوقف عند بعض منها:

– بمعنى الجمع والقبض: قال ابن منظور في اللسان : (زويت الشيء جمعته وقبضته) وهو المعنى الذي نص عليه الرازي أيضا في مختاره ومثل له بقوله (و زوى الشيء يزويه زيا: جمعه وقبضه)[2].

---

1 – ابن منظور، محمد أبو الفضل، **لسان العرب**، ج7، ط1 دار صادر، بيروت، 2000، ص184

2 الرازي، الإمام فخر الدين الرازي، **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى البغا، ط4، دار الهدى للطباعة، الجزائر،1990،ص184

– بمعنى الحيازة: قال الزمخشري في أساسه (ومن المجاز زوى المال وغيره: احتازه، و زوى الرجل الميراث عن ورثته، عدل به عنهم)[1].

– بمعنى التهيئة: يقولون في هذا الشأن (زوى الكلام : هيأه في نفسه).

– بمعنى التضامن: مثلوا له بقولهم (زوى القوم بعضهم إلى بعض تضاموا) ، وأيضا يقال (انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا)[2]

– بمعنى المنع والصرف والرّد : فيقولون في هذا الشأن (زوى عنه الشّر طواه وصرفه ومنعه إياه)[3].

– بمعنى ركن البيت: وقد نصت على هذا جل المعاجم العربية، وهو المعنى المستعمل في كتب الرياضيات والحساب، فقد أشار الى هذا المعنى ابن المنظور بقوله (وزاوية البيت :ركنه والجمع الزوايا)[4].

ب – تعريف الزاوية اصطلاحا:

هي عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية، وخلايا سياسية يتعلم النّاس فيها مبادئ دينهم، وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم، والمعارف، ويقيمون العلاقات الاجتماعية، والعسكرية، والسياسية[5].

وتعرف بالمشرق بالرُّبُط أو الخنقاوات، وهي منشآت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة والمتصوفين. أمّا في العهد العثماني فيطلق عليها اسم التكايا[6].

وأطلقت كلمة الزاوية على حلقة التدريس بالمساجد، ومن ذلك ما ذكره المقريزي " من أنّه كان بمسجد عمرو العتيق زوايا يدرس فيها الفقه، منها زاوية الإمام الشافعي (رضي الله عنه)[7]. وكذا

1- الزمخشري جار الله محمود، **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت،ص198.

2 – ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص85 .

3- نفسه، ص86.

4 – ابن منظور، المرجع السابق، ص84.

5 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 إلى 1930**، ج2، بيروت، 1969، ص64.

6 – نجيب محمد مصطفى، **العمارة في العصر العثماني**، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، مطابع الأهرام التجارية،1970، ص264.

7 – المقريزي تقي الدين أبو العباس، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**،ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة،ب.ت، ص223.

ما أورده ابن جبير في رحلته من أنّه كان بالجامع المكرم (الجامع الأموي بدمشق) عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس وهي من جملة مرافق الطلبة[1].

ويقصد بالزوايا في المغرب الإسلامي تلك الأماكن المعدة خصيصا لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين[2]، فهي مجموعة من البنايات ذات طابع ديني، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، ولذلك فهي تضم غرفا لإيواء المسافرين والطلبة، بالإضافة الى مسجد تقام به الصلاة و تشمل ضريح صاحب الطريقة أو مجموعة الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته[3]، وليس شرطا أساسيا أن تتميز الزاوية ببساطة بنائها وإعدام زخرفتها مثل ما وصفها بعض الأجانب، بل هناك من الزوايا ما تبهر الناظر من حيث جمال عمارتها وتنوعها وثراء زخرفتها وأناقتها[4].

أمّا دونوفو فيقول: " الزاوية هي عبارة عن مكان تجمع من حولها بين عشرين وثلاثين مسكنا .....وأحيانا تشمل مدينة بكاملها، (كما هي منتشرة في الصحراء الجزائرية)، وهي بناية مربعة الشكل تعلوها قبة تبنى تكريما للمرابط، وقد تكون مأوى للمتصوفين والفقراء[5].

1- ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، **الرحلة سلسلة الأنيس**، دار موفم للنشر، الجزائر،1988، ص238.

2 - أبو عبد الله ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص431.

3 - محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق/الجزائر، (د.ت)، ص 27،28.

4- Devoulx A., **Les édifices religieux de l'ancien Alger**, Typographie Bastide, Alger, S.D, p.11.

5 - ايدوارد دونوفو، **الإخوان دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، ترجمة: كمال فيلالي، دار الهدي عين مليلة، الجزائر، 2003، ص26، وانظر أيضا: - خنقوق إسماعيل، " **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844-1931)** " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2010،2011، ص78.

وإذا رجعنا إلى معنى الزاوية في الجزائر في العهد العثماني فنجد نور الدين عبد القادر يعرفها بأنها أحيانا تدل على محل تلقى فيه دروس للطلبة الكبار وقد تكون الزاوية ملجأ للطلبة أو العلماء الغرباء حيث يجدون فيها المأوى مجانا وما يحتاجون إليه[1]، وقد اقترب يحي بوعزيز من تعريف نور الدين عبد القادر حيث قال: " ....الزوايا عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية، وأخرى لسكن الطلبة والطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات..."[2].

وقد وصفها دوفو Devoulx بأنّها عبارة عن محلات فقيرة وقصيرة أبعادها غير منتظمة (أي شكلها الهندسي غير منتظم)، تبيض بالجير وعادة ما تحمل اسم مؤسسها أو اسم الحومة التي تقع فيها، أو اسم الولي الصالح الدفين فيها أو اسم الجماعة التي تنتمي إليها مثل زاوية الأندلس وزاوية الأشراف[3].

---

1 – نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**،ط2، الجزائر، 1965، ص161.

2 – يحي بوعزيز، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين "، **مجلة الثقافة**، العدد،63، الجزائر،1981،ص16.

3- Devoulx (A.), « **Les édifices religieux de l'ancien Alger** »,In Revue Africaine, Tome 6, 1898 ;p.380.

وكذلك: – ياسين بودريعة، " **أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك** "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2006-2007.

2- نشأة الزوايا وتطورها:

لقد ارتبط بذكر الأولياء والمتصوفة في المصادر التاريخية، وبخاصة كتب المناقب، عدة منشآت تمثلت في الرّباط[1] والرابطة والزاوية مع أن الزاوية لم تظهر في تاريخ التصوف كمركز ديني وعلمي إلاّ بعد الرباط والرابطة[2].

دعت الضرورة بالعرب الفاتحين بعد أن أشرفوا على سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بمجرد فتح بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، قبل أن يكون لهم أسطول بحري، وقبل أن يتمكنوا من إنشاء وسائل دفاع فوق الماء إلى أن يحموا سواحلهم من البر فقط، وأن يركزوا كل دفاعهم الساحلي على الأرض اليابسة، لذا فقد بنيت المناظر والمحارس والربط على طول السواحل التي أشرفوا عليها، حيث تقوم المناظر بمراقبة السفن المعادية قبل اقترابها من الساحل، وتعطي إشارة إيذانا بقدوم العدو وحلول الخطر، وعن طريقها توجه أجناد الربط حركتها، إذ كانت الربط بمثابة مراكز دفاع قوية[3].

فقد كان للرباط دور بارز في تاريخ المنطقة، فهو لم يكن فقط للدفاع عن الحدود وملازمة الجهاد، وإنّما كان مأوى للمتعبدين والزهاد، ومركز إشعاع ديني يتعلم فيه المقيمون أصول دينهم وأحكام الإسلام[4] .

وعلى أية حال، فإن هذه الربط قد ضعف شأنها في العصر المريني، وبدأت تترك مكانها للزوايا التي انقطع أغلبها للجهاد الروحي، وأصبح مصطلح الرباط في إشارات مؤرخي ذلك العصر يلتبس أحيانا بالزاوية، وبالمقبرة الجماعية أحيانا أخرى، إذ نجد صاحب " اختصار الأخبار " قد جمع بين

---

1 - الرّباط مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان، وجمعها ربط، ويعني الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، ويعني أيضا المكان الذي يرابط فيه الجيش، وأصل الرباط أن يرابط الفريقان في ثغر كل منهما معد لصاحبه، ثم سمي المقام في الثغور رباطا، والمرابط والرابط الزاهد الذي نزه نفسه عن الدنيا، والرباط من حيث المدلول المعماري الإسلامي هو بناء حربي يمثل حصنا من الحصون، يقام عند الساحل أو شاطئ نهر أو حد الصحاري، قصد الدفاع عن الثغور أو الحدود عن طريق المطوعة والمجاهدين من المرابطين والمثاغرين، وقد انتشرت هذه الربط منذ الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي من المحيط الأطلسي غربا إلى تونس شرقا، انظر: - محمد حجي ، **نظرات في النوازل الفقهية**، القاهرة، د.ت،ص100.

2 - محمد حجي ، المرجع السابق، ص100، وانظر أيضا: ابن حوقل المصدر السابق، ص74 – 85.

3 - محمد السيد محمد أبو رحاب، **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر أشراف السعديين**، ط1، دار القاهرة، 2008، ص156.

4 - حسن علي حسن، **الحياة الدينية في المغرب**، دار النهضة العربية، 1985، القاهرة، ص 87.

الربط والزاوية في إحصاء واحد دون تمييز[1]، كما نعت ابن أبي زرع شالة المقبرة الملكية لبني مرين بالرباط، كذلك أطلق ابن خلدون مصطلح " ربط " على المقبرة التي شيّدها أبو يعقوب يوسف المريني بتافرطست لتضم رفات أسلافه[2].

أمّا الزوايا، فتعتبر تطورا للربط من حيث أن كليهما مأوى لإقامة الزهاد والمتعبدين وإطعام الفقراء، ولكن بتوزيع جغرافي مغاير، لما كان عليه نظام الربط التي كان أغلبها على الحدود والمراكز الساحلية، بينما انتشرت الزوايا داخل المدن، كما أنّ الزوايا أصبحت تحتضن خلايا اجتماعية دينية لها نفس الأهداف، ولكن لكل منهما طقوسها وطريقتها في الذكر، فضلا عن تنوع أصولها[3].

فإن أقدم المنشآت التي أطلق عليها مصطلح " الزاوية " في المغرب الإسلامي، كانت بالمغرب الأقصى التي ظهرت على عهد الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري المتوفى سنة (631هـ/1234م)، وانتشرت على طول الطريق البري الموصل إلى الشرق فيما بين المغرب ومصر التي يسلكها ركب الحجاج، ليأووا في مراحل سفرهم الطويل[4].

وممّا سبق يمكن القول إن الزاوية قبل أن تكون منشأة خاصة بالتصوف مرت بعدة وظائف تغير خلالها – إلى حد ما – توزيعها الجغرافي داخل المدن تبعا لكل وظيفة، فبدأت بإيواء الحجاج المسافرين عبر الطريق البري المؤدي للشرق الإسلامي، لذا فقد انتشرت على طول هذا الطريق[5].

وفي بداية العصر المريني أقيمت الزوايا خارج أسوار المدن وبالقرب من أبوابها وعلى الطرق المؤدية بين المدن، لاستقبال وإيواء عابري السبيل والمسافرين الواردين عليها الذين يباغتهم الليل، وقد

---

1 – محمد بن القاسم الأنصاري، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969، ص 33 ،34

2 – عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص249.

3 – جورج مارسيه، **الفن الإسلامي**، ترجمة: عفيفي بهنسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1968، ص213.

4 – محمد حجي، المرجع السابق، ص24.

5 – محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص158.

جرت العادة أن تغلق فيه أبواب المدن، كما أن وجودها على الطرق المؤدية بين المدن جعلها بمثابة استراحات يقضي فيها المسافرون ليلتهم قبل متابعة طريقهم[1].

فالغرض الأول من بنائها كان أبعد ما يكون عن الهدف الصوفي الذي اتجهت إليه فيما بعد، حيث أصبحت المكان المفضل لرجال التصوف الذين كانوا ينقطعون فيها للعبادة[2] ثم تحولت لاستقبال المريدين والأتباع الذين ينقادون لطريقة معينة، وصارت لا تبنى إلاّ لهذا الغرض، وكان السلطان أبو عنان قد خصص للفقراء الوافدين على الزوايا طعاما يوميا[3].

وفي العهد المملوكي، استخدم لفظ الخنقاة بعكس معناها المعماري ووظيفتها الصوفية المشار إليها[4] حيث أصبحت تشمل على المدرسة والضريح في آن واحد، وهو ما يلاحظ في خنقاة بيبرس الجاشنكيز في القرن الثامن الهجري التاسع عشر الميلادي[5]، وفي العهد العثماني ظهر مصطلح التكية في المناطق الشرقية من الدولة، وهي نوع من العمائر الإسلامية لا تختلف كثيرا عن الخنقاه، من حيث الهدف والغاية وإن اختلفت عنها بعض الشيء في التخطيط والعناصر المعمارية[6].

وفي نهاية القرن التاسع الهجري الحادي عشر الميلادي بدأت الزوايا تمارس أنشطة دينية وتعليمية ثمّ سياسية، وتختلف فيما بينها من حيث الشكل المعماري، فبعضها بسيط في بيت أو مسجد صغير للصلاة والذكر واجتماع المريدين أو في المكان الذي يسلكه أحد الصلحاء أو موقع خلوته، وبعضها نشأ حول ضريح أحد الصلحاء ويجتمع فيه أتباع طريقته، للزيارة والإقامة، وتتوفر الزاوية على مقبرتها الخاصة وعادة يدفن فيها أفراد عائلة شيخ الطريقة والمريدون وغيرهم، وتشمل الزاوية فضلا عن ذلك على مساكن لشيخ الزاوية بالإضافة إلى حجرات وغرف لاستقبال الغرباء والوافدين[7].

---

1 – عبد العزيز الدولاتلي، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي دار سراس للنشر، تونس، 1978، ص141، 142.

2 – أبو عبد الله ابن مرزوق، المصدر السابق، ص20

3 – إبراهيم حركات، المرجع السابق ، ص7.

4 – محمد رزق عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 94.

5 – حسن باشا، **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، مصر، 1979، ص 173.

6 – محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص 57 ،58.

7 –Marçais,G. , **L'Architecture Musulmane d'Occident**, paris 195,p 386.

3- أقسام الزاوية:

ظل مصطلح الزاوية محتفظا في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولا، إذ يطلق على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، أو تلك التجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، المقسمة من الداخل على بيوت للصلاة (المسجد)، وقاعة الضريح، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكن الطلبة، وطهي الطعام (المطبخ)، وتخزين المواد الغذائية والعلف (المخزن)، و وسقائف وأفنية وصحون ومقابر[1].

وقد ارتبطت أنماطها المعمارية بالطابع المحلي التقليدي الريفي والصحراوي وبالطراز الوافد، من تخطيطها ومواد بنائها، ممّا جعل الفرق بين زوايا المدن وزوايا الأرياف وزوايا الجنوب في المناطق الصحراوية[2].

4- التكوينات المعمارية للزاوية:

أ – المسجد:

– تعريف المسجد لغة:

إنّ التحديد اللغوي للكلمة هو من فعل سجد خضع وانحنى إلى الأرض، وسجد يسجد سجودا أي وضع جبهته على الأرض[3]، والمسجد بكسر الميم هي الحصير الصغير[4].

أمّا ابن المنظور، فيقول، بأن فعل سجد بمعنى خضع، ومنه سجود الصلاة، ولا خضوع أعظم منه[5].

– تعريف المسجد شرعا:

هو كل موضع من الأرض، لقوله صلى الله عليه وسلّم " جعلت لي الأرض مسجدا ".

1- محمد نسيب، المرجع السابق، ص30.

2- لمزيد من المعلومات، أنظر: – طويل العيدي، **الزوايا الريفية بمنطقة سطيف**، مذكرة التخرج لشهادة الماجستير في الآثار الريفية الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/2010، ص 85.

3- محب الدين مرتضي الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق علي يسري، دار الفكر، بيروت، 1994، ص165- 167.

4- أبو الحسن بن عبد الله العسكري، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، الجزء الأول، القاهرة، 1808 ص137.

5- ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ط18، بولاق، 1900م، ص187، 188.

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، لقوله صلى الله عليه وسلم " فأقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد " [1] اشتق اسم المكان منه فقيل " مسجد " ولم يقولوا "مركع "[2].

والمسجد جمعه مساجد وهو عموما كل مكان يسجد ويتعبد فيه الإنسان، واحدا تقام فيه الصلوات الخمسة فقط ويدعى بالمسجد، بينما الآخر تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والأعياد ويسمى بالمسجد الجامع أو الجامع[3] .

يعتبر المسجد وحدة معمارية مميّزة، فهو يمتلك خاصية هيكلة النسيج العمراني، خاصة في البيئة الصحراوية، وهذا نظرا لقيمته المعمارية المستمدة من قيمته العقائدية التي نلمسها في فضل البيوت والمساكن القريبة منه.

تمتاز بيوت الصلاة في زوايا الجزائر خلال العهد العثماني، الجمع بين وظيفتي التدريس وأداء الصلاة. أمّا من حيث تخطيطها المعماري فيتميز بشكلها المستطيل والمربع وبعناصرها المعمارية كالمحراب والعقود والأعمدة والدعامات والمئذنة، والقباب.

ب – الضريح:

– تعريف الضريح لغة:

هي كلمة مشتقة من فعل ضرح، وهو بمعنى القبر حفره أو شقّه، أي حفروا له ضريحا[4] وسمي ضريحا لأنّه يشق في الأرض شقّا أو لأنّه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه[5].

– تعريف الضريح اصطلاحا:

أمّا في المصطلح الأثري فهو الحجرة المشتملة على قبر أو تربة تعلوها قبة، وقد ميّز البعض بين القبر الذي هو حفرة الميت وبين التربة التي هي بناء مقام فوق القبر الذي أخذ في العصر الإسلامي

1- محي الدين النووي، **شرح مسلم**، ج3، بيروت، 2000م، ص293.

2- الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، تحقيق: الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، 1995م، ص13.

3- عبد الرّحيم غالب، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط1، بيروت، 1988م، ص381. لمزيد من المعلومات، انظر: خيرة بن بلة المرجع السابق، ص32،33.

4 – ابن المنظور، المصدر السابق، ج11، ص526.

5 – محمد حمزة إسماعيل حداد، **القباب في العمارة المصرية الإسلامية**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م ص18،19.

أشكالا عديدة كان منها البسيط الذي يتألف من كومة من الحصى أو التراب، ومنها المبنى المرتفع الذي تفنّن المعماريّون فيه حتى القصور[1] .

وهو مدفن لسلطان، أو أمير، أو رجل (ولي) صالح أو إنسان آخر له مكانة اجتماعية مرموقة تدعو إلى تخليد ذكراه[2].

وعرفت هذه الكلمة عدة اصطلاحات في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، كاصطلاح " التربة " وهذا في العهد العثماني وبالأخص في تونس، وكذلك " مشهد " وهذا للدلالة على مدفن تذكاري لدفن الشهداء وأهل البيت، وهذا الخبر متداول خاصة في مصر، كما نجد مصطلح " مزار " ويطلق على ما يزار من الأماكن من قبور الأنبياء والأولياء عند بعض المسلمين وقبور القديسين عند النصارى، إلى كل هذا نجد كلمة " مقام " لها نفس معنى تلك الأخيرة، ثمّ نجد كذلك مصطلح " القبة " وهو المتداول بكثرة في العالم الإسلامي[3].

تعددت أساليب بناء القبور منذ فترة ما قبل التاريخ، حيث وجدت مدافن على شكل مسكن، وهي عبارة عن مناضد حجرية تتكون من عدة غرف، وأشكال أخرى عبارة عن مغارات في الصخور، وفي العمارة المصرية ظهرت عمارة الأهرامات والمصاطب، ونفس الفكرة ظهرت في حضارة وادي الرافدين، وفي العصر الإغريقي ظهرت عمارة المعابد، وفي العصر الرّوماني ظهرت بعض الأنواع من الأضرحة عبارة عن أقبية تحت الأرض، ثمّ المقابر التذكارية المستديرة ثمّ الأضرحة الهرمية[4].

أمّا في العصر الإسلامي، فإنّ أقدم ضريح أقيمت عليه قبة يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وذلك في قبة الصليبية في سامراء بالعراق على الضفة الغربية لنهر الدجلة، ثمّ يأتي ضريح إسماعيل السماني المبني سنة (296هـ/970م) في مدينة بخارى، ثمّ ضريح الإمام علي

---

1 – عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، 2000م، ص 125.

2– عبد الجواد توفيق، **تاريخ العمارة والفنون الإسلامية**، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972، ص74.

3 – صالح مصطفى لمعي، **القباب في العمارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت، ص23.

4 – عبد الكريم عزوق، " الأضرحة ببجاية – دراسة انموذجية – "، **مجلة دراسة تراثية**، العدد، 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007، ص137. وانظر كذلك: – عبد الجواد توفيق، المرجع السابق، ص32.

بالنجف الذي بناه الحمدانيون سنة (317هـ/929م) ثمّ ضريح محمد بن موسى في مدينة " قم " الإيرانية عام (366هـ/976م)، ثمّ ضريح سبع بنات في الفسطاط بمصر سنة (400هـ/1009م)[1].
ويكون ضريح الولي عادة مرتفعا ومغطى بتابوت خشبي عليه أقمشة مذهبة وملونة حريرية وغيرها ومحاط بشبّاك مغلق، وتكون الأعلام والرايات التي ترجع إلى الطريقة التي ينتمي إليها إن كان من أصحاب الطرق.

الشكل العام للضريح عبارة عن حجرة مغطاة بقبة، وبتحويل المسقط من المربع إلى دائرة عرفت منطقة الانتقال تطورات خلال العصور الإسلامية، أمّا عن القبة فتنوعت أشكالها من المشرق إلى المغرب، بتنوع الأضرحة، فمنها البسيط المنفرد والبناء المتكون من غرفة واحدة مقببة ومنها الملحقة بالمدرسة أو الجامع، وقد يكن للضريح محرابا أو مصلى[2].

و يلاحظ أنّ الأضرحة تأخذ أشكالا مختلفة من منطقة إلى أخرى ، ولقد أعطى لنا الأستاذ الباحث كوفي Cauvet أشكالا وأنواعا مختلفة من الأضرحة تتمثل في:

– أضرحة تعلوها قبة نصف كروية: وهي أضرحة مغطاة بقبة نصف دائرية مدببة قليلا في المركز، أخذ هذا التأثير من خيم المغول والتركمان، فكلما اتجهنا نحو الجنوب نلاحظ بعد التعديلات طرأت على هذا الشكل من القباب، ويلاحظ هذا النوع في كل من طرابلس، تونس، الجزائر، والمغرب.

– أضرحة على شكل كوخ بسقف عادي أو منحدر ومزدوج: توجد بكثرة في المناطق الجبلية بحيث يكون على هيئة كوخ بسيط غالبا ما يبنى بالحجارة الجافة، والسقف من القرميد ويتوفر هذا خاصة في منطقة القبائل الكبرى، وكذا منطقة الأوراس.

– أضرحة ذات قباب محمية بسطح من القرميد: هذا النوع خاص بالمناطق الساحلية (كثيرة الأمطار والثلوج) وقد عثر عليه في الجزائر في منطقة المدية و سيدي عيسى وبسكرة مجسدا في زاوية وضريح سيدي خالد.

---

1 – سعاد ماهر، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحين**، ج،1، القاهرة، ص40.

2 – طه الولي، **المساجد في الإسلام**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص126.

– أضرحة ذات قباب أو مخروطية: له قمة حادة على الجانب، إذ تتّخذ شكلا متساوي الأضلاع مشكلة بذلك قوس تام منكسر، أو نصف دائري كما هو عليه مزار فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، أمّا في الجزائر فنجده في أضرحة بسكرة.

– أضرحة ذات قبة كمثرية بشرفات حادة مهذبة: سميت كذلك لاتخاذها الشكل الإجاصي المقسم في الوسط بالعرض، حيث تتوج مؤخرتها بشرفات أسطوانة حادة.

– أضرحة ذات قباب مركزية ضيّقة: غرار الأنواع السابقة، فإنّ هذه الأضرحة تعلوه أسطح الغرفة المشكلة للهيكل الضريح وقبة ضيقة متوسطة الارتفاع، أحيانا ما تحيط بها أربعة قباب صغيرة في الزوايا.

– أضرحة هرمية أو مخروطية بدون منارة: وهي عبارة عن مبنى هرمي، أو مربع، أو مخروطي تنعدم فيه الشرفات ويكون على أرضية من الأجر المجفف ويطلى بالجبس أو الملاط الأبيض(وهو ذو تأثير مغربي أندلسي بدأ انتشاره مند بداية القرن 6هـ / 12م[1].

جـ– الصحن:

الصحن هو المساحة المكشوفة أو المغطاة تتصل بها من الناحية الجنوبية برواق القبلة، ومن النواحي الثلاث الباقية بالأروقة الثلاثة الأخرى، حيث يعتبر المجال المركزي والعصب الحيوي في المسكن الأصيل[2].

ويعرف صحن الدار على أنه وسطها ومركزها ويطلق عليه أحيانا باحة أو ساحة، ويسمى محليا بوسط الدار أو الحوش، وهو أهم فضاء في المنزل ولم يقتصر تصميمه على الدور السكنية فقط، وإنّما اتخذ " كنواة للخان والفندق والقيسارية والوكالة والمارستان والقصر والدار والزوايا"[3]، يعتبر من العوامل الأساسية التي لها دور في التكوين المعماري لكل مبنى.

1- Cauvet (C.), « **Les marabouts**, **petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique** », Revue Africaine, Paris ,1923,p.274-361. IN

وانظر أيضا: وهيبة خليل، **أطلس المعالم الدينية لمدينة الجزائر خلال العهد الإسلامي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2009/2008 ص153،152.

2 – محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص48.

3 – جمعة أحمد قاجة، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، ط1، لبنان، 2000، ص327.

فا المساجد المبكرة لم تستغن عنها، بل كانت جزءا لا يتجزأ من المساجد التقليدية التي اتخذت منه وسيلة للتقليل من الحرارة القاسية، حيث تطل على بيت الصلاة وتستمد منه الإضاءة والتهوية وغالبا ما تجد وسطه نافورة تزيد من لطافة الجو، فضلا عن وظيفتها الرئيسية التي هي الوضوء للصلاة.

كما يضيف إيلي لومبيز بقوله: " أنّ المناخ اللّطيف في حوض المتوسط والحرارة المعتدلة يسمحان إقليميا بإعطاء حيز الفسيحات المكشوفة أهمية قصوى في هندستها وعدم الاستغناء عنها "[1].

أمّا سكينة ميسوم، فتراه عاملا مهما في " الإقلال من نسبة الغبار المتصاعد من الطرقات المحيطة بالمبنى وهو المجال المناسب للعب الأطفال وإقامة الحفلات التي تعتبر الوقت الاستثنائي لقبول الرّجال الأجانب عن العائلة "[2].

والواقع أن مواضيع الصحون في هذه الزوايا لم يكن نابعا من تقليد معماري معين وإنّما فرضته طبيعة المكان والموضع والمساحة المخصصة للبناء، فهذه الزوايا بهذه المدن كانت تعيش خلال العهد العثماني في اكتضاض وتكدس عمراني لم تشهده من قبل، وأيضا هو نقص الساحات والرحاب داخل هذه المدن.

كما يعتبر الصحن أهم وحدة معمارية في العمارة الصحراوية، في البيئة القاسية خاصة في مناطق المناخ الحار، وهو يقوم بدور المنظم الحراري للمسكن، حيث يعمل على تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى مستفيدا من الفرق الكبير في درجة الحرارة ما بين الليل والنهار، وتكوين أماكن ضغط متباينة ما بين الشوارع الضيقة المظللة والصحن المفتوح، من خلال دورة التبريد التي تتكون أثناء الليل والنهار، والتي تبدأ من ترسيب الهواء البارد في الصحن والغرف المحيطة به ليلا إلى ظهيرة اليوم التالي عندما تسخن الأسطح المعرضة للشمس[3].

---

1 – إيلي لومبيز، **تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا**، دار آسيا، بيروت، 1985، ص29.

2- Missoum (S.), **Alger à l'époque Ottomane la médina et la maison traditionnelle**, INAS, Alger, 2003, p.215

3 – وليد شلتوت، **الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي**، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30،31، مارس، 2009، ص121، لمزيد من المعلومات، أنظر كذلك: – مراد حديبي، المرجع السابق، ص130، 132.

د- الغرف

الغرفة جمعها غرف بضم إلغاء وفتح الراء، وهي الحجرة في الطابق الثاني من الدار وما فوقها، أمّا معماريا فهي حجرة صغيرة بالأدوار العلوية[1].

حدد التصميم الداخلي للغرفة حسب الوظيفة التي تؤدى فيها، وكلها تقريبا تشترك في خاصية واحدة تتمثل في الشكل المستطيل والمربع، كما يتم توزيعها حول الصحن من جهاته الأربع في بعض الزوايا، وأنّ مقاساتها تختلف من زاوية للأخرى، فنجد أنّ غرف الإقامة تمتاز بالبساطة، وهي دلالة واضحة على الزهد والتقشف الذي ميّز الحياة في الزاوية، جدران الغرف مزودة بمشكاوات على شكل مثلث متساوي الساقين، كما تتوفر في الداخل على مدفئة تستعمل شتاءا، وفي أعلى الجدار رفوف من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة، وأحيانا تكون هذه الغرف مكونة من قسمين، قسم للجلوس، وقسم مخصص للنوم.

كما توجد غرف للاستقبال في معظم بيوت الجنوب الجزائرية وفي الزوايا الكبيرة، وهي عادة ما تفتح مباشرة على السقيفة، إلاّ في بعض الاستثناءات في الزاوية، إذ نجد بابا مخصصا لدخول الضيوف دون إزعاج من بداخل الدار، كما يفتح بها باب ثاني خاص بأهل البيت ليسهل عليهم عملية تنظيفها، ونقل الطعام إلى الضيوف وتزويدهم بما يحتاجونه.

و – المطبخ:

يعتبر من بين المرافق التي يحتويها كل مبنى، وجعل البنّاء يهتم بطريقة بنائه واختيار المكان المناسب، نجده في الزوايا والمباني بالطابق الأرضي، بعيدا عن هبوب الرياح لمنع تصاعد الدخان إلى الفضاءات الأخرى في المبنى.وتسهيل تزويده بالمواد الأولية كالحطب والماء وغيرها، ووضع فتحات تكون مفتوحة على الخارج، وبنوافذ مفتوحة نحو الداخل، وذلك لتوفير الإنارة والتهوية اللازمة[2].

وتعلو المطبخ رفوف وأوتاد وبعض الكوات التي تستعمل لوضع لوازم المطبخ والأواني المستعملة لها، ويرجع اختيار المطبخ في وسط الدار حتى تكون المرأة قريبة من غرفة الاستقبال، كما يسهل عليها عملية مراقبة دخول وخروج الأشخاص من وإلى المنزل.

---

1 – محمد رزق عاصم ، المرجع السابق، ص211.

2 – محمد الطيب عقاب، **مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص115.

هـ – المخزن:

يعتبر المخزن من مكونات القارة للزاوية، كونه يرتبط بمستقبلها وتأمين المواد الغذائية الإستراتيجية، فهي غرف ضيقة، تحتل موقعا من الزاوية بعيدا عن الأنظار، ويكون أبرد مكان فيها، وأقل عرضة لأشعة الشمس، وتكون هذه الغرف في غالب الأحيان بالطابق الأرضي وتحت السلم، وتزود بداخلها بعوارض خشبية تعلق عليها حزمات البصل والثوم[1].

وتستعمل السبالات وهي قلل كبيرة لحفظ الحبوب، والزيت والشحم ومختلف الدهون، وأنّ هذا النّوع من المخازن له أهمية كبرى، باعتباره الميمون الرئيسي لأهل الدار وقت الحاجة الملحة، كون بعض المناطق تتعرض للعديد من الأزمات الغذائية، كما يرجع ذلك إلى قسوة الظروف الطبيعية كالجفاف والفيضانات وحتى الأزمات الأمنية.

ي – المقابر:

تشكل المقابر وحدة عمرانية لا يمكن الفصل بينهما، وجاءت هذه المقابر في ساحات و رحبات مكشوفة واسعة، كما جاءت داخل غرف وقاعات خاصة مستطيلة وواسعة.

ويتم تحديد موضع الرأس والأرجل في المقبرة بواسطة حجارة مصفحة مثبتة عموديا وهذا ما نشاهده في زوايا المناطق الجنوبية الصحراوية.

4– أنواع الزوايا ومهامها:

أ – أنواع الزوايا:

إنّ تعدد الزوايا في الجزائر، سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي:

– زوايا المشايخ:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النّظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة، ويعرف بشيخ الطريقة وهو الذي يعطي الأوراد أي الميثاق[2]، وهذا الشيخ له أتباع

---

1 – محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص124.

2 – الميثاق: ويسمى الورد أو الوسيلة، وهو عبارة عن تلقي روحي يشتمل على أذكار ووصايا مقتبسة من نصوص الشريعة، يوصي بها الشيخ المربي مريديه الآخرين بيده أو بسبحته مغمضين أعينهم فيتلقونها منه بحفاوة، وقد يحرصون على التقيّد بها طيلة حياتهم، ويقول النّاس في المثل الشعبي (اللي ما عندو شيخ شيخو شيطاني) ومعنى شيطاني عمله شيطاني لا رباني.

ومريدون يسمون الإخوان، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدين والمحسنين فهم الذين يولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والتبرعات والصدقات من الشعب.

والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته، وهو صاحب الحل والعقد، وهو الذي يعين المعلم ويعزله حين يشاء وكذلك يحدد المواد التي تدرّس للطلبة، فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخيه أو ابنه....الخ، إمّا عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة أو ترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل وذلك حسب تقاليد الأسرة[1].

ومن هذا النوع من الزوايا، الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط بتماسين، وبوسمغون بالبيض، وقمار بوادي سوف، وزاوية الهامل القاسمية ببوسعادة، وزاوية الحملاوي بقسنطينة، وزاوية سحنون في أغرار أمقران ببجاية، وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار[2].

– زوايا المرابطين:

وهي ملكية جماعية يؤسسها جماعة من المرابطين ويسيرونها فيما بينهم، مواردها تتمثل في صدقات المحسنين والنذر والهبات والزيارات والحبوس وتنفق على طلبة العلم والإخوان، وينتشر هذا النّوع من الزوايا في بلاد زواوة بمنطقة القبائل[3].

– النّوع الثالث:

وهو فريد من نوعه في القطر الجزائري، حسب ما قاله لنا الشيخ الذي زرناه في منطقة القبائل، والأمر يتعلق بزاوية سيدي عبد الرّحمن اليلولي والتي تأسست بأيلولة بعزازقة مدينة تيزي وزو سنة (1045هـ/1635م)، حيث يسيّرها الطلبة بحرية تامة واستقلالية في تسيير شؤونهم وتدبيرها ويسهرون على وضع نظامهم الداخلي وبتدبير علاقاتهم الخارجية.

ويمكن إضافة نوع آخر من الزوايا وهي :

---

1 – عطية شطة، " **البعد التربوي والروحي للزوايا** " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2007–2008، ص 65.

2 – عطية شطة، المرجع السابق، ص 66.

3 – نفسه، ص67.

– الزوايا المنسوبة:

وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحي ذكراه، وهو مدفون بالزاوية.

إنّ العامل المشترك بين الزوايا تتمثل في مجانية التعليم والإيواء للضيوف والإخوان، إلى جانب السلطة الروحية التي تمارسها الزاوية على مريديها[1].

ب – مهام الزاوية:

لقد كان للزوايا الدينية نشاطات مختلفة ومتنوعة في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل وحتى السياسية بالجزائر، وهي أنّها:

– اهتمت بتحفيظ القرآن، ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة، وعمقته بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وساعد ذلك على حمايته من النسيان والضياع والنسيان.

– احتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتها بشكل واسع ومكثف، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة، وأنفقت عليهم بسخاء، وكان ذلك شكل من أشكال مقاومة الجهل والأمّية ونشر العلم والمعرفة، وعملا ضد سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تتبعها ضد الأهالي الجزائريين.

– عملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، كما فعلت التيجانية والسنوسية.

– عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع، فجمعت تحت لوائها بين الأغنياء، والفقراء، والعلماء والأميين، وشرفاء الأصل، وغيرهم، وصهرتهم في بوثقة واحدة وألّفت بينهم جميعا[2].

– لعبت دروا بارزا في إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وذلك بفضل مركز شيوخها، ومقدميها ووكلائها، فكانت الحكم بين الناس، فقلّلت من المشاكل، وتمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي والخلقي، وساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية.

---

1 – نفسه، ص.68

1 – يحي بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، " ط،1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص20.

– إضافة إلى التكافل الاجتماعي فإنّ هناك تكافل اقتصادي بين الأسر والقبائل والعشائر، في مشاريع كبرى كالحرث والحصاد والجني والبناء والرّعي والرحي وجمع العلف اليابس لها، وكانت الزوايا تنفق بسخاء على كل الأعمال من خلال العائدات و المداخيل والموارد المالية للطرق الصوفية والمرابطين التي تأتيها من موارد مالية مختلفة منها:

– الأوقاف سواء كانت أراضي أو بساتين أو أشجار مثمرة أو محلات تجارية وحيوانات وحمامات والفنادق وغيرها، وهي تدر بأموال و مداخيل ينفق منها على الطلبة والعلماء والأئمة والمؤذنين والمنظفين.

– بالإضافة إلى ما يقدمه المريدين عند زيارتهم لشيخ الزاوية أو مقدمها، ثمّ الهدايا و الوعدة وكذلك تبرعات المسافرين الذين ينزلون بها[1].

– كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن، ودواوين، للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم، والنسخ، والنقل، والتأليف والجمع، غير أن معظم ما بها من تراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال فترة السيطرة الاستعمارية على الجزائر وبلدان المغرب العربي، وتعرض جزء هام من هذا التراث الى التلف والضياع خلال مرحلة المقاومة للزحف الاستعماري الأوروبي في القرنين 19م و20م وخاصة في حرب التحرير الأخيرة (1954م-1962م) بالجزائر.

– شاركت هذه الزوايا مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية أو الاستعمارية، فحاربت الدرقاوية الولاة الأتراك في شرق الجزائر وغربها وحاربت الرحمانية والسنوسية الاستعمار الفرنسي في الجزائر والإيطالي في ليبيا.

– بذلت هذه الزوايا جهودا كبيرة وكثيفة في مقاومة الفرنسة والتنصير وعملت على حماية الشخصية العربية الإسلامية بواسطة نشر الدين واللغة العربية والثقافة العربية بمختلف الوسائل والسبل والإمكانيات، وفي كل الأوقات والظروف، وكان ذلك خيرا وبركة على الجزائر وشعبها[2].

---

1 – نفسه، ص 21.

2 – نفسه، ص 22.

5- الهيكل التنظيمي للزاوية:

- الشيخ: وهو المدرّس والمصلح والمفتي والدليل الروحي لكل من يلجأ إليه، وهو شيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد، يستمد نفوذه من مكانته الدينية، باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس.

وقد أحيط الشيوخ[1] بهالة من التقديس في نظر الأتباع والمريدين، فأصبحوا لهم مصدر السعادة والخير والنفع والشّر والضرر، فكل من مسّه الأذى أو الشقاء إلاّ واعتبره غضبا من الشيخ فيسرع إلى ضريحه لنيل مرضاته، فهو واسطته التي يتوسل بها إلى الله، فيقدم له الهدايا والزيارة، و يتعّهده لطاعته والولاء له ولخلفائه، ويداوم على ورده.

- الخليفة: يأتي في المرتبة الثانية، فهو الذي يرث مقاليد الطريقة وعادة ما يسمّى بالخليفة الأكبر أو بصاحب السّجادة، وهو نائب الشيخ وممثله في البلاد البعيدة والزوايا الفرعية، أمّا بالزاوية الأم فهو المعلم الكبير.

يسهر الخليفة على تسيير الطريقة والدفاع عن مصالحها، فيحافظ على أوراد الطريقة وأذكارها، فلا يزيد فيها ولا ينقص.

- الوكيل: يعوض المرابط حالة وفاته، ويلتزم بذلك حرفيا جميع طلبة الزاوية والأتباع المعروفين، فيوزعون بينهم حسب قدراتهم ومكانتهم من شيخ الزاوية، والخدمات والمهام المتعددة، وهو الذي يدير أملاك الشيخ، فهو المحاسب والمسير، وحارس ضريح سيده[2].

- المقدم: وهو مندوب الخليفة أو ممثل الشيخ أمام العامة، وقد يمنحه الشيخ صلاحيات واسعة بالمناطق البعيدة عن إقامته بالزوايا الفرعية، ويراسل الخليفة ليطلعه على الأخبار، أو يطلب منه نصائح، وله خاتم[3].

---

1 - محمد نسيب، المرجع السابق، ص 103

2 Delpech, (A.) « **La Zaouia de sidi Ali ben moussa** », IN Revue Africaine,N :18,1874, OPU ,1986,p.87.

3 - Brosselards, **Les Khouans de la constitution des ordres religieux musulmans en . imprimerie de la Bouget**, Alger, 1952,p.09

– **الراقب:** ينوب عن الشيخ، يسمى كذلك شيخ الحضرة، يقوم عادة بإمامة الصّلاة في الزوايا الفرعية، مهمته نيابة الشيخ في الأوقات اللازمة[1].

– **الأعضاء الباقون:** الإخوان والفقراء أو الخدام.

– **المريدون:** يشكلون قاعدة الهرم، يطلق عليهم " الإخوان " في المغرب العربي، بينما يعرفون في المشرق باسم " الدراويش " ويتميّزون بأسماء مختلفة من طريقة إلى أخرى، مثلا عند القادرية يعرفون باسم الفقراء، وعند التيجانية يعرفون باسم الأحباب، وأهم شيء للمريد عند انخراطه في الطريقة هو طاعة أهلها وعلى رأسهم الشيخ، وأن يطبق القاعدة الصوفية المشهورة " اعتقد ولا تنتقد " [2].

6– الأوقاف:

يمكن تقدير منشأ الأوقاف في الجزائر – أو فيما كان يسمى بالمغرب الأوسط – بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهري، ثم انبرى الجزائريون جيلاً بعد جيل يتسابقون في أعمال الخير بدءاً ببناء المساجد ثم يحبسون لها العقارات لتأمين خدمتها وخدماتها العلمية والدراسية فضلاً عمّا يخصص لمرافق المساجد وصيانتها وما ينفق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ثم توسع الوقف ليشمل الأراضي والبساتين والمحلات وشتى الأملاك ممّا كان يدر عائدات معتبرة توجه لتمويل مساحة هامة من النشاط الاجتماعي والثقافي والعلمي إضافة إلى دورها البارز في تمتين شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي[3].

لقد تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر الأوقاف وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد منذ أواخر القرن الخامس عشر ميلادي وحتى مستهل القرن التاسع عشر الميلادي، وتزايدت حتى أصبحت الأوقاف تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ففي سنة 1750م تضاعفت عقود الأوقاف اثنتي عشرة مرة مقارنة بسنة 1600م، وهذا التزايد المستمر

1- Brosslards, Op.Cit,p09.

2- محمد نسيب ، المرجع السابق، ص104.

3 – محمد البشير الهاشمي مغلي ، " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي "، **مجلة المصادر**، العدد السادس، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، ص161.

للأملاك الموقوفة خلال هذه الفترة يمثل إحدى دورات المد الوقفي في تاريخ الجزائر. وفي هذه الفترة اتسع الوعاء الاقتصادي للأوقاف حيث أصبح يشتمل على الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، إضافة إلى العديد من الدكاكين والفنادق وأفران الخبز والعيون والسواقي والحنايا والصهاريج، وأفران معالجة الجير، زيادة إلى الكثير من الضيعات والمزارع والبساتين والحدائق المحبسة، حيث اشتهرت كثير من المدن بكثرة أوقافها [1].

أ – تعريف الوقف لغة واصطلاحا :

– الوقف لغة:

الوقف أو الوقوف لغة هو خلاف الجلوس، وَقَفَ بالمكان (بفتح القاف) وَقْفاً (بسكون القاف) ووقوف، فهو واقف، والجمع وُقْفٌ (بضم الواو، سكون القاف)، ويقال وقفت الدابة تقف وقوفا، ووقفتها أنا وقفا، ووقّف الدابة جعلها تقف [2].

وقد اشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول وهي الموقوف، ويعبر عن الوقف بـ "الحبس والتسبيل" [3].

– الوقف اصطلاحا:

أمّا في الاصطلاح فللوقف تعريفات متعددة، فقد عرّفه الإمام أبو زهرة بأنّه قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة الخير ويستوي في ذلك أن يجيء في صورة الوقف الخيري أو الأهلي[4].

والوقف غالبا يقوم على فكرة التصدق ليبتغي به الإنسان فيما آتاه الله تعالى من مال أو نحوه ابتغاء الدار الآخرة، ولهذا يوصف الوقف بأنّه عقد من عقود التبرعات، ومن هذا المنطلق عرّفه

---

1 – مديرية الأوقاف، **الأوقاف الجزائرية**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جوان 1998، ص1.

2 – ابن منظور، المصدر السابق، المجلد،15، ص 173

3 نفسه، المجلد،09، ص 360 انظر أيضا: – الزمخشري، **أساس البلاغة**، الطبعة 19، دار الفكر، لبنان،1979، ص 76.

4 – محمد أبو زهرة، **محاضرات في الوقف**، ديار الفكر العربي، القاهرة، 1772، ص 07

الفقهاء بأنّه إعطاء عين لمن يستوفي منافعها والانتفاع بها أو الانتفاع فقط على وجه التأبيد أو على وجه التوقيت[1].

وللوقف نظام داخلي دقيق، فالوكيل (أو الناظر) هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، وهو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الوجوه المعينة، والباشا (أو الباي في الأقاليم) هو الذي كان يعين الوكيل بناء على مواصفات معينة كالأخلاق الفاضلة والنزاهة والعلم والسمعة الطيبة بين النّاس، ومن الممكن تغيير الوكيل عندما تشتهر عنه أمور مخلة بنظام الوقف أو بالأخلاق العامة[2].

وأنواع الوقف كثيرة وليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا لأبناء السبيل، ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة[3].

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة، والواقفون بالجزائر لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب، ولذلك وجدنا فيهم الرّجال والنساء، والعثمانيين والحضر، والأحناف والمالكية، ولعل الفرق بين واقف وآخر هو النية الحسنة والثروة[4].

---

1 – مجد الدين فيروز الأبادي، **قاموس المحيط**، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت،1983، ص 205

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج،1، ط،1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 229

3 – نفسه، ص 230.

4 – نفسه، ص 232

7 – وثائق الزوايا بالجزائر:

– وثائق المحاكم الشرعية:

تعتبر وثائق المحاكم الشرعية المحفوظة على مستوى مركز الأرشيف الوطني ببئر خادم بمدينة الجزائر التي تعود إلى العهد العثماني، وهي عبارة عن عقود قضائية تخص قضايا متنوعة، تضم عقود التحبيس، والشراء، والبيع، وعقود الزواج، وعقود الطلاق، والعتق، والمرافعات .....وما إلى ذلك[1].

وتتميز وثائق المحاكم الشرعية بالجزائر بكونها مكتوبة باللغة العربية، ويبلغ عددها نحو 13000 وثيقة موزعة على 154 علبة2.

فيجد الباحث بعض الصعوبات، حيث إن هذه الوثائق لم تخضع لأي تصنيف لا مكاني ولا كرونولوجي، كما أن الكثير منها مفقود نتيجة تعرضها لإتلاف كبير بعد احتلال مدينة الجزائر[3].

– سلسلة البايلك وبيت المال:

بالإضافة إلى سلسلة المحاكم الشرعية يتوفر مركز الأرشيف الوطني على مجموعة هامة من الوثائق العثمانية المتعلقة أساسا بسجلات البايلك وبيت المال.

تضم سجلات بيت المال في مجموعها إحدى عشرة علبة تحتوي على أربعة وستين سجلا (دفترا)، مرقما من 1 إلى 64، تعود إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، وتحتوي هذه السجلات على مواضيع تتصل بالقضايا المتعلقة بالتركات وحقوق الورثة ونصيب بيت المال من عوائد الأوقاف ونفقات الفقراء والغرباء وأمانات الغائبين واليتامى، ويسمى المؤتمن عليه ناظر بيت المال أو بيت المالجي.

---

1 – عائشة غطاس ، " سجلات المحاكم الشرعية، وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر، العهد العثماني، **إنسانيات**، العدد،03، 1979، الجزائر، ص 71.

2 – نفسه، ص 70

3 – ناصر الدين سعيدوني، " نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث "، **مجلة التاريخ**، العدد،04، 1976، ص 35

– دفاتر البايلك:

فيبلغ عددها 386 دفترا موزعا على ست وثلاثين علبة، هذه الدفاتر مرقمة من 1 إلى 386، وهي مع عدم تسلسلها الزمني تغطي فترة تزيد عن القرنين، تبدأ من منتصف القرن السابع عشر وتنتهي مع الثلث الأخير من القرن التاسع عشر باعتبارها سجلات رسمية لموظفي إدارة البايلك، تتعلق بمجملها بالقضايا الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وأغلب هذه الدفاتر سجلت باللغة العربية والقليل منها كتب باللغة العثمانية[1].

وكانت الأوقاف في الجزائر العثمانية تتوزع على عدة مؤسسات خيرية ذات طابع ديني، ولها وضع إداري خاص، وهذا بيان بأهم المؤسسات التي كانت تنظم العمل الوقفي في الجزائر العثمانية:

8 – مؤسسة الحرمين الشريفين:

من حيث نشأتها تعد أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني، وتؤول أموال أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة، فتوجه تارة برا مع قافلة الحجاج، وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية أو نصرانية، ومنها إلى الحرمين الشريفين[2]، وقد حظيت مؤسسة الحرمين بأغلبية الأوقاف في مدينة الجزائر، حيث استمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين، الذين أوقفوا عليها كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها، فهي تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، وتتكفل بإرسال حصة من مداخيلها إلى فقراء الحرمين في مطلع كل سنتين، وكذلك كان يوكل إليها حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة من مساجد مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف على قرابة ثلاثة أرباع الأوقاف، وهذا ما تثبته بعض التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال، وتؤكد بأن أوقاف مؤسسة الحرمين كانت تستحوذ على الشطر الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر وخارجها، فمن هذه التقارير ما أورده "Genty de bussy" من أن أوقاف الحرمين كانت تقدر بـ 1373 ملكا

---

1 – ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص30

2– محمد البشير الهاشمي مغلي ، المرجع سابق ، ص163

منها 70 ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلاء الحرمين. أما قنصل فرنسا Valiard فقد ذكر أن كل بيوت الجزائر وما يحيط بها من أراضي فتعود لأحباس الحرمين[1].

9 – مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

وهي من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والاجتماعية الدينية، ولقد كانت هذه الأوقاف بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا، وكانت تشتمل على المنازل والحوانيت والضيعات وغيرها، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي الذي يوكل أمر تسيير شؤونها إلى الوكيل العام الذي يعاضده وكيلان، وكانت تصرف عوائده على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات[2].

10– مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

هذه المؤسسة الوقفية ذات الطابع الخيري كانت خاصة بالأحناف أسسها شعبان خوجة سنة (999هـ/1590م)، واتجه نشاطها إلى المشاريع الخيرية العامة كإصلاح الطرقات ومد قنوات الري وإعانة المنكوبين، وذوي العاهات وتشييد المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله، وكانت مكلفة بإدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد حنفية أهمها " الجامع الجديد "، ويرجع تسييرها إلى إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا بينهم ثماني مستشارين منتخبين، و ناظر أو وكيل أوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود المؤسسة، ويكون الوكيل والكاتب من أهل العلم، ويضاف إليهم شاوش (مستخدم) كان مكلفا بالسهر على أبنية هذه المؤسسة وتسهيل عمل وراحة 08 طلاب – قراء– يقرؤون القرآن بجوار المؤسسة.

و أمّا أملاكها فقد كانت تقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، وقد تم إحصاء 92 حانوتا يعود لمؤسسة سبل الخيرات، ثمانية منها كانت مستغلة من قبل اليهود، وهذه إشارة لسماحة الإسلام

---

1 – مصطفى أحمد بن حموش، **الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي**، 6-7 ديسمبر 1997، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ص 1، 2.

2 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص90

وعدالته بين مواطنيه، وغلتها السنوية الاجمالية قدرت بنحو 4455 ريالا، يضاف إلى ذلك أنه كان لها أربعة مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريالا، وحمامين غلتها السنوية 165 ريالا[1].

11- أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر في العهد العثماني حيث كانت تتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد، وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة، كما كانت تهتم بالأملاك الشاغرة، وتتولى تصفية التركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم، وتقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى من الفقراء وأبناء السبيل.

وقد كان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام يعرف بالمالجي يساعده قاض يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها موثقان يعرفان بالعدول، ونظرا لأهمية هذه المؤسسة فإن المشرف عليها يتمتع بصلاحيات متزايدة واستقلال في إدارتها [2].

12- مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

قامت هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة الأندلسيين الذين نزحوا إلى المغرب العربي واستقروا في المدن الساحلية وساهموا في الحرب ضد الأسبان، وترجع أولى عقود هذه المؤسسة حسب المؤرخ الفرنسي دوفوا "Devoulx" إلى سنة 980هـ/1572م. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الأندلس.

وقد تعززت هذه المؤسسة بتأسيس مركب ثقافي وتعليمي وديني سمي بزاوية الأندلسيين، ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى بلغت بالفرنك الذهبي 408072 في عام1837م [3].

---

1 - عقيل نمير، **حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر: أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية**، أبحاث الندوة العلمية حول: الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،ص163.

2 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص95.

3 - محمد البشير الهاشمي مغلي ، المرجع سابق ، ص164.

13 – أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف:

تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، وفوائدها تعود على فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه المؤسسات تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت أحباسها 72 عقارا، وقدرت مداخيلها بـ 6000 فرنك فرنسي عام 1937م [1].

14– أوقاف المرافق العامة: الطرق والعيون والسواقي:

يصر كثير من المؤرخين على تسميتها بالمؤسسة غير الدينية نظرا لدورها التقني في مدينة الجزائر غير أن نشأتها كانت بدوافع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل ورعايتهم، وقد جرى العرف على ذلك حتى سميت العيون الموجودة في الأماكن العامة بـ " السبيل"، ولا يزال هذا المصطلح يستعمل حتى اليوم للدلالة على المنافع العامة.

وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة كالطرقات والحنايا والسواقي والأفنية، وكل هذه المرافق كانت تحظى بالعديد من الأوقاف ويقوم عليها وكلاء وشواش يعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي[2].

14– مؤسسة الأوجاق: أوقاف الجند والثكنات:

لقد كان لكل من الثكنات السبع الموجودة في المدينة أوقافها الخاصة بها التي ترجع مداخيلها إلى العسكر المقيم في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و300 رجل للغرف الصغيرة ومابين 400 و600 للغرف الكبيرة. ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، ولكن الجند يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية

---

1 – مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص 06.

2 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص100

مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية، هؤلاء الوكلاء يتم تعيينهم من قبل مقيمي الغرف ودون تدخل السلطات المحلية مما يوحي بديمقراطية القرار في مؤسسة أوقاف الأوجاق واستقلاليتها عن السلطة المحلية[1] .

خاتمة

إنّ دراسة الزاوية في العمارة الإسلامية جعلنا نستنتج النقاط التالية:

– الزاوية هي مجموعة من البنايات ذات طابع ديني بحت، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، بها مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت للصلاة وضريح صاحب الطريقة أو مجموعة الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم المختلفة، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات.

– الزاوية لها أهمية كبيرة ومكانة اجتماعية ودينية بالجزائر، حيث تعتبر مركز شعائري والنواة الرئيسية أين نجد روح العادات والتقاليد الشعبية التي مازال الزائرون متمسكين بها إلى حد الآن.

– اهتمام الزوايا بعدة جوانب منها: تحفيظ القرآن الكريم، ونشره بصورة مكثفة واحتضان اللّغة والثقافة العربية الإسلامية وتعليمها بشكل واسع، ونشر الدين الإسلامي في جميع أصقاع العالم، وخزن الكتب والمخطوطات والدواوين في مختلف العلوم والفنون.

– الوثائق الأرشيفية العائدة إلى الفترة العثمانية تمثل رصيدا تاريخيا أثريا وحضاريا هاما، لا يستغني عنه أي باحث في كتابة تاريخ الجزائر.

---

1 – مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص 07.

ملحق الوثائق

ملحق رقم01 : وقفية ضريح سيدي هلال بدون تاريخ، وهو وقف دار للزاوية والضريح.
علبة 132 – 133 ، وثيقة رقم98.
المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

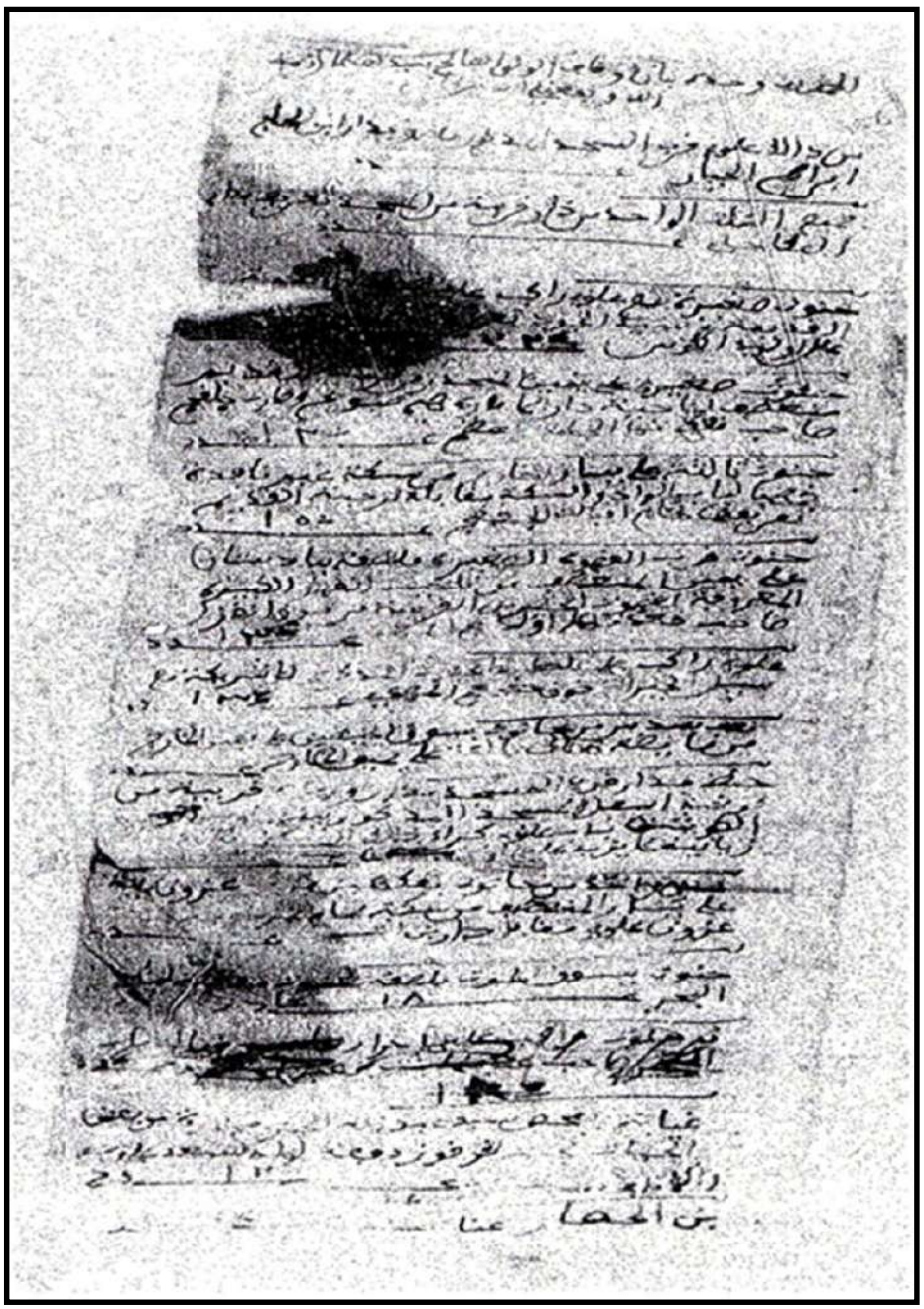

– قراءة للملحق رقم01[1]

الحمد لله بيان أوقاف الولي الصالح هلال رحمه الله ونفعني الله به أمين

– جميع العلوي قرب مسجد الشيخ المذكور والملاصق بدار الحاج إبراهيم الجيار

– وجميع الثلث الواحد من دار قريبة من المسجد تعرف بدار المكاحلي

– وحنوت صغيرة على يمين المنحدر من الرحبة القديمة منعطف لناحية دار الإمارة كانت معدة لبيع الصابون وصارت حلقجي وصاحب قعدتها جانب الجامع الأعظم عدد عنايها 12 ريال

– حانوت قريب القهوة الصغيرة ملاصقة ببادستان على يمين المنعطف من ناحية القهوة الكبيرة المعروفة بقهوة الخضرين القريبة من سوق الغزل صاحب قعدتها أولاد الحاج مهدي عدد عنايها 13.5 ريال

– علوي راكب على الحانوت المذكورة مشترك مع سبل الخيرات فوق حانوت الحاج مهدي عدد عنايها 13.5ريال

– نصف سدس من حانوت بشوق الخياطين على يمين الخارج من مايضة هناك وهي الثالثة على اليمين

– حظ من دار قرب المسجد تعرف بدار وريدة القريبة من كوشة أسفل المسجد المذكور بينهما وبين الكوشة باب علوي كراء ذلك الحظ ثلاث دنانير زيانية لا يزيد ولا ينقص

– ثمنان اثنان من حانوت بفكاهين باب عزون على يسار المنعطف من سكة حمام حمزة خوجة باب عزون علوي مقابل دار برات

– وحانوت بسوق الحوت ملاصقة لحانوت مقابلة لباب البحر عدد قيمتها 18ريال

– غيابة بفحص سيدي عبد الله الحمزي مجاورة من بعض جهاتها لجنة قرقوز دفعت لولد السعدي على وجه العناء باثني عشر وستة أثمان

– عناء يؤخذ من ابن الحصار قدره 4.5ريال هذا ما وجد بتذكرة المتضمنة الأماكن المحبسة على ضريح سيدي هلال.

---

1 – تم قراءة هذه الوثيقة والوثائق الأخرى بالتنسيق مع زملاء وأصدقاء من أساتذة وموهوبين في اللغة والخط العربي، وأيضا بالإعتماد على مذكرة الماجستير، للسيد ياسين بودريعة، بعنوان: **أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك**، في التاريخ الحديث، من جامعة الجزائر 2، 2007/2006.

– ملحق رقم02 : وقفية زاوية القشاش ببعض دور والحوانيت.

بيت المال والبايلك، سجل 16، ورقة 10.

المصدر: الأرشيف الوطني، سجلات بيت المال والبايلك.

زاوية القشاش

– قراءة للملحق رقم02:

كان السيد علي بن محمد الشريف عرف ابن جامع تملك جميع الدار الكاينة على مقربة من باب الجزيرة داخل البلد المذكور بالشراء الصحيح من إبراهيم ريس العشيط الأندلسي وأشهد المشتري المذكور أن شراءه للدار المذكورة ينتفع بها مدة حياته وإن رزقه الله بذرية فتكون الدار المذكورة وقفا على ذريته إلى الانقراض وبعد ذلك تكون له واشترط النحبس المذكور أن يدفن في أحد بيوتها بتاريخ ربيع الأول سنة 1069

2- مناب من دار كاينة بحومة سيدي والي دادة مكترات بيد شارل ورسم الكراء المبدل القيمة موسيو شارل عام 1248 موضوع مع أوقاف سيدي أبي التقى نومروا 4 والقيمة مبينة برسم الكراءالمزبور

3- هذه نسخة نقلت من جريدة تتضمن الأماكن الموقوفة على زاوية القشاش وغيره ويتكلم على صدور قسمة أحباس الزاوية المذكورة في ليلة عرفة سنة 1250 على ثلاثة عشر سهما لكل واحد سبعة عشر ريالا درام أخذ الوكيلان منابهما وأخذ الوكيل السهام الابقية ليفرقها عليهم وباقي لهم فاضلا على القسمة خمسة وثلاثون ريالا وأما القبض قبض من كراء سي عبد الرزاق وبن باسيط ما قدره 24

قبض تعجيلا من كراء حانوت سوق الجديد 198.25 من كراء الدويرة

قبض من حانوت الحداد ما قدره 7.5

قبض عناء دويرة فوق بير الجباح 84

قبض من كراء ديويرة بحمام المالح جمادى ورجب ما قدره 7

بلغ ابن القايد على نيابة عن المرأة الاسكنة في دار صاباط القطط 302.5

ويتكلم على عنان من دويرة الفروي فوق والي دادة سنة 1251

ويتكلم على حضوض دار بسوق السمن 24.37

ويتكلم على قبض كراء دار بعين السباط 42

ويتكلم على عناء حانوت بالقنداقجية 6

ويتكلم على كراء دار قرب حمام الكباش 18

وعلى كراء ربع دار الفروي أعلا كجاوة كراء ستة أشهر 45

وعلى قبض كراء من دار العمل على يد الوكي 15

وعلى نصف حانوت بسوق السمن يقبض الوكيل 24

4- وبعد أن كان ما تعين حبسا ووقفا من أوقاف جامع القشاش جميع الدويرة الكاينة بحومة القهوة الكبيرة و الحاج علي أمين الجيجيلية

بالسكة المقابلة [كذا] لزاوية أيوب الثانية على يسار الداخل للسكة المذكورة حسبما ذلك يتضمنه بوقفية كان بن محمد

المسجد الأعظم ووقف عليه شهيداه وتهدم بعض الدويرة وأهوى بعضها للسقوط وعجز إمام المسجد وهو السيد قدور بن السيد محمد الحسيني هن إقامتها ودفعها بالعناء للمكرم أحمد منزول آغة بن محمد بما قدره خمسة وسبعون ريال دراهم صغار في كل عام آت من تاريخه وذلك بتاريخ أواسط شعبان 1237 ثم أن أحمد منزول آغة المذكور باع الدويرة التي أحدثه بها للسيد الحاج علي أمين الجيجيلية كان حسبما ذلك مبين برسم مؤرخ بأواخ رربيع الثاني 1240

5- رسم يتضمن قبض كراء لدار الكاينة بحومة عين الساباط وبسكة غير نافذة المحبسة على جامع زاوية القشاش رجب 1256

ملحق رقم03 : وقفية باسم زاوية مولى حسن ضمن عقود المحاكم الشرعية تحصر أملاكها ، وقد جاء عنوانها على هذا النّحو: " الحمد لله بيان الأوقاف المحبسة على زاوية مولاي حسن بيد وكيلها السيد عبد الرحمن بن الشيخ بن جعدون ـــ، بودان رقم 37 بتاريخ أواخر رمضان سنة 1248" والتاريخ المذكور يوافق سنة 1832م، علبة 21، وثيقة رقم: 10

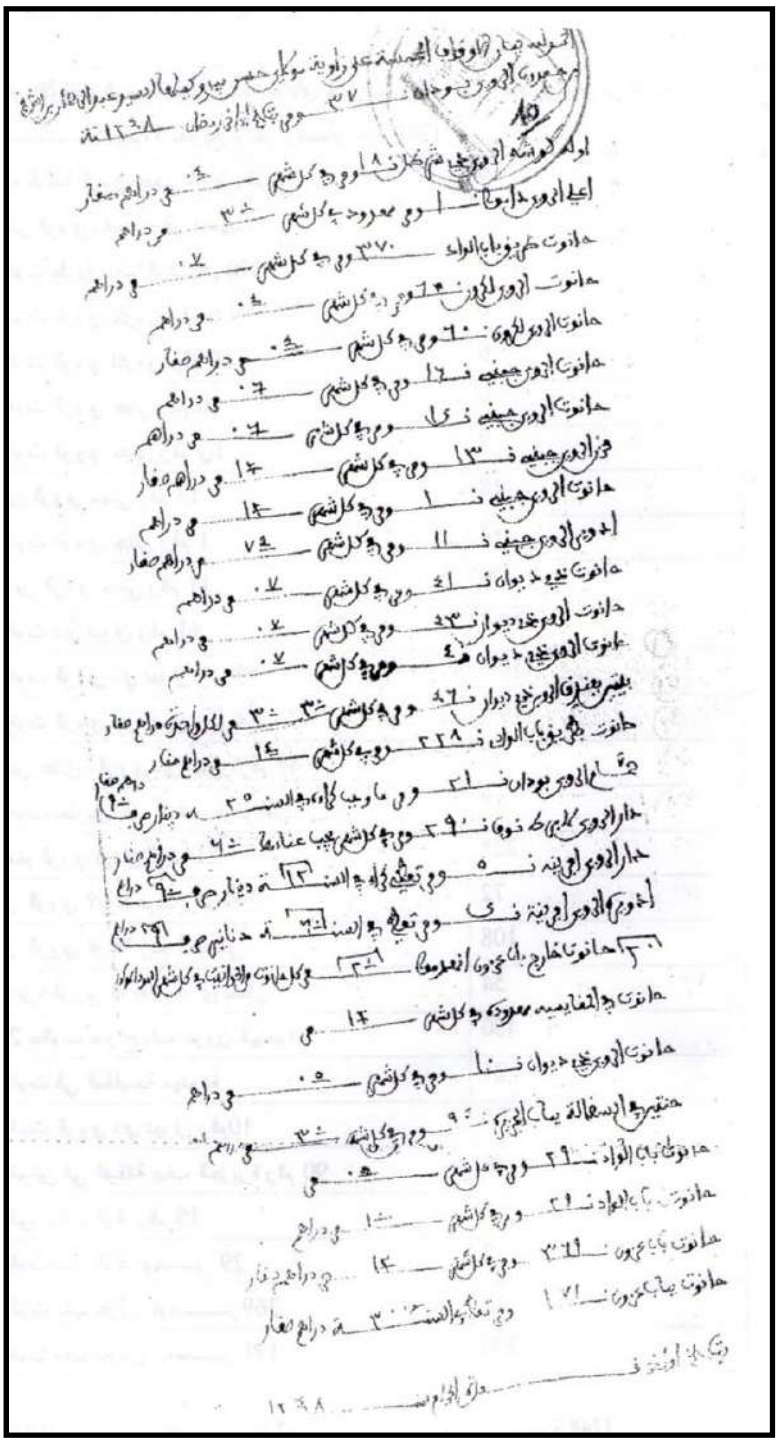

– قراءة للملحق رقم03:

الحمد لله بيان الأوقاف المحبسة على زاوية مولاي حسن بيد وكيلها السيد عبد الرحمن بن الشيخ بن جعدون ــ، ــ رقم 37 بتاريخ أواخر رمضان سنة 1248

أوله كوشة الروي حجي شرط رقم 18	6 من الدراهم
أعلى الروي داموي رقم 1 مهدوم	36 من الدراهم
حانوت طريق باب الواد رقم 370	10.5 من الدراهم
حانوت الروي لكرون رقم 6	6 من الدراهم
الروي جبني رقم 16	9 من الدراهم
حانوت الروي جبني رقم 1	9 من الدراهم
حانوت الروي جبني رقم 13	18 من الدراهم
فرن الروي جبني رقم 1	18 من الدراهم
ادوير الروي جبني رقم 11	90 من الدراهم
حانوت دي ديوان رقم 41	10.5 من الدراهم
حانوت الروي دي ديوان رقم 43	10.5 من الدراهم
حانوت الروي دي ديوان رقم 4	10.5 من الدراهم
بيتين بفندق الروي دي ديوان رقم 46	72 من الدراهم
حانوت بطريق باب الوادي رقم 228	18 من الدراهم
حمام الروي بودان رقم 21	225 من الدراهم
دار الروي لابرط نوف رقم 290	725 من الدراهم
دار الروي افريقية رقم 5 تعطي	108 من الدراهم
ادويرة الروي افريقية رقم ى تعطي	54 من الدراهم
20 حانوت خارج باب عزون انهدموا	480 من الدراهم
حانوت في المقايسية مهدودة	21 من الدراهم
حانوت الروي دي ديوان رقم 10	7.5 من الدراهم
حانوتين في السقالة بباب الجزيرة رقم 90	36 من الدراهم

حانوت باب الواد رقم 19	7.5 من الدراهم
حانوت باب الواد نومر 29	12 من الدراهم
حانوت باب عزون نومر 369	15 من الدراهم
حانوت باب عزون نومر 171	300 من الدراهم

ملحق رقم: 04 ، عقد تأسيس زاوية كجاوة من طرف السيد محمد خوجة سنة 1201هـ/1786م علبة رقم 129، وثيقة رقم: 11.

المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

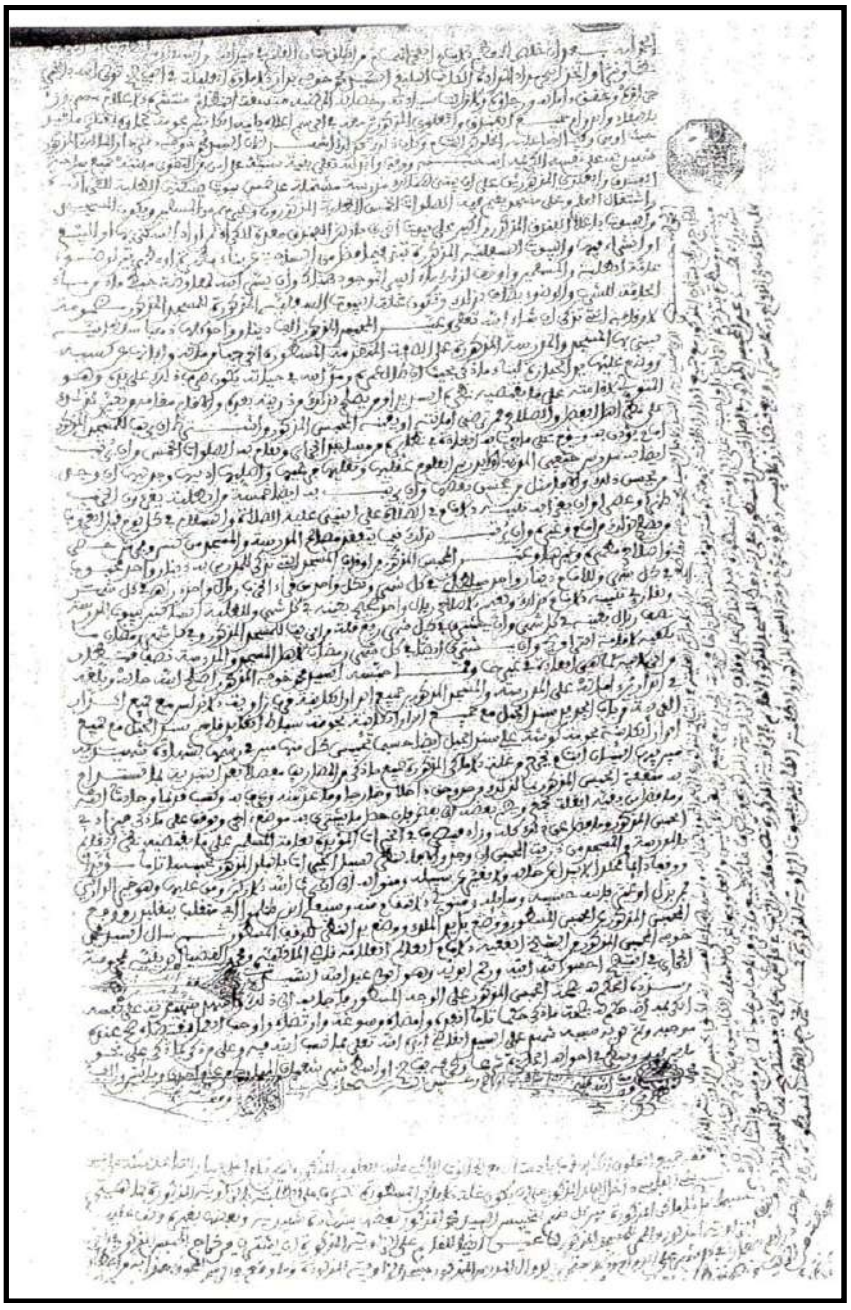

– قراءة للملحق رقم 04:

الحمد لله بعد أن خلص للمعظم الإمام الفخر الهمام من أطلق عنان القلم واستعار ما نطقت به العرب نظما ونثرا واتخذ البحر مداد المدادة الكاتب البليغ السيد محمد خوجة بدار الإمارة العلية في التاريخ تولى الله بالخير جزاءه، وحقق أماله، ورجاءه، ولا زالت سيادته وخصاله المرضية متسقة النظام منتشرة الأعلام مسرورة بالبقاء، والدوام جميع الفندق، والعلوي المذكورين معه في الرسم أعلاه يليه الكاينتين بحومة كجاوة، وبمقتضى ما قيد حيث أومى وفيما أحيل عنه الخلوص التام، وكان ذلك كذلك أشهد الآن السيد محمد خوجة دفتر دار المالك المذكور شهيديه على نفسه الكريمة أنه حبس ووقف وأبّد لله تعالى بنية سنية على أسس من التقوى مبنية، جميع ساحة الفندق والعلوي المذكورين، على أن يبنى هناك مدرسة مشتملة على خمس بيوت يسكنها الطلبة للقراءة، واشتغال العلم، وعلى مسجد يقيم فيه الصلوات الخمس الطلبة المذكورون، وغيرهم من المسلمين، ويكون المسجد، والبيوت بأعلى الفندق المذكورة راكبين على بيوت أخرى بأرض الفندق معدة للكراء لمن أراد السمن بها أو البيع أو الشراء فيها والبيوت السفلية المذكورة تبنى فيما فضل من الساحة عن بناء مطهرة أو مطهرتين لوضوء عامة الطلبة والمسلمين وأوقف لذلك ماء البير الموجود هناك وإن يسر الله لمعاوضة خيط ماء منن ماء الحامة للشرب والوضوء يضاف لذلك وتكون غلة البيوت السفلية المذكورة للمسجد المذكور مضمونة لأوقافه التي تزكى إن شاء الله وعين المحبس المذكور ألف دينار واحد كلها ذهبا عينا سلطانية يبنى بها المسجد، والمدرسة المسطورة على الصفة المتقدمة المسطورة، أخرجها من ماله وأبانها عن كسبه ووضع عليها يد الحيازة لبناء ما ذكر بحيث إن أطال الله عمره ومدّ الله في حياته يكون صرف ذلك على يده وهو المتولي لإقامته على ما يقتضيه نظره السديد، أو من يصلح من ذريته بعده وإلا قام مقامه من يتعين لذلك على نظر أهل الفضل والصلاح ممن ترضى أمانته أو يعينه المحبس المذكور واشترط أن يرتب للمسجد المذكور إمام يؤذن به ويؤم به على ما جرت به العادة في نظاريه من مساجد الجزاير وتقام به الصلوات الخمس وأن يرتب أيضا به مدرس حنفي المذهب ويدرس العلوم عقيها ونقليها وفرعيها وأصليها وأدبيها وجدليها إن وجد من يحسن ذلك وإلا فمثل من يحسن بعضها وأن يرتب به أيضا خمسة من الطلبة يقرؤون الحزب ظهرا وعصرا وأن يقرأ به تنبيه الأنام في الصلاة على النبي والسلام في كل يوم قبل الغروب من يصلي لذلك من إمام وغيره وأن يترتب لذلك فيما يتفقد مصالح المدرسة والمسجد من كنس وفرش وحصر وإصلاح مطهرة وغيرها، وعين المحبس المذكور

من أوقاف المسجد التي تزكى للمدرس به دينار واحد محبوب في كل شهر وللإمام دينار واحد سلطاني في كل شهر ولكل وحد من قراء الحزب ريال واحد دراهم في كل شهر ولقارئ تنبيه الأنام كذلك ولقيم الإصلاح ريال واحد صحيح بعينه في كل شهر وللطلبة الساكنين ببيوت المدرسة نصف ريال بعينه في كل شهر وأن يشتري أيضا في كل شهر رمضان ما يكفيه لإقامة التراويح وأن يشتري أيضا في كل شهر لأهل المسجد نصف قنطار من الزلابية كما هي العادة في غيرهما ومما حبسه السيد محمد خوجة المذكور أصلح الله حاله وبلغه في الدارين آماله على المدرسة والمسجد المذكورين جميع الدار الكاينة قرب زاوية الأندلس مع جميع الدار القريبة من باب الجديد سند الجبل مع جميع الدار الكاينة بحومة سباط القايد قاسم سند الجبل مع جميع الدار الكاينة بحومة كوشة علي سند الجبل أيضا حسبما تحبيس كل منها مبين في رسمها بشهادة شهيديه مبين فيها البيان التام يخرج من غلة الأماكن المذكورة جميع ما ذكر من المصاريف مفصلا بعد التبدية بما يستدام به منفعة الحبس المذكور بما لذلك من حد وحق داخلا وخارجا وما عد منه وعرف به ونسب قديما وحادثا إليه وما فضل من بقية الغلة يجمع ويضم بعضه إلى بعض فإن حصل ما يشترى به موضع آخر ويوقف على ما ذكر حين أدى الحبس المذكور وما فضل عن ذلك كله وزاد فيصرف في الخيرات المؤبدة لعامة المسلمين على ما يقتضيه نظر القايم بالمدرسة والمسجد من ذرية المحبس إن وجد وعلا فالنظر لسبل الخيرات بالبلد المذكور تحبيسا تاما مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبيد عن حاله ولا يغير عن سبيله ومنواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل أو غيّر فالله حسيبهوسايله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي و رفع المحبس المذكور عن الحبس المسطور ووضع بل يد الملك ووضع يد النظر للوقف المسطور ثم سال السيد محمد خوجة المحبس المذكور الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة قاضي المالكية ومحرر القضايا الدينية بمحروسة الجزاير في التاريخ أحسن الله إليه ورحم أبويه وهو عبد الله السيد [كذا] وسدده الحكم له بصحة الحبس المذكور على الوجه المسطور فأجابه إلى ذلك وأشهد شهيديه على نفسه الكريمة أنه حكم له بصحة ما ذكر حكما تاما أنفذه وأمضاه وسوغه وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه صح عنده موجبه وتم لديه سببه شهد على السيد القاضي تعالى بما نسب فيه وعلى من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر في أحواله الجايزة شرعا وعرفه بتاريخ أواسط شهر شعبان الميارك من علم إحدى ومائتين وألف.ملحق رقم 05 : عقد تحبيس: دار تقع بحومة كوشة علي من طرف السيد الحاج امحمد بوشمايم على زاوية وضريح محمد الشريف الزهار وزاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي.

– قراءة للملحق رقم 05:

الحمد لله بعد أن كان السيد الحاج امحمد التاجر ابن السيد بوشمايم به شهر حبس لله تعالى جميع الدار المذكورة في الرسم أعلاه يليه ابتداء على نفسه مدة حياته مقلدا في ذلك بعض أئمة مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وعن ساير الأئمة ثم بعد وفاته على ذريته إن قدر الله بذلك من الذكور والإناث على أن يكون بينهم للذكر مثل الأنثيين ثم على ذريتهم وذرية ذريتهم ما تناسلوا في الإسلام ومن مات منهم عن ذرية فلذريتهم ومن لم يخلف ذرية رجع نصيبه لمن هو في درجته ومن مات قبل وصول الحبس إليه عن ذرية فذريته تقوم مقامه فإن انقرضوا عن آخرهم ولم يبق واحد منهم فيرجع شطر الحبس المذكور على ضريح الولي الصالح سيدي محمد الشريف الزهّار نفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته أمين والشطر الباقي على ضريح سيدي عبد الرحمن المذكور ينضاف ذلك لساير الأوقاف الموقوفة عليهم بعد التبدية بإصلاح ما تستدام به منفعة الحبس المذكور حسبما التحبيس المذكور ثابتا لدى الشيخ الإمام العالم العلامة القدوة الفهامة وهو السيد [كذا] وسدده وأعان على ما أولاه وقلده وإلى كل قول وعمل صالح ألهمه رشده بشهادة العدلين المرضيين وهما السيد موسى بن السيد عبد العزيز والسيد محمد المنور بن السيد أحمد الثبوت التام وتوفي الحاج محمد المحبس المذكور عن زوجة الولية الحرة التركية السيدة بنت الفقيه السيد عبد الرحمن بن الشيخ البركة السيد محمد بن الحفاف وعصبه ولدا أخيه وهما السيد على الحرار والسيد الفاسي نسبا لا غير في علم من علمه قام الآن السيد الحاج محمد وكيل ضريح محمد الشريف المذكور على السيد على الحمال في حقه وحق الورثة المذكورين يروم اخذ الحبس المذكور لكون المحبس المذكور حبس جميع الدار المذكورة ابتداء على نفسه ثم على ذريته ما تناسلوا في الإسلام ثم على المرجع المذكور ومات المحبس المسطور ولم يعقب ولم يكتب له رسم الحبس المذكور لمماطلته وذلك في السالف عن التاريخ بنحو ثلاثة أشهر ونيف وأنكره في ذلك السيد على المذكور إنكارا كليا محتجا عليه وأن عمه السيد الحاج محمد حبس في مرضه الذي مات فيه وكثر النزاع والخصام فما كان إلا أن ترافعا معا في شأن ما ذكر إلى الشيخ الإمام العالم العلامة السيد محمد قاضي المالكية كان ابن السيد إبراهيم وسدده وأدلى كل واحد منهما بدعوته المرقومة لديه أسعده الله تعالى كما ذكر فظهر للسيد القاضي المشار إليه لازال مشارا إليه بخير بدليل الشرع القويم

والصراط الواضح المستقيم حيث ثبت ما ذكر لديه كما سطر فالحبس صحيح لا سبيل لنقضه و لا موجب لحل منبرم عقده وأن ما ادعاه السيد علي المذكور في حقه وحق من ذكر باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه طال الزمان أو قصر أصلا بوجه ولا حال ثم ترافعا من ذكر إلى المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم داخل البلد المذكور لدى السادات العلماء الأعيان ومصابيح الزمان من مفت وقاض المنعقد بهم المجلس المذكور كان وأعلموه بما ذكر كما ذكر فحينئذ أخبر بذلك السيد محمد بن السيد إبراهيم القاضي المذكور السادات العلماء المشار إليهم ولم يكتب له رسم ما ذكر وحكم بصحته كما سطر وذلك سالفا من التاريخ كما ذكر وكان ذلك كذلك طلب الآن السيد الحاج محمد المذكور من السيد القاضي في التاريخ الموافقة على ما حكم به السيد إبراهيم المشار إليه فأجابه إلى ذلك وأشهد شهيديه على نفسه الكريمة أنه حكم له بذلك حكما تاما أنفذه وأمضاه وسوغه وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه صح ما عنده موجبه وتم لديه سببه وشهد على السيد القاضي حفظه الله تعالى بما نسب إليه فيه وعلى من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر في أحواله الجايزة شرعا وعرفه بتاريخ تقدم فيه ما ذكر بنحو شهرين اثنين وتأخر الكب على اواخر حجة الحرام متم شهور الذي عـ1232ـام اثنين وثلاثين ومائتين وألف.

ملحق رقم 06 :عقد تحبيس خاص بالسيدة دومة بنت أحمد على ضريح عبد الرحمن الثعالبي.

علبة رقم 14، وثيقة رقم 50

المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

– قراءة للملحق رقم 06 :

الحمد لله حضرت بمحضر شهيديه وبالمحكمة المالكية من بلد الجزاير المحمية بالله تعالى أمام قاضيها الشيخ الإمام الهمام العالم العلامة القدوة الفهامة المدرس المحقق المدقق المسمي نفسه فيه معلما به أحسن الله إليه وهو {كذا} وسدده الولية دومة بنت أحمد وأشهدهما على نفسها أنها حبست ووقفت لله تعالى جميع قزانها من النحاس على ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته وبركة أمثاله أمين ينتفع به عند ضريح الولي الصالح المذكور من طبخ والنظر له فيه من حوز واستغلال إلى أن يرث الله القزان المذكور إن احتاج للإصلاح من تقزنير وترقيع وغير ذلك من كراء جلسة حانوتها الكاينةبكشاوة كما هو مبين ومسطر في رسم جلسة الحانوت المذكورة حسبما ذلك كله بشهادة شهيديه البيان التام وشهد على من ذكر بما ذكر على نحو ما بين فيه وسطر...بتاريخ أواخر محرم الحرام فاتح شهور عام أحد وأربعين ومائتين وألف.

ملحق رقم 07 : عقد تحبيس خيري من طرف السيد الحاج أحمد البرادعي لجلسة حانوت على زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة 1246هـ/1830م.

علبة رقم: 132–133 ، وثيقة رقم: 5

المصدر: الأرشيف الوطني، وثائق المحاكم الشرعية.

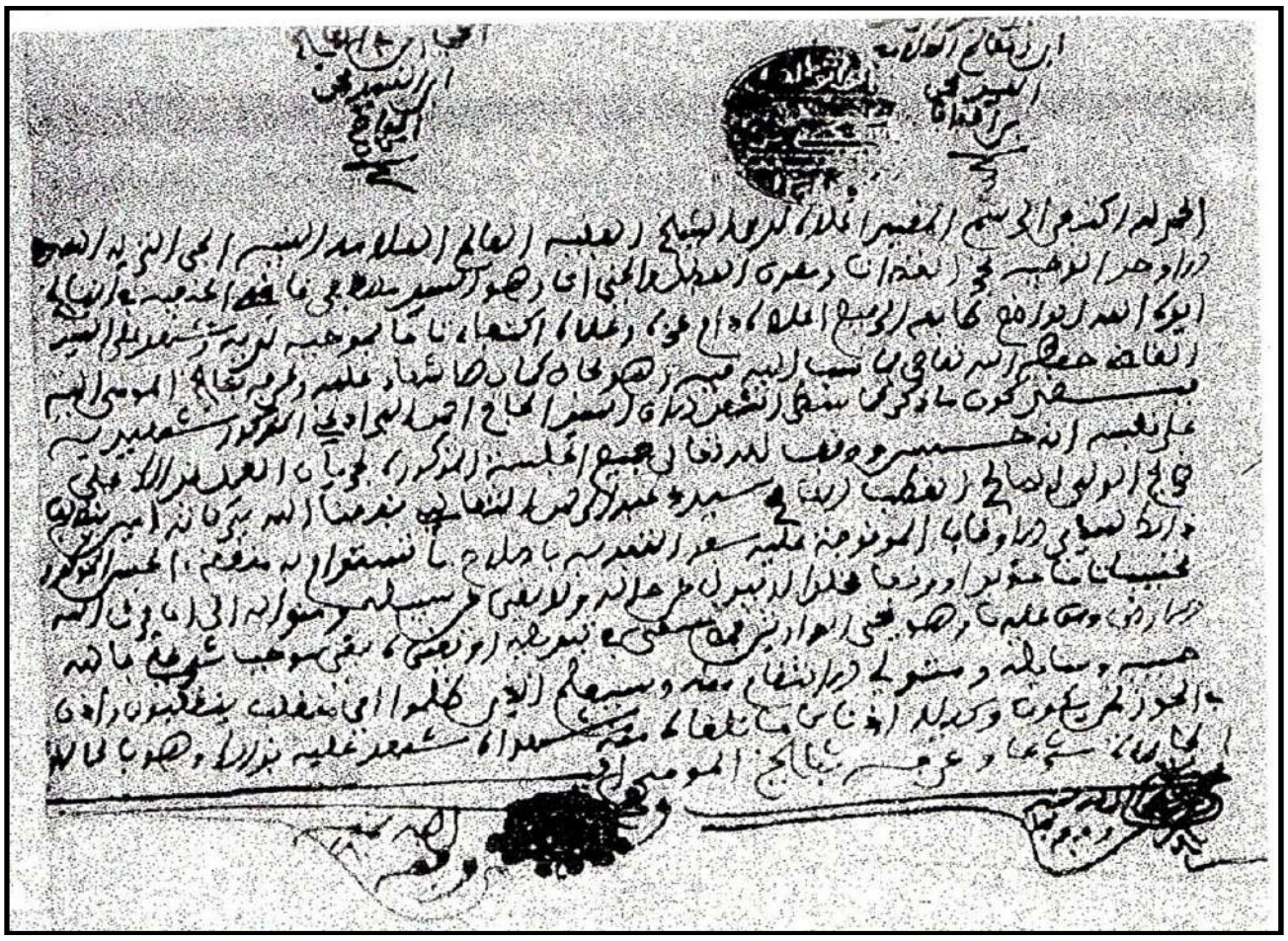

– قراءة للملحق رقم 07:

الحمد لله اكتفى الرسم المقيد أعلاه لدى الشيخ الفقيه العالم العلامة النبيه الحبر النزيه [كذا] الوجيه فخر القضاة ومعد الفضل والخيرات وهو السيد مصطفى قاضي الحنفية في التاريخ لأيده الله الواضع طابعه الرفيع أعلاه دام عزه وعلاه اكتفاء تاما بموجبه لديه وشهد على السيد القاضي حفظه الله تعالى بما نسب إليه فيه وهو بحال كمال الأشهاد عليه وعرفه بتاريخ المومي إليه [كذا] كون ما ذكركما سطر أشهد الآن السيد الحاج أحمد البرادعي المذكور شهيديه على نفسه أنه حبس ووقف لله تعالى جميع الجلسة المذكورة لجريان العمل بذلك على ضريح الولي الصالح القطب الناصح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته أمين ينضاف ذلك لساير الأوقاف الموقوفة عليه بعد التبدية بإصلاح ما تستدام به منفعة الحبس المذكور تحبيسا تاما مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبيد عن حاله ولا يغير عن سبيله ومنواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن سعى في تبديله أو تغييره بغير موجب شرعي فالله حسيبهوسايله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأذن في الحوز لمن يكون وكيله إذنا تاما تلقاه منه شهيداه شهد عليه بذلك وهو بالحالة الجايزة شرعا وعرفه بتاريخ المومي إليه.

ملحق رقم 08: بيان أوقاف ضريح عبد الرحمن الثعالبي من الكتب وأشياء أخرى يوم 10 جمادى الثانية 1144هـ/1731م بيت المال والبايلك ، سجل16، ورقة:03 .

المصدر: الأرشيف الوطني، سجلات بيت المال والبايلك

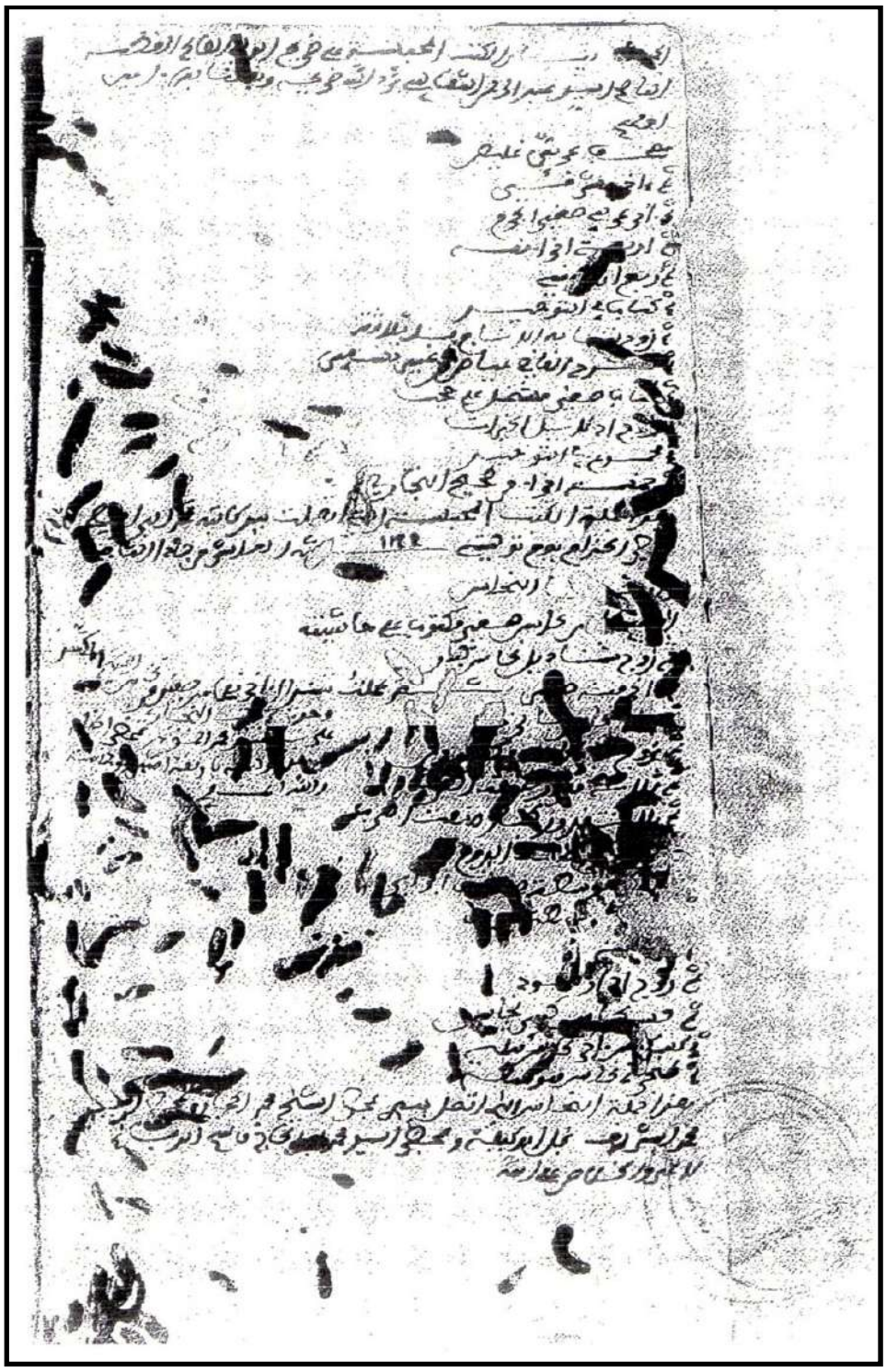

– قراءة للملحق رقم: 08

الحمد لله بيان الكتب المحبسة على ضريح الولي الصالح القطب الناصح عبد الرحمن الثعالبي برّد الله ضريحه ونفعنا به أمين

أولهم

مصحف عربي غليظ

ثم آخر شرقي

ثم آخر عربي صغير الحجم

ثم أربعة أجزاء منه

ثم ربع.....

ثم كتاب في التوحيد

ثم زوج تنبيه الأنام بل ثلاثة

ثم شرح القاضي عياض.....

ثم كتاب صغير يحتوي علىحجب

ثم زوج ادلايل الخيرات

ثم زوج مجموع في التوحيد

ثم مجموع أجزاء من صحيح البخاري

هذه جملة الكتب المحبسة التي اتصلت ببكاته بيد كاتبه محمد .... الخذام يوم توليتي سنة 1244 العاشر من جمادى الثانية

..... النحاس

زوج من نحاس صغير مكتوب على حاشيته

ثم زوج شناديل نحاس كبار

ثم آخر منه صغير ثم عملت منه شندال آخر نحاس صغير ونحاس الشيخ المكسر وجدت في بيت النجار.....

ثم ثلاثة قدور صنعة العرب

ثم ثلاثة قدور كبار صنعة العرب

ثم.....

ثم.....

ثم.....

ثم.....

ثم زوج.....

ثم كسكاس كبير نحاس

ثم كسكاس آخر نحاس مثله

ثم طنجرة نحاس متوسط

هذا جملة النحاس التي اتصل بيدي بمحضر محمد الحجار وبمحضر سيدي الشريف نجل الوكيلة وبمحضر السيد الحاج قاسم الدباغ لا غبر والخلاص على الله.

قائمة المصادر والمراجع :

1- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

- قائمة المصادر:

- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد)، **الرحلة**، سلسلة الأنيس، دار موفم للنشر، الجزائر،1988، ص238.

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

- ابن مرزوق (أبو عبد الله)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981.

- الأنصاري (محمد بن القاسم) ، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969.

- الرازي،(الإمام فخر الدين الرازي)، **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى البغا، ط4، دار الهدى للطباعة، الجزائر،1990.

- الزبيدي (محب الدين مرتضي) ، **تاج العروس**، تحقيق علي يسري، دار الفكر، بيروت، 1994.

الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، تحقيق: الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، 1995.

- الزمخشري، جار الله محمود، **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

العسكري (أبو الحسن بن عبد الله) ، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، الجزء الأول، القاهرة، 1808.

- المقريزي (تقي الدين أبو العباس)، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**،ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة،ب.ت.

- النووي (محي الدين) ، **شرح مسلم**، ج3، بيروت، 2000.

– المراجع:

– أبو (زهرة محمد)، **محاضرات في الوقف**، ديار الفكر العربي، القاهرة، 1972.

– أبو القاسم (سعد الله) ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900م إلى 1930م**، ج،2، بيروت، 1969.

– أبو رحاب (محمد السيد محمد) ، **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر أشراف السعديين**، ط،1، دار القاهرة، 2008، علي حسن (حسن)، الحياة الدينية في المغرب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.

– باشا (حسن) ، **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، مصر، 1979.

– بوعزيز (يحي)، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، " ط،1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002.

– توفيق (عبد الجواد)، **تاريخ العمارة والفنون الإسلامية**، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972.

– حجي (محمد)، **نظرات في النوازل الفقهية**، القاهرة، د.ت.

– حداد (محمد حمزة إسماعيل)، **القباب في العمارة المصرية الإسلامية**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993.

– الدولاتلي (عبد العزيز) ، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي دار سراس للنشر، تونس، 1978.

– دونوفو (ايدوارد)، **الإخوان دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، ترجمة: كمال فيلالي، دار الهدي عين مليلة، الجزائر، 2003.

– عقاب (محمد الطيب)، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

– عقاب (محمد الطيب)، **مساكن قصر القنادسة الأثرية**، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

– لمعي (صالح مصطفى)، **القباب في العمارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت.

- لومبيز (إيلي)، **تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال إفريقيا**، دار آسيا، بيروت، 1985.

- مارسيه (جورج)، **الفن الإسلامي، ترجمة: عفيفي بهنسي**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1968.

- ماهر (سعاد)، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحين**، ج1، القاهرة.

- محمد مصطفى (نجيب)، **العمارة في العصر العثماني**، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970.

- نسيب (محمد)، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق/الجزائر، (د.ت).

- نور الدين (عبد القادر)، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، ط2،الجزائر، 1965.

- الولي (طه) ، **المساجد في الإسلام**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.

– المقالات والمحاضرات:

- بن حموش (مصطفى أحمد)، الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، **ندوة الوقف الإسلامي**، 6-7 ديسمبر 1997، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين.

- بوعزيز (يحي)، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين "، **مجلة الثقافة**، العدد،63، الجزائر،1981.

- سعيدوني (ناصر الدين)، "نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث"، **مجلة التاريخ**، العدد،04، 1976.

- شلتوت (وليد)، الأنماط المعمارية في العمران الصحراوي، **المؤتمر الهندسي الثاني**، كلية الهندسة، جامعة عدن، اليمن، 30،31، مارس، 2009.

- عزوق (عبد الكريم)، " الأضرحة ببجاية – دراسة انموذجية – "، **مجلة دراسة تراثية**، العدد، 1، يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2007.

- غطاس (عائشة)، " سجلات المحاكم الشرعية، وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر، العهد العثماني، **إنسانيات**، العدد،03، 1979م، الجزائر.

- مغلي (محمد البشير الهاشمي)، " التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي "، **مجلة المصادر**، العدد السادس، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر.

- نمير (عقيل) ، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر: أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية، **أبحاث الندوة العلمية حول: الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**.

- المذكرات والرسائل الجامعية:

- بودريعة (ياسين)، " **أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك** " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2006-2007.

- خليل (وهيبة) ، **أطلس المعالم الدينية لمدينة الجزائر خلال العهد الإسلامي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2009/2008.

- خنقوق (اسماعيل)،" **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844-1931)** " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2010،2011.

- عطية شطة، " **البعد التربوي والروحي للزوايا** " ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2007-2008.

- العيدي (طويل)، **الزوايا الريفية بمنطقة سطيف**، مذكرة التخرج لشهادة الماجستير في الآثار الريفية الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/2010.

- الموسوعات والقواميس:

- ابن منظور (محمد أبو الفضل)، **لسان العرب**، ج7، ط1 دار صادر، بيروت، 2000،

- عاصم (محمد رزق)، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.

- غالب (عبد الرّحيم)، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط1، بيروت، 1988،

- قاجة (جمعة أحمد)، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، ط،1، لبنان، 2000، ص327.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- Devoulx A., **Les édifices religieux de l'ancien Alger**, **Typographie Bastide**, Alger, S.D

- Marçais (G.), **L'architecture musulmane d'Occident**, Paris, 1954.

- Brosselards, **Les Khouans de la constitution des ordres religieux** musulmans ,en imprimerie de la Bouget, Alger, 1952.

- Cauvet (C.), « **Les marabouts**, **petits monuments funéraires et votifs du nord l'Afrique** », IN Revue Africaine, Paris ,1923.

- Delpech, (A.) « **La Zaouia de sidi Ali ben moussa** », IN Revue Africaine :18,1874, OPU ,1986.

عمارة المساكن في منطقة وادي سوف

دراسة عمرانية أثرية

الأستاذ: حسونة عبد العزيز

بجامعة زيان عاشور الجلفة

عمارة المساكن في منطقة وادي سوف

دراسة عمرانية أثرية

مقدمة

لقد شكلت قضية المأوى الشغل الشاغل للإنسان منذ القدم واستطاع بمرور السنين أن يراكم خبراته و يطور قدراته العقلية في سبيل تحقيق ذلك، ونجح في اكتساب المبادئ العامة للعمران ما مهد لظهور المدن و الحضارات القديمة، وغدا التعمير و الإنشاء من أهم مظاهر رقي الأمم م أصبح الطابع المعماري دليلا على التطور

فالمستقرئ للعمارة الإسلامية يجدها مليئة بالمعاني الحقيقية لعمارة الأرض التي حث عليها الشارع الحكيم، و تحقق مقاصد الشريعة بالمحافظة على الكليات الأساسية، فقد حثت تعاليم الدين الإسلامي من خلال القرآن والسنة على عمارة تخدم الإنسان دون إضرار بالطبيعة وذلك بمراعاة خصوصية الزمان و المكان.

نتطرق من خلال هذا البحث إلى ظروف العمران و التعمير في منطقة وادي سوف و مجالاته وعوامل تطوره بالانتقال من حياة البداوة إلى التحضر مع ظهور التجمعات السكانية الأولى وعمارة القرى، وطبيعة ونمط العمارة الأولى للمنطقة باعتبارها ضمن الإقليم الصحراوي ومدى تأثرها و تأثيرها بالأقاليم المجاورة كونيا منطقة انتقال وعبور.

1 – موقع منطقة وادي سوف:

يقع وادي سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، ما بين خطي عرض 31° و 34° شمالا على امتداد نحو 620 كلم، ومابين خطي طول 6°و8° شرق خط غرينيتش على مسافة 160 كلم تقريبًا. ويحده جغرافيا من الشمال جبال الأوراس النمامشة الممتدة على خط نقرين و الزاب الشرقي، ومن الغرب واحات وادي ريغ، ومن الجنوب كثبان العرق الشرقي الكبير الممتدة إلى هضاب الطاسيلي، ومن الشرق بلاد الجريد التونسية، فوادي سوف إذن تقع في منطقة منعزلة على شكل مثلث بين الأقطار الثلاث: الجزائر . تونس . ليبيا.

كان وادي سوف عند الاستقلال يتبع عَمَالة الواحات وعاصمتها ورقلة منذ 1963م ثم ضُمَّ إلى ولاية بسكرة سنة 1974م، وصار ولاية منذ التقسيم الإداري لسنة 1984م[1] ، تحدها من الشمال ولايات تبسّة وخنشلة وبسكرة ، و من الغرب ولايات بسكرة الجلفة وورقلة ومن الجنوب ولاية ورقلة، ومن الشرق الحدود الدولية المشتركة مع الجمهورية التونسية، وتبعد ولاية الوادي عن مدينة الجزائر العاصمة بنحو 600 كلم.

ظهرت منطقة سوف قديما عند تقاطع محاور طرق القوافل القادمة من بلاد الجريد التونسية في[2] الشرق إلى منطقة وارجلان[3] وإقليم توات[4] غربا، والقادمة من إقليم الزاب[5] شمالا باتجاه غدامس[6] وبلاد السودان جنوبا ، موغلة في عمق العرق الشرقي الكبير، وبذلك فهي تمتد بين بلاد الزِّيبان

---

1 – صار وادي سوف ولاية منذ التقسيم الإداري لسنة 1984م وفق القانون رقم 84- 09 المؤرخ في 2 جمادى الأولى 1404هـ/4 فبراير سنة 1984، **الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية**، العدد 6.

2 – تمتد بلاد الجريد من تخوم بسكرة إلى جزيرة جربة ومنها مدينتا توزر وقفصة وهي بلاد شديدة الحرارة وقلما ينزل فيها المطر ،تنتج كميات كبيرة من التمر الجيد ولهذا يسمّى الإقليم كله بالجريد أي بلاد التمر. أنظر: – مارمول كرفجال، **إفرقيا**، تر. محمد حجي و محمد الأخضر وغيرهما، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط، 1984م، ج3، ص170.

3 – وارجلان: كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل يسكنها قوم من البربر، كما سماها الوزان " وركلة " وقال أنها مدينة أزلية بناها النوميديون في الصحراء، لها سور من الآجر النيئ و يوجد في ضواحيها قصور وعدد لا يحصى من القرى أنظر: – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت 1977، ح5، ص371. أنظر كذلك : – الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت ط2، 1983م، ص136.

4 – إقليم توات مجموعة من الواحات الجزائرية في الجنوب الغربي تنقسم إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين وتديكلت وتوات، هذه الأخيرة تمثل مقاطعة توات الأصلية وتتكون من أهم قصورها : بودة، تيمي، تمنطيط، زاوية كنته ورقان.أنظر:– محمد الصالح حوتيّة، **توّات و الأزواد**، دار الكتاب العربي الجزائر،2007، ج1، ص28.

5– الزَّاب لغة من زاب الشيءُ إذا جرى ويقال عامٌ أزَبٌّ أي مُخْصِبٌ أنظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، تح. محمد نعيم العرقسوسي،ط.6، دمشق1998 واصطلاحا هو مدن كثيرة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والأنهار والعيون، ومن مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة ... وبين الزاب والقيروان عشر مراحل. أنظر:– محمد الحِمْيَري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت،ط2،1984م، ص281.

6 – غدامس مدينة لطيفة قديمة في الصحراء على سبعة ايام من جبل نفوسة ، تبعد جنوبا عن البحر المتوسط بنحو مائة فرسخ، وتتشكل ثروات الأهالي من التمر والأموال لأنهم يتَّجرون مع بلاد السودان.أنظر: محمد الحميري، المصدر السابق، ص427. وأنظر: – مارمول كرفجال ، المصدر السابق،ج3،ص173.

(الزّاب) و النمامشة [1] شمالا، وعلى طول الحدود التونسية من نفطة ونفزاوة، مرورا بالبئر الجديد[2] شرقا، و إلى واحات غدامس جنوبا، إلى إقليم وادي ريغ و وارجلان غربا [3].

2- الخصائص الطبيعية للمنطقة:

أ- التضاريس :

تلعب التضاريس دورا هاما في توجيه و تجانس النسيج العمراني و مد المنشآت التحتية إذ تعد المتحكم الرئيسي في تحديده . وتُعدُّ أراضي منطقة سوف مسطحة عموما يغلب عليها الانبساط وقلَّة الانحدار، ومكسوة غالبا بطبقة رخوة من الكثبان رملية يُقُدَّرُ متوسط ارتفاعها بنحو 80 مترا فوق سطح البحر[4]، لكون المنطقة تقع في الطرف الشمالي من العرق الشرقي الكبير كما سبق ذكره آنفًا.

تتميز منطقة وادي سوف بمظاهر ناتجة عن عملية الترسيب الريحي ممثلة في سلاسل من الكثبان الرملية التي يفوق ارتفاع بعضها 100متر فوق سطح البحر، في حين نجد مناطق أخرى تتميز بالانبساط تسمى محليا بالصحن والتي تنتشر بكثرة في الجهة الشمالية من وادي سوف، خاصة في جهات الرَّقيبة، قِمار و حاسي خليفة، و يقدر ارتفاعها بنحو 60 مترًا فوق سطح البحر.

ب- الجيولوجيا:

يُثبت التحليل الجيوتقني للتكوينات الجيولوجية السطحية لأرض منطقة وادي سُوف أنها تعود إلى الزمن الجيولوجي الرابع القاري التي طمرتها الكثبان الرملية.

و من خلال تصفح الخريطة الجيولوجية لمنطقة سُوف يُلاحظ ما يلي:

---

1 - بلاد النمامشة تشكل القسم الشرقي من جبال الأوراس وهم بطن عظيم من الشاوية من قبيلة هوارة البربرية يتمركزون خاصة ما بين تبسة و خنشلة يُطلق عليهم أيضا اللّمَامشة (م.لموشي)

2- Tomas Marc-Ropert, **Sahara et communauté**, presses universitaires de France,1ed,Paris 1960,p.37

3 - ابراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**،الدار التونسية للنشر، تونس1977، ص37 ،أنظر كذلك: -إبراهيم مياسي ،"من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة"**مجلة الثقافة**، عدد113،الجزائر، 1996م، ص 194.

4 -Voisin André-Roger , **Le Souf monographie**, imprimerie El-walid éditions ,EL-OUED 2004,p.24.

غالبا ما نجد في الأعلى طبقة ليّنة من الترشة، تظهر في شكل من بلورات دقيقة تعطي مظهرا صلصاليا(خزفيا)، تُسْتَغل عادة في صناعة الجبس و تكون أقل عُمقا، و تكون تربتها مُعَرَّضة للسحق في الصحون لأنها تكون على السطح .

يوجد أسفل التَّرشة طبقة من الرمل الدقيق تُغطّي طبقة حجارة اللُّوس (الحزام) التي تشَكَّلت من تراكب بلورات الحديد ذات رؤوس، ويمكن أن يكون الحزام على شكل طبقات متراصة (ترسبات) قدْ يصل سُمْكُها إلى 8 متر تقريبا ، أو في شكل أقنية (خطوط) مختلطة مع الرمل، أو طبقات منعزلة أو أعمدة تشكلت حول جذور جبسيه قديمة. تُعد حجارة اللوس أساسية في البناء فكل عمائر وادي سوف أنجزت بها.

نجد في المستوى الثالث الحوض المائي الذي عادةً ما تعلوه طبقة الصلصلة [1] أو السَّميدة على شكل صفائح متراصة في شكل طبقات صلبة مشكلة من بلورات الحديد أكثر دقةً من اللوس.

نجد أخيرا طبقة التَّافزة أو حجر الجبس[2]، و هو حجر مترسب أبيض كلسي، صلب نوعا ما، و بعد قلعه يُحرق لنحصل على جبس البناء.

ج – المناخ:

تنتسب منطقة سوف إلى إقليم الواحات، فهي تقع في وسط العرق الشرقي الكبير، وتبعد عن سواحل البحر المتوسط من الشمال بـ390 كلم(سكيكدة) ومن الشرق بـ305 كلم(خليج قابس/ج. التونسية) ومعدل ارتفاعها يقدر بـ 75 م عن مستوى سطح البحر ما جعلها تتميز بطابع المناخ الصحراوي.

د – الحرارة:

نظرا لطبيعة المنطقة الصحراوية نلاحظ أن أقصى درجات الحرارة تسجل عادة في شهر أوت وقد تصل إلى حوالي50°م وأدناها تكون في شهر جانفي وقد تنخفض إلى درجة التجمد ليلًا .

1- Bataillon, cl. **Le Souf**, **Etude de géographie humaine**, E. abert Imprimeur, ALGER 1955, p.20.

2 -الجبس الطبيعي هو فلز ضارب إلى البياض قابل للانحلال بالماء رمزه الكيمائي SO4Ca.2H2O. أنظر:- ليون موريه، **الوجيز في الجيولوجيا**، تر.يوسف خوريو عبد الرحمن حميدة، دار طلاس للترجمة والنشر دمشق،1987، ص128.

نجد تباين كبير في درجات الحرارة بين الليل والنهار والذي يعود بالأساس إلى الطبيعة المسامية للتربة (الرمل) فمهما ارتفعت درجة حرارتها في النهار صيفًا فإنها تتبرد بسرعة ليلاً، كما أن درجات الحرارة قد تنخفض ليلاً إلى ما دون درجة التجمد خاصة في الليالي البيض[1] في فصل الشتاء. .

و– التساقط:

تتميز منطقة وادي سوف بصفة عامة بنقص كبير في كمية التساقط ، و تسقط الأمطار عادة ما بين شهري أكتوبر و مارس في شكل أمطار دقيقة و خفيفة وكثيرا ما تكون في شكل أمطار رعدية فجائية وغزيرة قد تؤدي إلى كوارث طبيعية مثل ما حصل في خريف 21969 حيث ألحقت أضرارا كبيرة بالمساكن والمحاصيل الزراعية .[3]

هـ– الرياح :

تلعب الرياح دورا بارزا في حياة سكان منطقة سوف فهي تعمل على تشكيل الكثبان الرملية ونقلها من مكان لآخر كما تتسبب في ردم غيطان النخيل و إلحاق أضرار بالغة بالمحاصيل الفلاحية، و تتعرض المنطقة إلى هبوب رياح نشطة على مدار السنة تقريبا و منها:

الرياح الشرقية :

تتعرض المنطقة لهبوب رياح موسمية شرقية في فصلي الربيع والخريف عادة ما تكون رطبة و باردة لكنها كثيرا ما تحمل الأتربة وتكون ضارة للنباتات إذا طالت مدة هبوبها ،كما تُعرف أحيانا بالبحري [4] لأنها تساهم في التخفيف من درجة حرارة الطقس خاصة في الصيف .

---

1 – الليالي البيض مصطلح يستعمل في التقويم الفلاحي للدلالة على فترة تبدأ يوم 25 ديسمبر وتنتهي في 13 جانفي، يكون الطّقس فيها شديد البرودة في الليل و دافئا في النّهار،سمّيت بذلك لقلّة وجود السّحب والغيوم فيها، وتليها الليالي السود و تبدأ من 14 جانفي وتنتهي في 02 فبراير من كل سنة، يكون فيها الطّقس فيها شديد البرودة في النّهار و دافئا في الليل،سمّيت بذلك لكثرة وجود السّحب والغيوم فيها.و يقال عند دخولها» في الليالي السود ايفَتَّح كل عود» كناية عن بداية الموسم الفلاحي.

2– تعرف تلك السنة بعام الخَمُوري فقد تسببت الأمطار في تلف محصول التمر وتعفنه قبل قَطْعه من النخيل.

3 التساقط هو نزول بخار الماء المتكاثف في الغيوم إلى سطح الأرض بأشكال مختلفة منها " المطر، البَرَد والثلج.أنظر: – صلاح الدين بحيري، المرجع السابق، ص250.

4 – نسبة لجهة قدومها من البحر المتوسط شرقا أي من منطقة خليج قابس في تونس.

الرياح الغربية:

تعرف محليا بالصحراوي وهي رياح رملية تتراوح سرعتها ما بين 13 و16 كلم / ساعة فهي ذات سرعة كبيرة ، تهب في فصل الربيع ، وقد تأخذ الاتجاه (الشمالي- الغربي) وتعرف بالظهراوي[1] في الشتاء، عادة ما تكون باردة محملة بالأتربة، تعمل على دفن الغيطان بالرمال وقد تكون مصحوبة بأمطار وعواصف رعدية .

- الريح القبلي2 المعروف محليا بالشهيلي:

تهب في فصل الصيف من جهة الجنوب (القبلة) و تتراوح سرعتها ما بين 10و17كلم/ سا، وتتسبب في الكثير من الأخطار أكبرها رفع درجة حرارة الجو بدرجات كبيرة, الشيء الذي يؤثر سلبا على المحاصيل الزراعية فقد تتسبب في تيبيس التمور وموت شجيرات الخضر الموسمية.

3 - تعمير منطقة سوف:

يقول ابن خلدون:" وأما بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم حي ولا موطن إلا القرى الظاهرة المقدرة السير المنسوبة إليهم ببلاد قسطيلية، و بها مُعاهدون من الفرنجة...وقد نزل معهم كثير من بني سليم من الشريد و زغبة، و أوطنوها وتملكوا بها القفار والضياع."[3]

ويذكر العدواني"..ثم أتوا إليها (أرض سوف) بنو مرين4...ثم بنو مرداس5 ثم زناته6...ثم أتوا إليهم عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما حتى جائت قبيلة طرود"، وهذا ما يؤكده أبن خلدون:

1- الظهراوي مصطلح محلي يقصد به الشمال ، ويجهل كيف أستعمل هذا المصطلح ولكن يرجح أنه نسبة إلى جبال الظهرة الواقعة في سلسلة الأطلس التلي وذلك كناية عن عن برودة الرياح القادمة من هذه الجهة .

2 - القبلي مصطلح محلي في المنطقة يستدل به على الجهة الجنوبية ،وقد أوردها ابن منظور بمعنى وجهة أي اتجاه ،انظر:أبن منظور، لسان العرب ، دار المعارف القاهرة (د.ت.ط)، المجلد الخامس، ص. 3517.

3 - عبد الرحمان بن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2001 ،مج6، ص152.

4 - بنو مرين بطن من بطون زناته أنظر: - ابن خلدون ،المصدر السابق، مج7، ص11.

5 - مرداس بطن من بطون رياح الهلالية الذين دخلوا لبلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري ، أنظر:- ابن خلدون،المصدر السابق،الجزء 6، ص20.

6 - زناته بطن من ضريسة التي تمثل القسم الأكبر من البربر البتر الذين عرفوا في العهد الروماني بالجيتول أي الرعاة ويعتقد أنهم من نسل العمالقة في الشام وفلسطين ومن أبناء جالوت ،أنظر:- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب،تح:عبد السلام محمد هارون،دار المعارف،ط5،(د.ت.ط.)، ص495.

"كانت تخوم بلاد زناته منذ غلبهم الهلاليون على إفريقية وضواحيها أرض مصاب ما بين صحراء أفريقية وصحراء المغرب الأوسط، وبها قصور جددها فسميت بإسم من ولى خطتها من شعوبهم "[1]

بعد انتقال الفاطميين إلى القاهرة سنة 361هـ/972م[2] جعلوا بنو زيري من صنهاجة ولاة لهم على إفريقية و بلاد المغرب يدعون بدعوتهم ويصدون خصومهم ، حتى قطع المعز بن باديس الزيري الخطبة للفاطميين بالقاهرة وأعلن ولائه للدولة العباسية سنة 441هـ [3] ما جعله يتعرض لانتقام الفاطميين حين حرضوا القبائل العربية على الرحيل إلى بلاد المغرب سنة443هـ [4].

يذكر ابن أبي دينار القيرواني: " أنهم دخلوا افريقية ، وملكوا البلاد بأسرها واقتسموا برابرها وافسدوا حواضرها"[5]، وبعد إن خربوا القيروان سنة449 هـ/1057م ، و يقول كذلك ابن خلدون: "ولم يزل هذا دأب العرب حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي أفريقية والزاب، وغلبوا عليها صنهاجة وقهروا من بها من البربر وأَصَاروهم عبيدا وخَوَلًا للجباية "[6].

ويوضح صاحب الصروف أن المقصود بأطراف إفريقية و الزاب أي جنوبهما حيث تقع أرض سوف[7]، وبسبب هذه الظروف أنحاز كثير من بربر زناته إلى منطقة سوف لبُعْدها عن القلاقل وتسلط الحكام . ويذكر أحمد نجاح بأن آخر من أعاد بناء المنطقة لاستقرارهم قبائل بني هلال وبني سليم

---

1 – ابن خلدون، المصدر السابق، مج 6، ص29.

2 – تقي الدين أحمد المقريزي، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ،تح: جمال الدين الشيال، ج1، ط2، القاهرة 1996 ص134. أنظر أيضا : – فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب(التاريخ السياسي والمؤسسات)**،نقله للعربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1994، ص406.

3 – ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح:ج.كولان و ل.بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص279.

4 – الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية (تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من ق10إلى ق12م)**، نقله للعربية حمادي الساحلي ،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1، 1992، ص245.

5 – ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق: محمد هشام، المكتبة العتيقة، تونس ط3 ،1387هـ ، ص 84.

6 – ابن خلدون، المصدر السابق،ج.6، ص 23.

7 – إبراهيم العوامر، المرجع السابق ، ص 132.

الذين قدموا من المشرق ما بين القرنين(4 و6 هـ/ 11و13م) وهم في الأصل من البدو الرحل وتصاهروا مع سكان المنطقة من زناته آنذاك ليشكلوا المجتمع السوفي الأول[1].

أ – عمارة المساكن :

لجأ أهل سوف إلى إنجاز مساكن تقيهم أشعة الشمس الحارقة وقر الشتاء وقسوة المناخ والطبيعة الصحراوية ومن ثم بدأت تتضح ملامح العمارة المدنية في بلاد سوف والتي ظهرت في ثلاث أشكال رئيسية :

– العريش:

هو نوع من المساكن أو الأكواخ المنقولة كان يتخذها بربر زناته في حلهم و ترحالهم تعرف بالأمازيغية(ماباليا Mapalia)[2] وأكثر ما يكون من القصب والخشب وأغصان الأشجار والقش، وقد ذكر العدواني أن سيدي المسعود الشابي استضافه محبوب وعمران من سكان جلهمة في عريش لهما يسكنان فيه[3]، ومع انتشار غراسة النخيل صارت الأكواخ تنجز من جذوع النخل و الجريد وصار أسمها زريبة أو سقيفة حيث وصف العياشي في رحلته خلال القرن11هـ/ 17م بلاد سوف بقوله: "وسكنى أهل هذه البلاد في زرايب من جريد النخل فإليها يأوون و بها يخزنون"[4]. (الصورة 1)

دار الكاف أو الكهف : وهي عبارة عن كوة أو غار يحفر على وجه الأرض ينزل إليه بأدراج وقد يشتمل الغار على غرف يتوقف عددها ومساحتها على طبيعة التربة ومدى تماسكها ويذكر أنه في منطقة الفولية شمال سوف كانوا يعيشون في هذه البيوت وظل بعضها حتى السبعينات من القرن الماضي[5] كما عُرفت دار الكاف في الغيطان حيث تحفر في مستوى متوسط من عمق الغوط أسفل

---

1 - Najah Ahmed, **Le Souf des Oasis** ,Editions la maison des livres. ALGER 1970. P.48

2 عبد العزيز غوردو، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، الكويت، ط2 ،2011م، ص 17.

3 – محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط.، ص.125.

4 – مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة والتوزيع، الجزائر،1981، ص 93.

5 مازالت هذه الكهوف موجودة بمدينة مطماطة التونسية وكذلك بمنطقة جبل نفوسة بليبيا .

الحزام الصخري الأول (طبقة اللوس) بحيث تشكل الحجارة سقفا طبيعيا ، وقد يسيج مدخلها بحاجز من جريد النخل.

(صورة1: الصورة للكاف مأخوذة من أحد غيطان النخي)

– الخيمة :

تعرف بـ(بيت الشعر) لأنها عادة ما تصنع من وبر الأبل أو أصواف الأغنام و كانت شائعة الاستعمال لدى ساكنة سوف من العرب الأوائل حيث يذكر العدواني أن عدوان وطرود أثناء تقاتلهما على عيون النازية كانوا يقيمون في خيام، وإلى وقت قريب ظلت بعض الأعراش كالربايع والشعانبة محافظين على استعمال على بيت الشعر وتركيبها، و الكثير من هذه المساكن التقليدية الأولى ظلت هي السائدة في بعض قرى سوف[1].

1- Najah Ahmed, OP - cit, p.92.

– الحوش السوفي :

منذ القرن (4هـ/11م) صارت سوف محل توافد قبائل شتى من مختلف المناطق ليجاوروا سكانها الأوائل من بربر زناته خاصة من إقليم طرابلس وبلاد الجريد التونسية وحتى من إقليم الزيبان، وكانت أكثرها من قبائل عدوان و طرود العربيتان ليشكلوا تجمعات سكنية عديدة ومتفرقة حتى سميت سوف بـ "" بلاد الألف قرية ""[1]

و تذكر المصادر أنه بحلول القرن الـ16م بدأ ظهور الحواضر الأولى في منطقة سوف في شكل تجمعات سكانية أقيمت حول مسجد جامع بفضل مجهودات الطريقة الشابية التي عملت على دعوة السكان الأوائل للعودة إلى تعاليم الدين الصحيحة و أسهمت في تأسيس المساجد التي أستقر حولها الوافدون الجدد على سوف ..... ثم عرف سكان المنطقة غراسة النخيل و ابتكروا حفر الغيطان، وبدأت عمارة المساكن المبنية و التي تعرف محليا بالحوش.

والحوش في اللغة من جمع الشيء وضمه أو حاشه أي جعله في الوسط ومن هنا كل منزل له فراغ في الوسط يسمى حوش ويقال المِحَاشة أي أثاث البيت[2] ، و قد شاع استعمال مصطلح الحوش في الجنوب الجزائري، إلا أنه يوجد اختلاف في المعنى، ففي مناطق كثيرة نجد المقصود من تسمية الحوش هو الفناء أو صحن المنزل خاصة في منطقة الزيبان ببسكرة أو بإقليم توات بالجنوب الغربي [3]، بينما في منطقة سوف تطلق التسمية على كل المسكن وعوض أن نقول"منزل فلان" نقول "حوش فلان" في حين تسمى الغرف المحيطة بالفناء بالدار حيث نقول دار النوم ، دار السقيفة، دار الخزين، وهكذا.. (الصورة 2).

---

1 – إبراهيم العوامر ، المرجع السابق، ص 28.

2– ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف القاهرة، (د.ت.ط)، المجلد 2، ص 1050 .

3 – أحمد جعفري، "العمارة الإسلامية في أقاليم توات"، **مجلة تراث**، الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، العدد 115، 2009، ص 122.

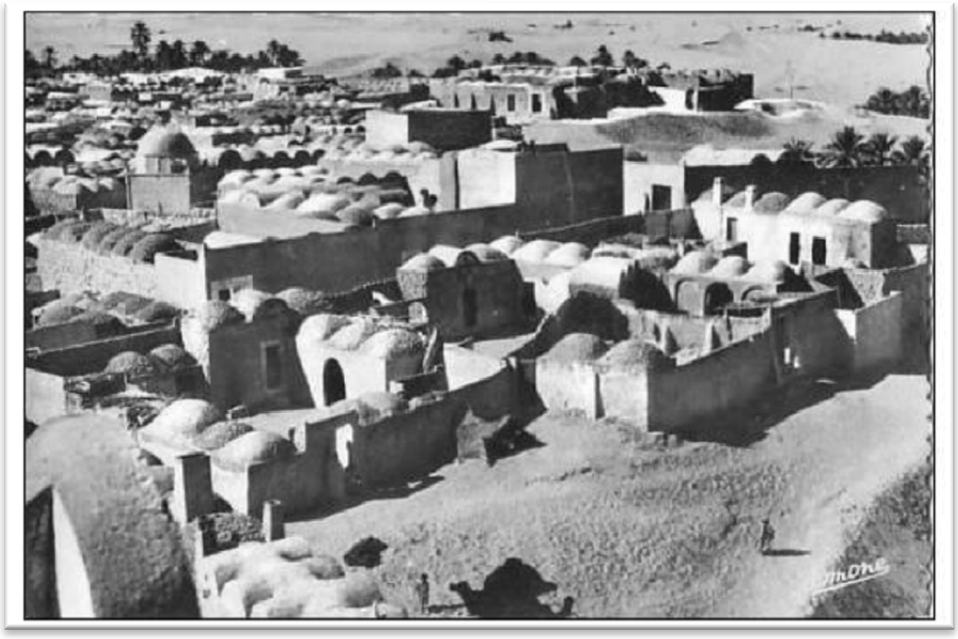

(صورة 2: بعض مساكن من مدينة واد سوف)

لقد رُوعِيَ في إقامة المنزل السوفي التقليدي عدة جوانب منها الطابع المناخي السائد، وعوامل الدين والعادات والأعراف والحشمة خاصة لصيانة حرمة المرأة ، بالإضافة إلى الجوانب الصحية المناسبة ، لذلك نجد اختلاف كبير في نمط وتخطيط الحوش بين مختلف مناطق سوف إلا من حيث المساحة المستغلة أو بعض المرافق غير الرئيسية ، فقد عُرف بالبساطة في شكله وعمارته ، تكاد تنعدم فيه مظاهر الترف والزينة نظرا للظروف المعيشية الصعبة، و عندما يريد السوفي بناء منزل فأنه يستدعي بعض أهله أو جيرانه في شكل نظام التويزة (العوّانة)، ويبدأ العمل فجرا وينتهي مساءا باكتمال البناء وأول ما ينجز الساباط و دار النوم أما السور الخارجي فقد ينجز والذي قد لا يستر ما بداخله، وقد يستعيض السوفي بقلة الارتفاع بالحفر داخل صحن الحوش. سيعرف الحوش لاحقا مع مرور الوقت تعديلات و إضافات في تخطيطه وهياكله تبعا لتطور وتغير نمط الحياة الاجتماعية للسكان .

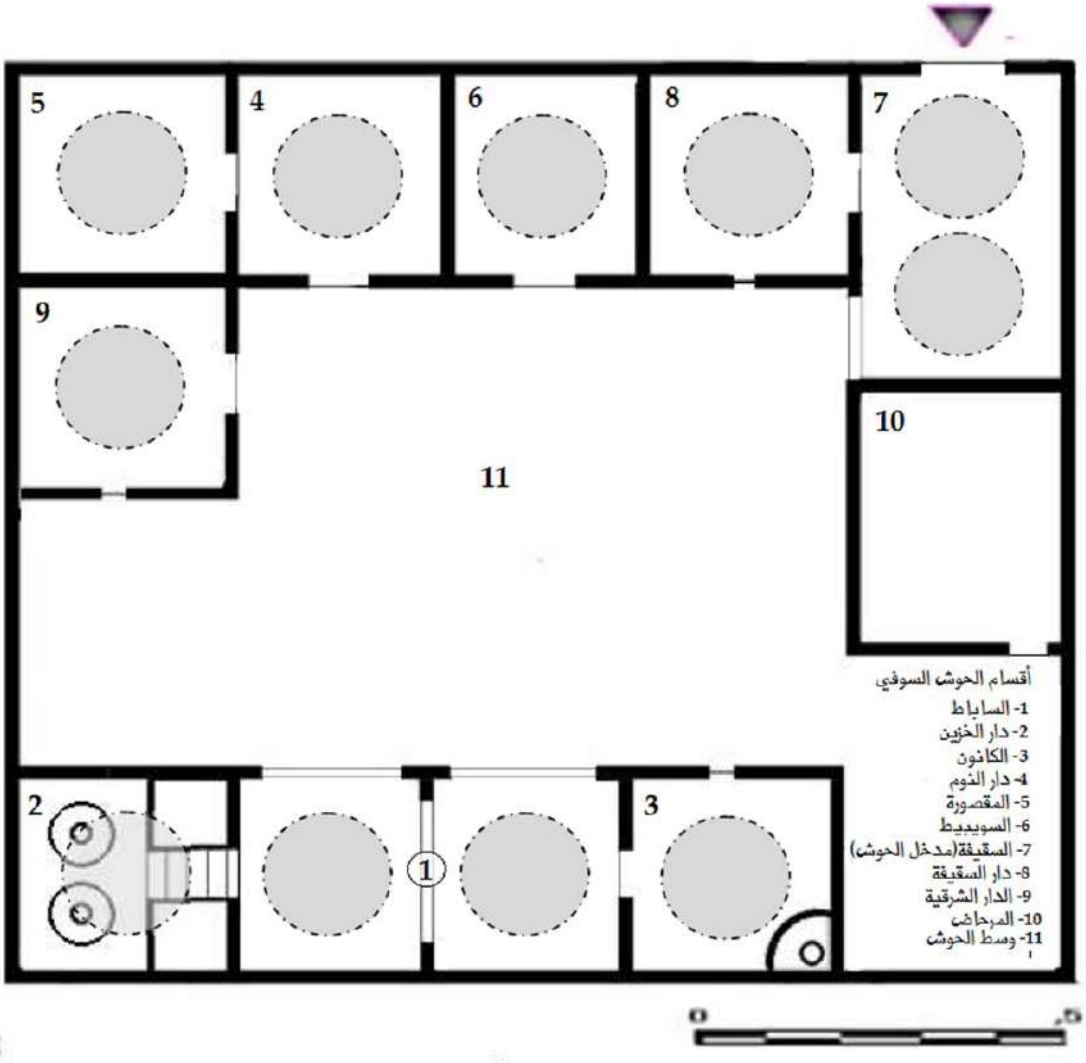

(الشكل) مخطط نموذجي للحوش السوفي

غالبا ما يتخذ الحوش شكلا مستطيلا أو مربعا تتراوح سعة صحنه مابين 75 إلى 100م مربعة تحيط به غرف ضيقة ، لأن سكان المنطقة عندما يريدون بناء الغرفة يتمدد أحدهم أرضا ليكون ذلك هو مقياسها عرضا أما أطوالها فتختلف ، تقدر بحوالي 2 × 4 متر، أما ارتفاعها فيكون على قدر طول قامة الشخص الواقف حيث لا يتجاوز أربعة أذرع[1] في اغلب الأحوال أما الباب فارتفاعه اقل من مترين ما يحتم على الداخل للغرفة الانحناء، ويلاحظ أن مساحة الغرف تحكم فيها إلى حد ما

1 – الذراع : هو وحدة قياس جمعها أذرع ،وهو مابين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الأوسط ، ويختلف طول الذراع الشرعي حسب المذاهب الفقهية وقدره عند المالكية 53سم. للمزيد من التفاصيل أنظر:- علي جمعه محمد، **المكاييل والموازين الشرعية** القدس للإعلان والنشر والتسويق ،ط2، القاهرة، 2001م، ص97.

أسلوب التسقيف المشكل من القبة السوفية ذات الشكل البسيط والتي ترفع مباشرة فوق الجدران. ولانكاد نجد في سوف الأسطح أو الدور من طابقين بخلاف القصور الصحراوية الأخرى التي يغلب عليها البناء من طابقين[1] إلا في فترات متأخرة مع نهاية القرن 13هـ/19م حيث صار نمط التسقيف بالسدّة المصنوعة من جريد النخل شائعا[2].

يقوم التخطيط العام للحوش في سوف على مرافق اساسية على أن يُختار لكل منها موضعه بدقة في هندسة الحوش تبعا للعامل المناخي والضرورة الاجتماعية على النحو التالي:

– السقيفة :

تعرف السقيفة لغة على أنها " الصُفّة أو كل بناء سُقفت به صُفّة أو شبهها مما يكون بارزا "[3] . و اصطلاحا هي الممر الذي يصل بين المدخل من الشارع و وسط الحوش وتكون بشكل منكسر يحجب النظر عما بالداخل تماشيا مع تعاليم الدين وقيم المجتمع المسلم التي تحث على الستر وعدم كشف حرمات المنازل .

كثيرا ما تستغل السقيفة كمكان للجلوس لفترات قصيرة تتبادل فيها الجارات الزيارة يتناقلنَ آخر الأخبار أو يتعاونَّ على أداء بعض الأعمال المنزلية كطحن الحبوب الجافة من قمح أو شعير وعادة ما تكون غير مسطحة مغطاة بالرمل، ونظرا لكثرة الجلوس أحيانا ما يسبب حرجا للداخلين من أفراد الأسرة الذكور، لجأت بعض العائلات إلى إضافة غرفة صغيرة جانبية عُرفت بدار السقيفة والتي تحولت بمرور الوقت إلى دار للضيافة للأجنبي عن العائلة[4]، وهذا يعود بالأساس إلى طبيعة العائلات القمارية المحافظة والتي تتميز بالحشمة وعدم الاختلاط .

---

1 – حملاوي علي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط**، دراسة تاريخية وأثرية، موفم، الجزائر، 2006م، ص241.

2 – السدة ، هي جريد النخل الذي يجمع إلى بعضه بشكل أفقي بواسطة خيط متين أو حبل تعددت استعمالاتها بين التسقيف أو للنوم في وسط الحوش أو داخل الحجرة كما تستعمل أحيانا كحاجز أو ساتر خارجي للحوش. انظر: – ابن منظور، المصدر السابق ، المجلد 3، ص1970.

3 – نفسه، المجلد الثالث، ص 2041.

4- Ahmed Najah, OP.cit,p92.

– السباط :

هي كلمة عربية مشتقة عن الفارسية وردت في لسان العرب بمعنى "سقيفة بين حائطين أو بين دارين، جمعها سوابيط أو ساباطات"[1].

و السباط بالمفهوم المعماري المحلي عبارة عن رواق مغلق يفتح دائما على الشمال بقوسين حتى يكون مفتوحا على الهواء المعتدل صيفا[2]، كما يسقف بالقباب، وقد نجد في إحدى زواياه الكانون أو موقد الحطب ذو الشكل نصف الدائري والذي تعلوه مدخنة، كثيرا ما تلازم السباط غرفه أو أكثر، تفتح عليه في مجنبتيه أو خلفه.

يمثل السباط في المنزل السوفي مرفقا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه، وزادت أهميته بترسخ نمط الحياة الحضرية لدى السكان ، حيث لم يعودوا يقضون اغلب أوقات فصل الصيف في ضواحي البلدة كما اعتادوا في السابق[3]، كما لم تعد الكثير من النساء خاصة الكبيرات في السن يشاركن الرجل في استغلال الأرض وصرن يشغلن أنفسهن بأعمال منزلية مختلفة كحياكة الصوف والنسيج أو طحن الحبوب وغيرها، فكل الأشغال المنزلية تمارس بالساباط.

كما كان السباط يمثل تجمع العائلة ومكان القيلولة، فهو الأكثر برودة صيفا، وفيه تنصب الحمارة[4] التي تعلق عليها قربة الماء للشرب[5]، و يلاحظ أن السباط في سوف لا يختلف في سبب ظهوره عن الأروقة التي تنشأ حول فناء البيت في القصور الصحراوية الأخرى كمنطقة الأغواط أي للتظليل ولكن يختلف عنها أنه لا يشمل إلا واجهة واحد من وسط الحوش6.(الصورة3)

---

1 – ابن منظور، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص 1923.

2 – تعرف التيارات الهوائية القادمة من الشمال محليا بالظهراوي وتتميز ببرودتها صيفا وشتاءا لذلك تقوم بدور معاكس للريح القبلي أو الشهيلي .

3- Voisin André-RogerOP-cit, p109.

4- Eberhardt I.,Victor Barrucand ,**Dans l'ombre chaude de l'Islam**, Imprimerie A. Diary, Paris 1926,p251.

5 – الحِمَّارة هي ثلاثة أعواد من جريد أو خشب يُشدُّ بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها تعلق عليها القِربة لِتُبَرِّد الماء أنظر : – ابن منظور، المصدر المصدر السابق، المجلد 2، ص992.

6 – حملاوي علي، المرجع السابق ، ص247.

(الصورة 3: السباط في الحوش)

– دار الخزين:

تعتبر العنصر الأبرز في عمارة الحوش السوفي، فهي مرفق ضروري يُدَّخَرُ فيها التمر والحبوب خاصة وكل مؤونة العامة من شحوم ودهون وحتى أنواع من الخضر المجففة. عادة ما تنجز دار الخزين في الركن الجنوبي الغربي من الحوش بحيث يفتح بابها على الشمال أو تكون ملاصقة للساباط و تفتح عليه ما يجعلها أقل تأثرا بحرارة الصيف (صورة4) .

الصورة رقم 4: دار الخزين.

تتكون دار الخزين من عنصرين أساسيين هما :

الخابية :

عبارة عن جسم اسطواني في شكل جرة ضخمة مصنوعة من الجبس مثبتة بالأرض ذات قاعدة عريضة ومسطحة، تجعل لها في الأعلى فتحة ضيقة نسبيا وتسد بغطاء من ليف النخيل لمنع دخول الحشرات أو الجرذان وتكون مرتفعة عن مستوى أرضية الغرفة يصعد إليها بدرجات، و يوضع بداخلها قوت السنة من التمر فيبقى على حالته من الطراوة والنقاء دون أن يصيبه التلف[1].

المخزن:

يكون المخزن مربع تقريبا بمقاس (1م×1م)، يدخر فيه الحبوب من شعير أو قمح وحتى الصوف، كما يخزن الزيت والشحوم والدهون المستخرجة من لبن الماعز في جرار صغيرة مصنوعة من الطين أو الجبس .

1- Cauvet C, **Notes sur le Souf et les Souafa**, B. S. G. Alger,1934,p66.

– المطبخ :

الكانون بالمصطلح المحلي، يكون في شكل غرفة ضيقة وكثيرا ما تكون ملاصقة للساباط أو تفتح عليه وقد تكون منفصلة عنه وموضعها عادة في الجهة الجنوبية أو الشرقية من الحوش و يزود الكانون في إحدى زواياه بموقد للحطب متصل بمدخنة على غرار ما عرف بالبيوت الإسلامية[1].

– غرف النوم :

يشتمل الحوش في العادة على غرفة أو غرفتين تخصص للنوم ليلا أثناء الشتاء، وإذا كَبُرَتْ العائلة مكونة وتعددت الأُسر، فإنه يجعل لكل منها غرفة خاصة بها. عادة ما يكون موضع غرف النوم في الجهة الشمالية أو الشرقية من الحوش حتى تكون واجهتها مقابلة لأشعة شمس الشتاء الدافئة، وغالبا ما تكون الغرفة الواحدة مركبة من قسمين الغرفة و المقصورة.

– المقصورة :

في اللغة من قَصَرَ الشيء أي عزله أو ستره ومنعه عن الأنظار[2]، وهي غرفة تُلحق بدار النوم وتصلها بمدخل ضيق، كما تجعل فيها دُكَّانة من الجبس أو سدّة من الجريد محمولة على جذوع النخل، وتكون لها نافذة صغيرة لذلك فهي قليلة الإضاءة. تكون المقصورة خاصة بالزوجين دون الأولاد ، وتضع فيها الزوجة صندوق ملابسها وأدوات الزينة.

– السوبيط :

عرفت بعض المنازل السوفية في فترات متأخرة إنجاز غرفة في الجهة المقابلة للساباط عرفت بالسوبيط لأنها تقوم مقامه في الشتاء، يفتح السوبيط على الجهة الجنوبية ويكون في شكل غرفة صغيرة ذات مدخل معقود أحيانا تدخل منه أشعة شمس الشتاء الدافئة، يستغل لقضاء الأشغال المنزلية في الفصل البارد.

---

1 – شافعي فريد، **العمارة العربية في مصر**، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م، ص433.

2 – ابن مظور، المصدر السابق ، المجلد الخامس، ص 3647.

– المرحاض:

يعرف محليا باسم الخِرْبَة لأنها مكان موسخ للقذورات[1]، و يكون موضعه غالبا في الجهة الشرقية من الحوش وعادة ما يعزل عن بقية المرافق الأخرى، و يتشكل المرحاض من غرفة ضيقة مربعة تقريبا تكون مفتوحة على الهواء غير مسقوفة حتى تصلها أشعة الشمس للضرورات الصحية[2]، ولا تتوفر على أدنى شروط المرحاض الحديث خاصة الماء الذي يجلب في وعاء عند الاستعمال[3]، وقد يلحق بالخربة أحيانا غرفة صغيرة بمساحة 1م/ 1.50م تستغل للوضوء أو الاستحمام.

– صحن الحوش :

هو وسط الحوش الذي تحيط به كل العناصر الأخرى وتفتح عليه، عادة ما يكون الصحن غير مسقوف حتى يوفر النور والهواء ولاستقطاب الشمس، وقد قيل قديما "البيت الذي تدخله الشمس لا يزوره الطبيب"[4] وتختلف مساحته تبعا لمساحة الحوش ككل ولعدد الهياكل التي يتكون منها .

يعتبر وسط الحوش بمثابة الرحبة المصغرة للعائلة ففيه تجتمع الأسرة للتسامر والمبيت أثناء الليل في فصل الصيف، ونظرا لارتفاع درجات الحرارة تبيت كل العائلات في وسط الحوش، و لتفادي الحرارة المنبعثة من التربة، وكذلك الحشرات الضارة خاصة العقارب كثيرا ما ينصب سرير تقليدي يعرف بالسُدّة .

تصنع السُدّة من جريد النخل المنزوع السعف والمشدودة إلى بعضها أفقيا بشكل مستوي يرفع عن سطح الأرض لنحو70 سم بواسطة حوامل من جذوع النخل أو الأخشاب أو حوامل حديدية تعرف بالدواب[5]...

---

1 – الخربة جمعها خربات وهي موضع الخراب تطلق على المبنى المهجور، أو الذي على وشك السقوط، أنظر بن منظور، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص1121.

2 – عادة ما يجعل المرحاض والإسطبل مكشوفين حتى تساعد الشمس على تجفيف الفضلات لتجمع وتنقل إلى المزارع لتستغل كسماد طبيعي للنبات .

3 – لا يصح أن نسمي المرحاض التقليدي بدورة المياه لعدم وجود حنفيات في ذلك العهد.

4 – بن عبد الله نور الدين،" العمارة التقليدية بإقليم توات"القصر نموذجا" **دورية كان الإلكترونية**، العدد15، مارس 2012، ص122- 128.

5 – تُشَبّه الحَمَّالات التي توضع عليها السّدة بالدواب (م.دابة) وهي الحيوانات المخصصة لرفع الأحمال .

كما ظهرت في الأرياف والضواحي منازل غير مكتملة المرافق تعرف بالحوش الريفي.

يعتبر الحوش الريفي أسبق في الظهور من الحضري لأن السكان الأوائل شكلوا تجمعات محدودة العدد على أطراف الحواضر بالقرب من غيطانهم، فقد عرف كبديل عن دار الكاف أو السقيفة وكثيرا ما يُنشأ الحوش على طرف الغوط أو خارجه.

(الصورة المنزل الريفي بمنطقة سوف)

كثيرا ما اقتصر الحوش الريفي على ثلاث مرافق أساسية ، الساباط، دار الخزين، ودار النوم شتاء و قد لا يكون مُسَوَّرًا أو يحاط بحاجز من الجريد يستر ما بداخله لكنه لا يعتبر آمنا بحيث لا يمنع دخول الأجانب أو الحيوانات الضالة[1].

1 – في فترات ليست بالبعيدة وقبيل العهد الاستعماري كانت نادرا ما تحدث عمليات السرقة أو السطو ،لأن سكان المنطقة كانوا مسالمين منكفئين على ذواتهم منشغلين بأعمالهم اليومية ، كما كانوا يتمتعون بالفراسة وتتبع الأثر، و يستطيعون من خلال آثار الأقدام أن يحددوا كل المعطيات عن الشخص الدخيل (نسبه ،جنسه، عمره إلخ...)

قد يضاف للحوش الريفي إسطبل أو مربط للحيوان يكون ملاصقا للمرحاض و غير متصل بالمرافق الأخرى، فكثيرا ما تربي العائلات السوفية قرب حقولها بعض الماعز وحتى الدواب كالحمير والبغال لاستغلالها في أعمال الجر و السقي بالدلو[1].

– عمارة الغوط :

من المعروف أن مصطلح بلاد الجريد يقصد به البلاد التي تسود بها غراسة النخيل والمنتجة للتمر، وتاريخيا هي كل المنطقة الممتدة من نفزاوة وجنوب تونس وبلاد الزاب وصولا إلى إقليم السوس بالجنوب المغربي بلاد تمتاز بتربتها الطينية ومناخها شبه الصحراوي الذي يلاءم على زراعة النخيل، إلا أن التسمية اليوم ظلت مقتصرة على الجنوب التونسي دون سواه نسبة إلى شط الجريد الذي يتوسطها.

وقد شكلت بلاد سوف منذ القديم امتدادا جغرافيا واجتماعيا للجنوب التونسي ومنها استقبلت أولى الهجرات البشرية لتشكل لهؤلاء ملجأ وموطنا للاستقرار ويمكن أنهم استقدموا معهم الكثير من عاداتهم وحرفهم ومنها غراسة النخيل حتى صارت سوف تنسب لبلاد الجريد وهذا ليس من باب المبالغة إذا علمنا أن سوف تفوقت على الجنوب التونسي في أعداد النخيل المنتج التي قدرت بـ 450 ألف نخلة سنة 1960م[2].

دخلت الغيطان في عمارة بلاد سوف بل هي أساس عمارتها فقد كانت سبب استقرار سكانها بعد حياة الرعي والترحال، حتى صاروا يقضون معظم أوقاتهم في غيطان النخيل خارج الحواضر الرئيسية يقومون على العناية بنخيلهم ويكافحون الرمال في عمل مستمر وشاق .

الغوط هو واحة النخيل المنشأة في منخفض عميق شبه دائري قد يبلغ مئات من الأمتار طولا وعرضا، ويكون خصيصا لزراعة النخيل لتكون قريبة من مستوى سطح الماء قد تصل لعمق (10-20 أمتار) ثم يجعل للنخلة حوض عميق يخترق الحزام (طبقة اللوس) فوق الماء بحوالي نصف متر

---

1 – خلال القرن العشرين كثر استعمال الدواب وعربات الجر في سوف كما شاعت عملية اقتناء وتربية الماعز في الحواضر وصار إسطبل الحيوانات مرفقا أساسيا في تخطيط الحوش السوفي.

2 – المصدر : مديرية المصالح الفلاحية لولاية الوادي.

يعرف بالبحيرة ، وتتم عملية إنجاز الغوط عن طريق رفع الرمل على الظهر بواسطة الشارية[1] أو بواسطة الزنبيل[2] على ظهور البغال أو الحمير.

يتم إخراج الرمال ووضعها على حواف المنخفض لتكون بمثابة الساتر لكسر حدة الرياح وتضاف لها أحيانا زرب أو حاجز قصير من جريد النخل، وعادة ما يُبتدأ العمل قبل الفجر حتى طلوع الشمس، وقد تستغرق عملية الحفر أشهرا أو سنوات على حسب المساحة المراد استغلالها وقد يستوعب الغوط الواحد أحيانا ما يناهز الـ100 نخلة، وتقتصر عملية رفع الرمل على البالغين الرجال ويطلق عليهم الرمّالة و الذين قد يصل عددهم إلى نحو 15 نفرا .

تكون عملية حفر الغيطان على حسب جودة المياه وقربها من السطح، ورغم أن عملية الحفر متعبة ومضنية جدا، لكن الآباء والأجداد مع قلة الوسائل وبساطتها وبعزيمتهم وتعلقهم بغراسة النخيل وإصرارهم على تعمير المنطقة أبدعوا الغيطان.[3]

إن عملية انجاز الغيطان للنخيل تحقق عدة أهداف منها :

- تقريب النخلة من مصادر المياه الجوفية .
- حماية المحصول من الرياح والأتربة .
- توفير نسبة من الرطوبة داخل الغوط تساعد على زراعة محاصيل موسمية.
- صار الغوط أو الهود يمثل أساس حياة للإنسان السوفي فمن أجله يعيش ومنه مصدر رزقه وقُوْةَ عِياله.

---

1 – الشارية هي القفة المصنوعة من سعف الجريد والحلفاء تخصص لحمل الرمل.

2 – الزنبيل هو القفة كبيرة أو الجراب وقيل الوعاء الذي يُحمل فيه، أو هو شريط من الليف والحلفاء بطول 1.10 إلى 1.50 م يوضع على ظهر الدابة ليشكل كل جانب منه وعاء أو جيب كبير. للمزيد من التفاصيل أنظر: – ابن منظور، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص1808. و كذلك: – ج.كوفي، **غراسة النخيل في سوف**، ترجمة: عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار الوادي، ط2013، ص27.

3 – وتشبه هذه العملية بأشغال رفع الحجارة الضخمة لإنجاز أهرامات مصر الفرعونية حتى جاز تسمية غيطان سوف بالأهرامات المقلوبة ولكن الفرق أن الأولى للأحياء والثانية للأموات.

وأهم مكونات الغوط هي:

النخيل :

تختلف أعدادها وأنواعها حسب مساحة الغوط و طاقة الأسرة لأن العمل عادة يكون عائليا، وتتنوع النخيل حسب نوعية التمور المنتجة وحسب عمر النخلة فمنها البالغة في طور الأنتاج ومنها الحشان الغير منتجة أي الفسائل .

تزرع إضافة للنخيل بعض الأشجار المثمرة ، كما تمارس أعمال البستنة اليومية للخضروات الموسمية التي عادة ما تكون لغرض الأستهلاك الذاتي .

السانية :

وتتكون من البئر والحوض ولاستخراج الماء من البئر بكميات محدودة تستعمل الخطارة التي تحتاج إلى عامل، أما لكميات ماء اكبر فتستعمل الدواب لسحب الدلو.

دار الكاف:

والتي عند مستوى الحزام الصخري والتي يلجا إليها الفلاح للقيلولة والراحة ثم أستعيض عنها بالحوش الريفي .

يحاط الغوط بالطابية وهي الحاجز الرملي الذي يتشكل من عملية رفع الرمل أثناء حفر الغوط والتي تمثل حدود الغوط الخارجية، وقد تدعم الطابية بحجارة الترشة لزيادة مقاومتها للرياح كما يضاف إليها زرب قصير يساعد في توجيه حركة الرياح. (الشكل1) مخطط لمقطع عرضي يبين أهم مكونات الغوط.

.

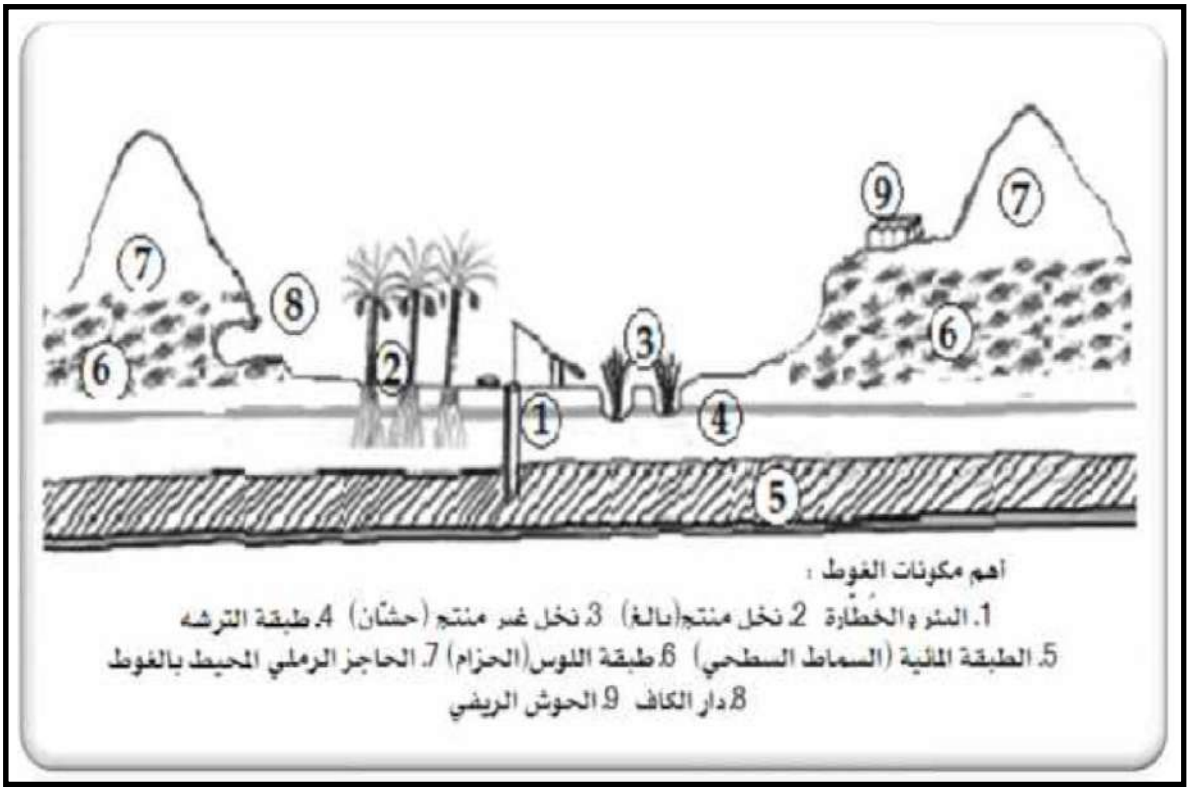

(الشكل1: أهم مكونات الغوطة)

خاتمة:

شكلت العمارة في منطقة سوف نموذجا من العمارة التقليدية في الجنوب الجزائري، فعلى الرغم من الاختلاف في بعض المواد و تقنيات البناء، أو من حيث الامتداد الأفقي و الرأسي، فقد حافظت البلاد السوفية على الخصوصيات المعمارية في ظل تعاليم الدين، و وفق العرف السائد في البيئة العمرانية الصحراوية، و بالتالي لم تخرج عن نظام العمران الإسلامي.

صارت الفلاحة وعملية حفر الغيطان سمة أهل سوف وحين دخول المستعمر قدرت أعداد النخيل المغروسة بـ 154 ألف نخلة موزعة حوالي 10000 غوط حتى شبهت بلاد سوف بجلد الفهد الأصفر المنقط .

لقد أستطاع الإنسان السوفي أن يحقق إنجازا حضاريا يضاهى به أهرامات الفراعنة لذلك قامت المنظمة العالمية للأغذية "الفاو.F.A.O" باعتماد غيطان وادي سوف ضمن التراث الزراعي العالمي سنة 2009م.

مثل الغوط لعقود طويلة محور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة، فصار لها علاقات خارجية خاصة مع بلاد النمامشة والأوراس وبلاد الجريد التونسية ، وصارت محل الاهتمام السياسي للممالك المجاورة فحاولت السيطرة عليها وضمها لسيادتها ولكنها ظلت عصية نظرا لطبيعة الإنسان السوفي الذي ما لجأ إلى هذه المنطقة إلا ليكون سيدا في أرضه حتى دخول المحتل الفرنسي الذي عمد إلى السيطرة على البلاد و إخضاع أهلها لإرادته.

1- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية :

- المصادر:

- ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق: محمد هشام، المكتبة العتيقة تونس، ط3،1387هـ.

- ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، (د.ت.ط.)

- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح:ج. كولان و ل.بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج1.

- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف القاهرة، (د.ت.ط).

- تقي الدين أحمد المقريزي، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، مصر، 1996م.

- حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط2، 1983م.

الحِمْيَري محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1984م.

- الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط6، دمشق1998م.

- عبد الرحمن بن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2001 م.

- العدواني محمد ، **تاريخ العدواني**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

– المراجع:

– إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الدار التونسية للنشر،تونس1977.

– إبراهيم مياسي ،"من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة"، **مجلة الثقافة**، عدد 113، الجزائر، 1996م.

– أحمد جعفري، "العمارة الإسلامية في أقاليم توات"، **مجلة تراث**، الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، العدد 115، 2009م.

– بن عبد الله نور الدين، العمارة التقليدية بإقليم توات"القصر نموذجا" **دورية كان الإلكترونية**، العدد15، مارس، 2012م، ص122- 128.

– ج.كوفي، **غراسة النخيل في سوف**، ترجمة عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار الوادي، 2013م.

– حملاوي علي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط**، دراسة تاريخية وأثرية، موفم، الجزائر، 2006م.

– شافعي فريد، **العمارة العربية في مصر**، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

– فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب(التاريخ السياسي والمؤسسات)**،نقله للعربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

– صلاح الدين بحيري، **مبادئ الجغرافيا الطبيعية**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م.

– عبد العزيز غوردو، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، الكويت ، ط2 ،2011م.

– علي جمعه محمد، **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للإعلان والنشر والتسويق ،ط2 ، القاهرة 2001م.

– ليون موريه ، **الوجيز في الجيولوجيا**، تر:يوسف خوريو عبد الرحمن حميدة، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق،1987م.

– مارمول كرفجال، **إفرقيا**، تر: محمد حجي و محمد الأخضر وغيرهما، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط، 1984م.

– محمد الصالح حوتيّة، **توّات و الأزواد**، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007م .

- مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة والتوزيع الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، 1981م.

- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية (تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من ق10إلى ق12م)**، نقله للعربية حمادي الساحلي ،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

- المراجع باللغة الأعجمية:

- Bataillon, cl. **Le Souf, Etude de géographie humaine**, E. abert Imprimeur, ALGER 1955,
- Cauvet C, **Notes sur le Souf et les Souafa**, B. S. G. Alger,1934,p.66.
- Eberhardt I., Victor Barrucand**, Dans l'ombre chaude de l'Islam** ,Imprimerie A. Diary, Paris 1926.
- Najah Ahmed, **Le Souf des Oasis** ,Editions la maison des livres. ALGER 1970. P.48.
- Tomas Marc-Ropert, **Sahara et communauté**, presses universitaires de France, 1ed, Paris 1960
- Voisin André-Roger, **Le Souf monographie**, imprimerie El-walid éditions, El-oued 2004

نظرة تاريخية لمكانة اللغة العربية بين تعزيز الهُوية الوطنية و تحدِّي الغزو الثقافي

الدكتور: محمد عيساوي

قسم التاريخ / جامعة محمد بوضياف المسيلة

نظرة تاريخية لمكانة اللغة العربية بين تعزيز الهُوية الوطنية و تحدِّي الغزو الثقافي.

مقدمة

تأخذ بعض المفاهيم موقِعًا أثيرًا في الكتابات الفكرية و الثقافية خلال عصرنا الحالي، ويشيع استعمالها دون أن يتم تحديد دلالاتها و تأثيراتها و انعكاساتها على الفرد و المجتمع بدقة و تركيز؛ ولعل هذا هو الحال مع مصطلحي الهوية الوطنية و الغزو الفكري ، ذلك أن تناولها قضية فكرية منهجية ، من حيث أنها ترتبط بالنشاط الفكري و الممارسة اللغوية لأمتنا العربية الإسلامية .

و لقد تصدى كثير من أبناء اللغة و الجلدة و الدين لدراسة هذا المحور الرئيس، و تنوعت اتجاهاتهم و ميولهم ، و من هذا المنطلق الرئيس ستتناول هذه المشاركة محور اللغة العربية و الهوية الوطنية ، و تتمحور في هذا الشأن حول الإشكالات التالية :

ما هي دلالات الهوية الوطنية و الغزو الفكري ؟ و هل هناك فروقات جوهرية بين اللغة العربية و اللسان العربي ؟ ما هي العلاقة بين اللغة العربية و الهوية الوطنية ؟ كيف يمكن للغة العربية أن ترسخ الهوية الوطنية ؟ ما هي آليات مواجهة خطر الغزو الفكري و الثقافي ؟ ما هي أهم الاتجاهات الفكرية في دراسة الهوية و علاقتها باللغة ؟

و لقد تحرت الدراسة الإجابة عن ما تقدم من إشكالات ، مشفوعة في ذلك بنتائج ذات صلة بالموضوع .

– المبحث الأول : واقع اللغة العربية و الهوية الوطنية :

– أولا : دلالة ألفاظ الهوية الوطنية: [1]

يجد المتتبع للساحة الثقافية إزاء العديد من المصطلحات ، أمام " أوعية " عامة و " أدوات " مشتركة بين الحضارات و الأنساق الفكرية و العقدية و المذهبية ، و في ذات الوقت أمام " مضامين " خاصة و " و رسائل " متميزة ، تختلف فيها و تتميز بها هذه " الأوعية " ، و من تلك المصطلحات المتداولة الهوية الوطنية ، فما هي الهوية الوطنية و دلالتها ؟

فالهُوِيَّة في عرف حضارتنا العربية الإسلامية مأخوذة من " هُو... هُو " بمعنى جوهر الشيء و حقيقته فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هو جوهره و حقيقته .

فإن هُوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد و لا تتبدل و لا تتغير ، تتجلى و تفصح عن ذاتها ، دون أن تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة ... إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، تتجدد فاعليتها ، و يتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الغبار و عوامل الطمس و الحجب ، دون أن تخلي مكانها و مكانتها لغيرها من البصمات [2] .

أما الوطنية ؛ فهي المشاعر و الروابط الفطرية – و التي تنمو بالاكتساب – لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطن و توطَّن فيه .

و الوطن هو المنزل الذي يمثل موطن الإنسان و محله ، و لا يغير من علاقة الوطنية ، التي تربط الإنسان بوطنه إقامته الاختيارية أو القسرية في مواطن أخرى غير موطنه الأصلي[3] .

---

1 – شريف يونس : **سؤال الهوية : الهوية و سلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة** ، سيريت للطباعة و النشر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 1999 ، ص 36 . للمزيد أنظر : محمد عمارة : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1999 ، القاهرة ، جمهورية مصر ، ص 24 و ما بعدها .

2 – محمد عمارة : **معركة المصطلحات بين الغرب و الإسلام**، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،الطبعة الأولى ، دون تاريخ للنشر، ص 4 . و كذلك: – محمد عمارة : **الغزو الفكري وهم ... أم حقيقة ؟** ، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية ، الأزهر الشريف ، جمهورية مصر العربية ، د. ت . للنشر ، ص 14 .

3 – محمد عمارة : المرجع السابق ، ص 181 .

– ثانيا : دور اللغة العربية في ترسيخ الهوية الوطنية :

تشكل اللغة الأم عاملا رئيسا في هوية الفرد المنتمي إليها ، و هي من خلال هذا تؤهل الفرد لكي يلتحق بجماعة أكبر تنتمي إلى نفس اللغة ، بدءًا من الجماعة الصغيرة في الأسرة الواحدة و امتدادا إلى الجماعات الأكبر في القرية أو الإقليم أو القبيلة أو المنطقة أو الولاية أو الدولة أو غيرها من مسميات التجمعات البشرية .

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى إدراك أهمية الربط بين اللغة و الهوية ، و إدراك أن المحافظة على أحدهما محافظة على الأخرى ، و أن إنقاذ إحداهما إنقاذ للأخرى، و لا بد أن ندرك أن الضعف و التراخي إذا كانا نتيجة طبيعية لظروف تاريخية و حضارية متراكمة، فإن التنشيط و التجديد و استعادة التوازن ، إنما يتم من خلال العزم و التخطيط و رسم السمات ، و إصدار القرارات و تنفيذها على مختلف المستويات العلمية و التعليمية و الاقتصادية و الإعلامية و الإعلانية، و تنسيق الجهود المتناثرة .

و ليس من المحال عندما يتم بذل الجهد المناسب ، أن تعود حالة القوة و الانتعاش لكل من اللغة و الهوية ، حتى وسط أجواء سيطرة ثقافة العولمة ، و نزعة الحرب المعلنة ضد اللغات الأخرى ، و في مقدمتها اللغة العربية ، رمز الهوية التي يراد ألا تقوم لها قائمة و تهدد مصادر الثروة ، و تحد من حرية الحركة المطلقة أمام مطامع الصهيونية العالمية و حمايتها للمتطرفين .

ثالثا : آليات إصلاح واقع اللغة العربية لترسيخ الهوية الوطنية :

ينبغي ألا تكون دعواتنا لإصلاح اللغة عشوائية ، و ألا نضيق خلال طرحها بالآراء المخالفة، ما دمنا جميعا نتوخى المحافظة عليها و تطويعها لمتطلبات العصر ، و ينبغي أن نعمل على إعادة التشكيلة الخارجية للغة التي كانت تمثل أجنحتها الوسيلة الضرورية للتحليق و الانطلاق ، و يمكن أن يتم ذلك في شكل التخطيط لتعاون ثقافي أشد متانة و أكثر اتساعا ، و ينبغي كذلك أن نعمل على إعادة الحقيقية للغة داخل مجالها القومي من خلال تفعيلها الحقيقي في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية

و الثقافية و العلمية و الإعلامية و كل تلك مجالات تنعش اللغة و تعمل على زيادة ة كفاءة رئتيها في تصفية الهواء ، و انعكاس مردوده على الدم نقاء و جريانا ، و على الجسد صحة و انتعاش[1] .

و ليس إصلاح طرائق تعليم اللغة نحوا ، صرفا بلاغة و إملاء إلا مدخلا أوليا لإعادة الحياة في المجالات التي أشرنا إليها ، و التي تبدو دعوات إصلاح اللغة في غيابها ضربا من التخطيط النظري و الحوار العقلي المجرد .

إن المحافظة على اللغة و التمسك بها لا تتعارض أبدا مع فتح باب الحوار و النقد على مصاريعه بشرط أن يكون قائما على أسس علمية من شأنها أن تهب اللغة مزيدا من التماسك و تلافي نقاط الضعف و الاستجابة لمتطلبات الحياة ، و بهذا كله نستطيع أن نجمع إلى عراقة التراث و حيوية التطور، الأمل في المستقبل الواعد و الشخصية القومية معا[2] .

المبحث الثاني : اللغة العربية و تحديات الغزو الفكري :

إن العصر الذي نحيا تحت ظلاله يتسم بعدة سمات منها أنه عصر العولمة [3]و الغزو الفكري ، و سنحاول فيما يأتي تبيان أحد هذه السمات و تحدياتها على الواقع اللغوي ألا و هو " الغزو الفكري " فما دلالة هذا المصطلح ؟ و ما هي الجذور التاريخية له ؟ و هل له أسباب ؟ و كيف تستطيع اللغة العربية مواجهة هذا التحدي ؟ كل هذه الإشكالات توخت مطالب هذا المبحث الإجابة عنه .

– أولا : مصطلح الغزو الفكري :

تعطي كلمة الغزو في اللغة العربية معنى : القصد و الطلب ، و السير إلى قتال الأعداء ، في ديار الأعداء و انتهابهم ، و قهرهم و التغلب عليهم ، و مصطلح الغزو الفكري ، قصد به " إغارة

---

1 – جيرار ليكلرك : **العولمة الثقافية " الحضارات على المحك "** ، ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004 ، ص 19 ، 20 .

2 – أحمد درويش : **إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية** ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007 ، ص 19 – 158 .

3 – محمد عمارة : **بين العالمية الإسلامية و العولمة الغربية** ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ،ص 29.

الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة ، و أساليب مختلفة ، لتدمير قواها الداخلية ، و عزائمها و مقوماتها ، و انتهاب كل ما تملك ." [1].

و الفرق بين " الغزو الفكري " و " الغزو العسكري " : أن الغزو العسكري يأتي للقهر و تحقيق أهداف استعمارية دون رغبة الشعوب المستعمرة ، أما الغزو الفكري ، فهو لتصفية العقول ، و الأفهام لتكون تابعة للغازي . [2]

و لقد عرفه الدكتور عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني بقوله : " الغزو الفكري : عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي ، على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتدريبية والتربوية والتوجيهية وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي ، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين ، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كليَّاً أو جزئيَّاً ، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعية ، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكرياً ونفسياً ، ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً استعماراً مباشراً أو غير مباشر ." [3]

و يميل كثير من الباحثين إلى هذا التعريف لكونه جمع بين مختلف الوسائل للغزو الفكري ، و الأهداف القريبة و البعيدة له .

– ثانيا : الجذور التاريخية للغزو الفكري :

إن مصطلح الغزو الفكري الذي يتداول كثيرا على ألسنة الباحثين و المتحدثين حاليا على حداثة مبناه ، إلا أنه قديم المدلول و المعنى ، و تتفاوت الأمم و الجماعات فيه من حيث الدرجة لا

---

1 – و مما يسترعي الانتباه أن هناك عدد من الباحثين من ينكر و يستنكر " وجود الغزو الفكري " معتبرين الحديث عنه مجرد وهم من الأوهام ، و لقد تكفل الباحث محمد عمارة ببيان تهافت هذه الدعوى في كتابه الغزو الفكري وهم ... أم حقيقة ؟
أنظر : – محمد عمارة : المرجع السابق، ص 14

2 – عبد الصبور بومرزوق: **الغزو الفكري أهدافه و** وسائله ، مؤسسة مكة للطباعة و النشر ، د.ت . للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ص 20 – 22 .
يوسف الواعي : **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، 1988، مصر، ص 679 .

3 – عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : **أجنحة المكر الثلاثة** ، دار القلم ، دمشق ، ط7 ، 1994 ، ص 25 .

النوع ... و لا نبالغ إذا قلنا : إن كل جماعة بشرية " قبيلة أو أمة أو دولة ... قد عرفت هذا النوع من الغزو ، و استخدمته في سبيل معارك حياتها الاجتماعية و الاقتصادية بل و العسكرية ذاتها[1] .

أسباب الغزو الفكري : " التعصب الصليبي و استدمار الجزائر أنموذجا " 2

تواطأت الدول الغربية كلُّها على الإسلام والمسلمين منذ بيَّتَت المكيدة ، ودبرت الخطة ، وأعدت العدة للحرب على مقومات الإسلام الحضارية ، و كان أهم ما وراءها من أسباب التعصب الصليبي ؛ و الذي هدفت من خلاله تقويض الهوية الثقافية و الوطنية للشعوب العربية الإسلامية ، فما هي الجذور التاريخية للتعصب الصليبي على الجزائر ؟

– التعصب الصليبي و الحركة الاستدمارية :

و نقصد بها التعصّب الصليبي، و الذي حملت رايته فرنسا؛ فقد اعتبرت هذه الأخيرة نفسها، حامية المسيحية والمدافعة عنها، و أنّ تنظيم حملة عسكرية و الانتصار فيها على الجزائر الإسلامية، هو في الحقيقة انتصار الصليبية على الإسلام[3].

كما كان كلّ رؤساء فرنسا يعتبرون دولتهم البنت البكر للمسيحية، و يسوؤهم أن تعوّض الكنائس بالمساجد في الشمال الإفريقي، بدعوى أنّ المسيحية كانت الدين الذي ساد هذه البلاد، و من الضروري أن يعيد الزمن نفسه، وتصبح المساجد كنائس[4]، و تبعث المسيحية من جديد بإفريقيا، كما يبعث كيان القديس أوغسطين (Saint Augustin)[5]، و القديس سبريان (Saint Cyprien)[6]، بهذه الأرض[7].

---

1 – الغزو الفكري و التيارات المعادية للإسلام ، ص 20 ، 21 .

2 – تم اختيار سبب من أسباب الغزو الفكري يتعلق بالجزائر ؛ نظرا لتأثيره البالغ على ركائز الهوية الوطنية " الإسلام و العروبة و الأمازيغية "

3 – عمار هلال: المرجع السابق، ص 50.

4 – مسعود مجاهد: **كفاح الجزائر البطولي في عهد الأمير و بعد وفاته**، ط2، الجزائر، 1982، ص 109.

5 – ولد في سوق أهراس سنة 355م، و مات سنة 430م، كان أسقفا على مدينة بون (عنابة)، من كتبه: مدينة الله، اعتراف.

6 – ولد سنة 200م، و مات سنة 258م، كان أسقفا بمدينة قرطاجنة، و هو من أكبر آباء الكنيسة.

7 – خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830–1871)**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص18.

واعتبر الفرنسيون أنّ الأسباب الرئيسة للحملة، هي إسقاط الحاجز بين الإسلام و المسيحية، و بين شمال إفريقيا و أوربا الغربية، و بذلك إضعاف "التعصّب" الإسلامي. كما اعتبروا دخولهم إلى إفريقيا، ليس لتقويم الأفكار الإسلامية التي مسّت المسيحية فحسب؛ بل كان ذلك لتقويم و إثراء أفكارهم التي مسّت المسيحية الإفريقية[1]. كما اعتبر علماء الآثار هذه الحملة، عودة لإفريقيا الرومانية ثانية إلى المسيحية على أنقاض القائد الروماني سيبيون2.

و وصف وزير الحربية كلارمون تونير (C.Tonnère) الحملة بأنّها: "حملة صليبية هيأتها العناية الإلهية، لينفّذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله للثأر من أعداء الدين و الإنسانية "[3]. كما جاء في الخطبة التي ألقاها الملك شارل العاشر، أثناء توديع الحملة: "...إنّ العمل الذي ستقوم به الحملة ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها "[4].

واصطحب الجنرال ديبورمون (Debourmont) معه ستة عشرا قسّيسا، كانوا قد رافقوا الجيش الفرنسي، و كان أحدهم الأب زكار السوري، و أخ بطريرك بيت المقدس. و عندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها ديبورمون منتصرا، صرّح لهؤلاء القساوسة: "إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تينع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع "[5].

وتغنّى الجنرال ديبورمون بنشوة الانتصار، عندما دخل القصبة بقوله: "مولاي لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا، رجاؤنا أن يكون ذلك بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في هذه البلاد"[6].

1- Louis Bertrand: "Le centenaire de l'Algérie française", L'illustration, N°= 4551, 1930, (S.P).

2 – قائد روماني يلقب بالإغريقي (153 ق.م-183 ق.م): استولى على مستعمرات قرطاجة، قضى على حنبعل في معركة زاما سنة 202 ق.م. انظر : – خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 18.

3- بسام العسلي: **المقاومة الجزائرية للإستعمار الفرنسي**، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1986، ص 56.

4 – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج3، ص 383.

5 . عبد الجليل التميمي: "التفكير الديني و التبشيري"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد01، جانفي 1974، ص 12.

6 . عمار هلال: المرجع السابق، ص 50.

إنّ هذه الأقوال لتعكس بجلاء الحقد الصليبي الدفين، اتجاه الإسلام و المسلمين، و الذي لم تكن هذه الكلمات لتدل عليه لوحدها، فلقد جاءت الأحداث التي تلت الاحتلال و سقوط الجزائر، لتؤكد ذلك الحقد؛ الذي هو أبعد ما يكون من التعاليم السمحة التي جاء بها المسيح عليه السلام .

– مكانة اللغة العربية في الإسلام:

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: " لو سألتموني – أيها الإخوان – ماذا أحببت من الأمة العربية و لماذا أحببتها هذا الحب الذي بلغ درجة الافتتان ... لأجبت جوابا يأكل الأجوبة كلها ، و يسكت الشقاشق الهادرة ، و هو أنني أحببت منها ما أحب الله منها يوم أنزل وحيه الكامل بلسانها ، و اختار رسوله الخاتم من أبنائها ، و حسبي شرفا و توفيقا أن أحب ما أحب الله .." [1]

وعن هذا الجانب أيضا قال ابن تيمية: (إنَّ الله أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلاَّ بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم، واللسان تقارنه أمور أخرى: من العلوم، والأخلاق، فإنَّ العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله، وفيما يكرهه، فلهذا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة)[2].

وقال في مكان آخر: (اعلم أنّ اعتياد اللغة: يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأُمَّة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق)[3].

---

1 – الإبراهيمي محمد البشير : **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ، جمع و تقديم نجله : احمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1997 ، بيروت ، لبنان ،ج 4 ، ص 225 .

2 – ابن تيمية : **اقتضاء الصراط المستقيم**.، دار الأنصار للنشر و التوزيع ، ص 162، 207.

3 – نفسه، ص 207.

لقد سبق شيخ الإسلام برؤيته هذه علماء اللغات الذين خلصوا إلى القول بأنّ اللغة ليست مجرد أداة للفكر بل هي جزء منه ووسيلة للتميُّز والحفاظ على الذاتية والهويَّة المستقلة عن غيرها[1].

– اللغة العربية و تحدي مواجهة خطر الغزو الفكري : " الاستشراق أنموذجاً " [2]

وإذا كانت اللغة العربية تحتل تلك المكانة في تميز الأُمَّة الإسلاميَّة ؛ فقد أدرك المستشرقون أهميتها ووقفوا على أثرها في وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة من جانب آخر، فما هي مواقف المستشرقين من اللغة العربية ؟ و ماهي أهم النقاط التي من خلالها تستطيع اللغة العربية مواجهة هذا التحدي ؟

نقل عن (بوستل) قوله عن اللغة العربية: (... إنَّها تفيد بوصفها لغة عالميَّة في التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها، وعن طريق معرفة لغة واحدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله) ، ويتباهى (بوستل) أنَّه يقطع العالم الإسلامي من أقصى غربه إلى تخوم الصين دون حاجة إلى مترجم. وما ذلك إلاَّ لأنه حذق العربية لغة العالم حينذاك.

يعترف أغلب المستشرقين بأنَّ القرآن الكريم هو سبب عالميَّة اللغة العربية، وللمثال على ذلك ما قاله (كارل بروكلمان): (بلغت العربيَّة بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أيُّ لغة أُخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم)[3].

---

1 – مازن المبارك: **اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي (محاضرات تتناول التعريب في الوطن العربي تدريسًا وتأليفًا ومصطلحًا)**، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، 1401هـ، ص 63. أنظر أيضا: – أحمد بن عبد الله الباتلي : أهمية اللغة العربية و مناقشة دعوى صعوبة النحو ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ص 13 .

2 – اخترت الاستشراف كأحد التحديات التي ينبني عليها مصطلح الغزو الفكري لتشعب مسالكه و حاجته إلى دراسات معمقة للمزيد أنظر : – إسحاق بن عبد الله السعدي : **اللغة العربية و مكانتها في الإسلام** ، ص 2 و ما بعدها. و كذلك: – المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب : **طرق إحكام الرقابة على الغزو الفكري و الخلقي** ، الرياض ، المملكة العربية السعودية 1412 هـ ، ص 231 . و كذلك: – مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، 1985 م ، ص 45 و ما بعدها . و كذلك: – مالك بن نبي : **إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث** ، دار الإرشاد ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1380 هـ / 1969 م ، ص 06 – 10 .

3 – نقلاً عن: – محمد مصطفى بن الحاج: **عالميَّة اللغة العربية**، ص 274 .

ويقول (برنارد لويس): (وقد وجد الطلبة الإنكليز في الهند لدى دراستهم لغات مسلمي الهند ومدنيتهم، أن أبحاثهم وتنقيباتهم تحتم عليهم دراسة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلاميَّة في أيِّ لغة من اللغات)[1].

ومن المسشرقين من شارك في المجمعات اللغوية العربية في كل من مصر ودمشق وبغداد وغيرها وأسهم بجهوده في خدمة تلك المجامع[2]، وتسلَّلَ بعض المستشرقين في هذه المجمعات لنفث سمومه وقوادحه في اللغة العربية من خلال دراساته وآرائه التي يسهم بها في أعمال تلك المجمعات وفقًا لقول الشاعر:

..... (وداوني بالتي كانت هي الداءُ)[3]

ومهما يكن من جدية هذه الدراسات والبحوث والأعمال التي تصدّى لها أعداد كبيرة من المستشرقين، ومهما يكن لها من إيجابيات فإنَّه قد شاع من بينها شبهات أحاقت باللغة العربية وكادت أن تقتلها بتضافر تلك الدراسات الاستشراقية مع الخطط الاستعمارية والتنصيريَّة والتغريبيَّة[4]التي جندت أفرادًا من المستشرقين لإشاعة تلك الشبهات على أنَّها مِمَّا يعوق تطور اللغة العربية، وبالتالي فإنَّها عوائق في مسيرة العرب الحضاريَّة.

و للمثال على ذلك ما قالــه (دوفرين) في تقريـر وضعــه عــام (1882م): (إنَّ أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامَّة تتعلم الفصحى العربية[5])، ولتحقيق تلك السياسات الرامية (لزعزعة

---

1 – نقلاً عن: – إسماعيل أحمد عمايرة: **المستشرقــون ونظرتهم في نشأة الدراسات اللغويَّة** ، دار حنين ، عمان ، الأردن، ط 2 ، 1992م ، ص20

2 – انظر: نذير حمدان: **مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجمعيون)**، الطبعة الأولى، عن مكتبة الصديق – الطائف 1408هـ- 1988 م، ص 137-231.

3 – من بيت شعر لأبي نواس في إحدى قصائده المعروفة بالخمريات. انظر: **ديوانه** ، طبعة دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 7. قال فيه:

دع عنك لومي فإنَّ اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الـداءُ

4 – انظر:– لمجموعة باحثين: **من قضايا اللغة العربية المعاصرة،** (مرجع سابق)، ص 29 و ما بعدها. ففيها ما أكد الرباط الوثيق بين أعمال المستشرقين في مسار حركتهم العامَّة تجاه اللغة العربية والإسلام وبين التنصير والاستعمار والتغريب. وانظر: نذير حمدان: مستشرقون، ص 255، 256.

5– نقلاً عن: محمود محمد شاكر: **أباطيل وأسمار**..، الطبعة الثانية، عن مطبعة المدني، القاهرة، 1972 م، ص 147.

و أنظر: نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العاميَّة**، الطبعة الأولى، 1964 م، عن دار المعارف، القاهرة، ص 55– 77.

مكانة اللغة العربية ومكانة موروثها الذي يحتفظ بمقومات المجد الأصيل، ويدخر للأجيال صورًا مشرقة من تاريخهم التي يطمع الغربيون في طمسها، وكان من المستحيل التفكير في إحلال أي لغة أجنبيَّة أو تشجيعها ولكنه من المعقول في رأيهم التفكير في اللغات العاميَّة العربية وإعطائها فرصة للظهور على مسرح الحياة الثقافية والفكرية، ومن هذا الأمل في نفوسهم بدأت انطلاقة العاميَّة الأولى[1]؛ لذلك فُتّحَتْ المدارس المتخصصة المتشعبة عن الدراسات الاستشراقية في أكثر من بلد عربي لدراسة العاميات الدارجة في شعوب العالم الإسلامي بعامة والبلاد العربية بخاصة[2]، (وركزوا برامج تلك المدارس على التفقه في العاميات خاصة واستمروا على هذا الحال حتَّى أصلوا دراستها في نفوس عدد كبير من العرب الذين أخذوا مبدأ الاهتمام بالعاميات على أنَّه ثقافات إقليمية و بدأوا بنشرها في بلادهم على الطريقة والمنهج الذي سارت عليه مدارس الاستشراق سواء بسواء)[3].

وفيما يأتي إيراد لأهم الشبهات ثُمَّ الرد عليها:

قصور اللغة العربية عن التطور الحضاري وعجزها العلمي.

صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها.

ارتفاع مستواها عن فهم الناس.

التفاوت فيها بين طريقة النطق وطريقة الكتابة[4].

---

1 – مرزوق بن صنيتان بن تنباك: **الفصحى ونظرية الفكري العامي**، عن مطابع الفرزدق 1407 هـ – 1986 م، الرياض، ص 30.

2 – نفسه، ص 30.

3 – نفسه، ص 31.

4 – انظر: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1408 هـ – 1988 م، ص 166 – 187. و انظر: – أنور الجندي: **الإسلام في وجه التغريب (مخططات التبشير والاستشراق)**، دار الاعتصام، القاهرة، (بدون تاريخ). ص 355. وانظر: – نذير حمدان: **اللغة العربية (بحوث في الغزو الفكري، المجالات والمواقف)**، ص 39 – 55. و انظر:– جميل عيسى الملائكة: **اللغة العربية ومكانتها في الثقافة العربية الإسلاميَّة (من قضايا اللغة العربية...)**، ص 129. و انظر: – محمد خليفة الدناع: **العربية الفصحى رباط قومي (من قضايا اللغة العربية)**، ص 168.

وحرص المستشرقون القائلون بهذه الشبهات على أن تكون شبهاتهم هذه من المسلمات، ولذلك انتقلوا من مناقشتها في أساسها والبحث العلمي فيها إلى طرح أساليب ووسائل أخرى للخروج بالعربية من تلك الأزمات التي اختلقوها، ومجمل تلك الوسائل والأساليب فيما يأتي:

كتابة اللغة العربية أو العاميَّة بالحرف اللاَّتيني.

الدعوة إلى العاميَّة، وتقعيدها.

إهمال الإعراب.

الدعوة إلى تطوير اللغة والتصرف فيها[1].

– الرد على الشبهة الأولى:

إن رمي اللغة العربية بالقصور وعدم الكفاية العلميَّة تهمة لا تتفق مع حقيقة اللغة العربية؛ لأنَّها لغة حيَّة عمليَّة لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة[2]، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا الجانب في اللغة العربية: (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيٍّ)[3].

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة عالمية اللغة العربية وأدرجتها في اللغات المعتمدة (كلغة سادسة لشعوب الأرض كافة، يتكلمها ما يزيد على (180) مليون من العرب، ويقدسها المسلمون؛ لأنَّهَا لغة القرآن الكريم ولغة الرسول صلى الله عليه و سلم[4].

---

(1) – انظر: من قضايا اللغة العربية المعاصرة: ص 130، 168، 185، 272، وانظر: نذير حمدان: اللغة العربيَّة..: ص 74 – 97. وانظر: السيد رزق الطويل: "اللسان العربي والإسلام معًا في معركة المواجهة": **من سلسلة (دعوة الحق)**، السنة السادسة، العدد [60]، ربيع الأول 1407 هـ، عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص 47.

(2) – انظر: نايف معروف: خصائص العربية...: ص 74.

(3) – الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر: ص 42.

(4) – انظر: أحمد محمد جمال: "تأمر الأعداء على لغة القرآن"، (**مجلة رابطة العالم الإسلامي، محاضرات موسم 1394/93 هـ**، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص 98. و انظر: إسماعيل العرفي: **اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية**، الطبعة الأولى 1406 هـ – 1985 م، عن دار الفكر ، دمشق، ص 21،

ومِمَّا جاء في قرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة الذي اتخذته بالإجماع في دورتها الثامنة والعشرين لسنة (1973 م): (إنَّ اللغة العربية أدت دورًا مهمًّا في الحفاظ على حضارة الإنسان وتراثه الثقافي، وفي العمل على نشرهما)[1].

ولئن خرجت اللغة العربية من صراعها مع الاستشراق والاستعمار أو كادت أن تخرج بهذه النتيجة فإنها في حقيقة الأمر اللغة الأولى ويكفيها شرفًا أنَّ الله اختارها لكلامه المجيد، وما أصدق ما قاله (حافظ إبراهيم) في رده على شبهات المستشرقين وتلاميذهم على لسان اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظًا وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ

فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسْمَاء لمخترعاتِ

أنا البحرُ في أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغُوَّاصَ عن صدفاتي ؟[2]

أمَّا الاعتراف للغة العربيَّة بأنها حافظت على تراث الإنسان وعملت على نشره فإنَّ ذلك جزءٌ من الحقيقة، وجزؤها الآخر هو ما أسهمت به اللغة العربيَّة من صنع الحضارة الحديثة في مختلف مجالاتها، وما أضافت من ابتكارات علميَّة ومنهجيَّة إضافة لتلك الوحدة السلميَّة الفذَّة بين شعوب المعمورة التي عبَّرَت عنها المستشرقة (زيغريد هونكة) بقولها: (إنَّ كل الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، بتأثير قوة الشخصية العربيَّة من ناحية، وتأثير الروح الإسلاميَّة الفذَّة من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم)[3].

وأمَّا تخلف الأُمَّة الإسلاميَّة عن ركب الأمم الأخرى في ميادين الصناعة والعلوم فليس مرجعه إلى قصور في اللغة العربيَّة وعدم كفايتها العلميَّة كما يدعي خصومها من المستشرقين وغيرهم؛ بل يرجع ذلك لعوامل كثيرة... منها:

– **أولاً**: وهن الأُمَّة... كما لحظ ذلك ابن حزم بقوله: (إنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنَّما يفيد لغة

---

1 – نقلاً عن: أحمد محمد جمال، المرجع السابق ، ص 98.

2 – **ديوان حافظ إبراهيم** ، (ضبط وتصحيح وشرح وترتيب): أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ، عن دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ)، 253/1، 254.

3 – **شمس العرب تسطع على الغرب**، تعريب: إبراهيم بيضون وآخرون: ص 13، 14.

الأُمَّة وعلومها وأخبارها قوة دولتهم ونشاط أهلها وفراغهم، وأمَّا من تلفت دولتهم وغلب عليها عدوها واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر، ورُبَّمَا كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهدة معروف بالعقل ضرورة)[1].

وقال أحد المفكرين المعاصرين في هذا المعنى: (الأُمَّة العزيزة تعتزُّ بلغتها وتحرص على استقلالها كما تحرص على استقلالها العسكري والاقتصادي سواء، وتحترم قوانينها اللغويَّة وتتمسك بها)[2].

– ثانيًا: ما قام به الاستعمار في سبيل الحيلولة دون ممارسة اللغة العربيَّة وتغليب لغة المحتل عليها وتشجيع اللهجات العاميَّة، حيث رسم دهاقنة الاستعمار من أمثال (دنلوب)[3] سياسة التعليم على أساس الحيلولة بين اللغة العربيَّة وبين أن تصبح الأداة الثقافية لأبناء الأُمَّة الإسلاميَّة ولغة العلوم والتقنية؛ (فحلت مصطلحات أجنبية عن دينها ولغتها في جوانب: الحكم، والقضاء، والتعليم، ولغة الحياة العامَّة والسلوك، وغيرها متابعة بذلك سنّة الإبعاد عن كتب الشريعة وفقهها بتحنيط لغتها. وبذلك يستحكم الانفصام بين المسلم وتراثه، ليكون رسمًا لا معنى له، وصورة لا حقيقة له)[4].

ولعل من الشواهد المعاصرة على صلاحيَّة اللغة العربيَّة لتدريس كافة العلوم؛ ما يحدث في الجامعات والمعاهد التي اتخذتها أداةً للعلم والمعرفة وأفادت منها، فعلى سبيل المثال مضى على تأسيس كلية

1- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد: **الإحكام في أصول الأحكام** ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان ، ص 32/1.

2 – محمد بن سعيد رسلان: **فضل العربيَّة ووجوب تعلمها على المسلمين** ، مكتبة البلاغ ، ط 2 ، المنوفية ، جمهورية مصر العربية ، 1426 هـ / 2005 م، ص 28.

3 – لمزيد من الاطلاع على هندسة (دنلوب) الماكرة وآثارها على اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، راجع: محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار: 166، 171، 227، 257، 258 259، 442، 443، 444، 558، 559، 560،وانظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر: ص 217 – 222، . وانظر: نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود: **المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي (دول مجلس التعاون)**، الطبعة الأولى 1414 هـ، وأساسها رسالة ماجستير في الثقافة الإسلاميَّة نوقشت عام 1411 هـ في كلية الشريعة بالرياض: ص 186 – 197.

4 – بكر أبو زيد: **فقه النوازل**، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1404 هـ ، ص 102، 103، (من رسالة بعنوان: المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأوضح اللغى؛ دراسة ونقد).

الطب في دمشق ما يزيد على سبعين عاماً وأساتذتها يدرسون الطب باللغة العربيَّة[1]، وقد (أغنوا خزانة الكتب العربيَّة بما لا يقل عن ثمانين مجلداً في فروع الطب المختلفة)[2].

كما أن كثيرًا من الأساتذة الذين جربوا التدريس بالعربيَّة لا في دمشق وحدها وإنَّما في القاهرة والرياض وبغداد لم يجدوا عائقًا يذكر من اللغة ذاتها، وإذا كانوا قد اصطدموا بصعوبات فهي خارج الإطار اللغوي[3]، بل (استطاع عدد من المخلصين في هذا العصر أن يثبتوا قدرة اللغة العربيَّة على استيعاب العلوم، فوضعوا عددًا من الكتب العلميَّة تناولت شتى الموضوعات، وقدمت أمثلة لقدرة اللغة العربيَّة على التعبير عن دقائق العلوم)[4].

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في هذا المضمار فإنَّه ينبغي أن تتسم حركة التعريب بالصفة الشموليَّة فلا تقتصر على تعريب الحرف وتنسى مرتكز التعريب وهي العقيدة الإسلاميَّة وليست القوميَّة العربيَّة[5] حيث إنَّ العقيدة الإسلاميَّة هي السر في انتشار اللغة العربيَّة وسيادتها، ومن جهة أخرى فإنَّه ينبغي أيضًا الاهتمام بالتعريب كأسلوب حياة ووسيلة تميُّز يحفظ للأُمَّة شخصيتها وهويتها الذَّاتيَّة في كافَّة ميادين الحياة.

---

1 – انظر: مازن المبارك: **اللغة العربيَّة في التعليم العالي والبحث العلمي**، مؤسسة الرسالة ودار النفائس– بيروت 1973، ص 43

2 – نفسه: ص 43، 44.

3 – انظر: أحمد مطلوب: **دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات**، عن دار البحوث العلمية، الكويت 1395 هـ/ 1975 م، ص 25 – 53. وانظر:– نائف معروف: **خصائص العربيَّة** ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ،ص 80، 81 .

4 – مازن المبارك: المرجع السابق نفسه: ص 47، وانظر: – شحادة الخوري: **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب** الطبعة الأولى، عن دار طلاس، دمشق، 1989 م، ص 185 – 193. فقد أورد في الصفحات المشار إليها آنفًا ثلاث تجارب تاريخيَّة أثبتت قدرة اللغة العربيَّة على استيعاب مسيرة الإنسانية الحضارية؛ وكانت التجربة الأولى في القرن الثاني للهجرة...، أمَّا التجربتان الأخريان فكانتا في العصر الحديث إحداهما في مصر وبيروت، إذ بدأ التعليم الطبي فيهما باللغة العربيَّة، والثانية بدأت في دمشق، وهي المشار إليها أعلاه.

5 – مِمَّا يؤكد العلاقة الفكريَّة بين اللغة العربيَّة والإسلام ذلك التلازم بينها وبين خطاب الإسلام وانتشارها بانتشاره وضعفها بضعف أمته، ويؤكد هذه الحقيقة من جهة أخرى ما وُجِّه من نقد حاد للقومية العربيَّة عندما (أغفل الدَّاعون إلى إحياء القوميَّة العربيَّة جانب اللغة). محمد خليفة الدناع: العربيَّة الفصحى رباط قومي (من قضايا اللغة العربيَّة): ص 165.

– الرد على الشبهة الثانية:

إنَّ صعوبة النطق وصعوبة الكتابة في اللغة العربيَّة شبهة فيها كثيرٌ من التعسف؛ لأنَّ قواعد النحو والصرف وطريقة كتابة الحرف العربي وضبطه بالشكل والإعجام من ناحية[1]، وتحقيقه في مجال الأداء الصوتي[2] من ناحية أخرى، خُدِمَ ذلك كله بعبقرية وبراعة أظهرت تميُّز اللغة العربيَّة على سائر اللغات، وحدَّدَت دلالة الألفاظ على المعاني بغاية الدقّة، (فقد عكف علماء الأُمَّة على اللغة العربيَّة وعلومها، واستنبطوا قواعدها، ووضعوا أصول نحوها وصرفها حتى تمت الضوابط والمقاييس في غاية الوضوح والبيان مِمَّا جعلها لغةً علميَّة مكتسبة يسهل حذقها وتعلمها على أبناء اللغة العربيَّة الناشئين)[3] ، (وعلى أبناء غير العربيَّة الذين دخلوا دين الإسلام أفواجًا، فانتشرت اللغة بينهم كما لم تنتشر لغة من قبل سرعة ويسرا. ولم يكن أبو الأسود الدؤلي، والخليل ابن أحمد، وسيبويه، والمبرد، وأبو علي بن فارس، والثعالبي، وابن سيده، والزبيدي... وغيرهم كثير علماء في اللغة يتشدقون في المجتمعات بعلمهم، أو سعيًا لرزق صغير أو طلب لمنصب... بل كان كل منهم يهب حياته في خدمة علم من علوم العربيَّة يتقرب به إلى الله عز وجل، وهذه غايتهم الأولى ! فدانت لهم العربيَّة وذلل لهم علمها)[4].

وبالنظر إلى علماء التجويد فإنَّهُم كما قال أحد الباحثين: (حققوا في مجال الأداء الصوتي القرآني ظاهرة نادرة الحدوث في أيِّ لغة من لغات العالم، وإليهم يرجع الفضل في حفظ النطق العربي الفصيح سالمًا – إلى حد بعيد – من تأثيرات التطور اللغوي)[5].

1– انظر: نذير حمدان: اللغة العربيَّة: ص 44، 45.

2 – انظر: محمد مصطفى بن الحاج: عالمية اللغة العربيَّة، (من قضايا اللغة العربيَّة)..: ص 217.

3 – انظر: صلاح عبد المقصود وحسن علي ربا: **لغة القرآن بين مكر الأعداء... وحرص الأبناء**؛ تحقيق: نشر في مجلّة الأُمَّة (مرجع سابق)، العدد [43]، رجب 1404هـ: ص 59 تحت عنوان: (مجمع اللغة العربيَّة لماذا ؟).

4 – نفسه: ص 59.

5– محمد مصطفى بن الحاج: عالمية اللغة العربيَّة: ص 271

أمَّا صعوبة التعلم وتدريب اللسان حتى يلين لقواعد اللغة وتصاريفها فإنَّ الصعوبة محدودة وليست عائقًا لمن أراد التعلم؛ ثُمَّ إنَّ الصعوبة أمرٌ نسبي يختلف من شخص لآخر وتحكمه ظروف عدّة منها ما يعود إلى المتعلم ذاته، ومنها ما يعود لغيره من معلم أو منهج تعليم[1].

وينبغي أن يذكر أنَّ ما يؤخذ على اللغة العربيَّة – في هذا الصدد وغيره – هو في واقع الأمر من مزاياها، فمثلاً مثنى الكلمة العربيَّة يختزل في كلمة واحدة مثل رجل مثناها: رجلان، في حين يكتب في اللغات الأخرى كلمتين[2].

خلاصة القول: إنَّ هذه الشبهات التي أظهرها بعض المستشرقين ونظَّرُوا لها في دراساتهم اللغويَّة بدعم من الدوائر المعادية للإسلام، وبخاصة الاستعمار والصهيونية وقبلهما التنصير، لا ترتكز على أساس ولا يوجد لها مبرر من حيث منطلق الشبهة في أساسها، ولذلك فإنَّ مارتبوا عليها من حلول تمثلت في الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني والعاميَّة... وغيرهما مِمَّا سبق ذكره كل ذلك يسقط بسقوط شبهاتهم، ويكفي هنا الإلماح لأبرز الأهداف من تلك الحلول فيما يأتي:

1 – إهمال القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف لغة وأصلاً وتشريعًا[3].

2 – هجر لتراث المسلمين واجتثاث لوجودهم الفكري والثقافي[4].

---

1 – انظر: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة: ص 167 – 170، ذكر المؤلف أوجه الصعوبة في تعليم اللغة العربيَّة وأكد بأنّ الصعوبة تعود لعرض النحويين لقواعد اللغة وما وقع في ذلك من خلط بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي وما ترتب على ذلك من محاكات لفظية وجدال وخلافات امتلأت بها كتب قواعد اللغة العربيَّة. والحقيقة أن القواعد الأساسية لنحو اللغة العربيَّة ميسورة وسهلة، وهذا ما شهد به المستشرق (مارس) في مجلة التعليم الفرنسية 1930 – 1931 م، إذ قال: (من السهل تعلم أصول اللغة العربيَّة فقواعدها التي تظهر معقدة لأول نظرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لايكاد يصدق فذو الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة وبجهد معتدل). نقلاً عن: نايف معروف: خصائص العربيَّة: ص 40، 41

2 – انظر: المرجع السابق نفسه: ص 43.

3 – انظر: نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامّية وآثارها في مصر** ، دار الدعوة الإسلامية للنشر و التوزيع ، مصر ، ص 203إذ تقول: (يريد أن يباعد بيننا وبين القرآن ويحرمنا من تلك النعمة التي خصنا الله بها، وهي معرفتنا للغته والقواعد التي عليها) في سياق كلامها عن دعوة المستشرقين للعاميَّة في مصر وترك الفصحى متذرعين بصعوبتها.

4– انظر: نذير حمدان: اللغة العربيَّة..: ص 78، 79،

ذلك أنَّ المستشرقين العاملين في خدمة الدوائر المعاديَّة للأُمَّة الإسلاميَّة أدركوا (قوة ارتباطها بالدين والثقافة الإسلاميَّة...)[1]، وأنها من أقوى أسباب الوحدة الإسلاميَّة، وهو ما عبَّرَ عنه المستشرق الإنجليزي (جيب) بقوله: (إنَّ من أهم مظاهرها الحروف العربيَّة التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي واللغة العربيَّة التي هي لغته الثقافية الوحيدة، والاشتراك في الكلمات والاصطلاحات العربيَّة الأصل)[2] ، وعملوا من أجل ذلك على إثارة الشبهات في حياض اللغة العربيَّة ودعوا إلى الكتابة بالحرف اللاتيني حينا وإلى العاميَّة حينا آخر، أو الجمع بينهما أو تطوير اللغة سواء بإهمال الإعراب، أو التصرف فيها وتطويرها على نحو مِمَّا حدث للغة اللاَّتينيَّة، وذلك كله يهدف لما سبق ذكره.

وقد نبه الرافعي إلى حملة الاستعمار على اللغة العربيَّة بقوله: (لا جرم كانت لغة الأُمَّة هي الهدف الأول للمستعمرين؛ فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلاَّ من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضية ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء)[3].

ومِمَّا يؤكد اضطلاع الاستشراق بالأهداف الاستعمارية في إطار اللغة العربيَّة وإسهام المستشرقين فيما فرضه الاستعمار من دعوات مضللة هدمت اللغة العربيَّة وعملت على انحسارها من أرجاء العالم واستبدلتها بالحروف اللاتينية أو اللغات واللهجات المحليَّة ما أبداه المستشرق الألماني (كامغماير) من سرور حينما رأى غياب السمت الإسلامي، وذهاب اللغة العربيَّة والحرف العربي من تركيا فقال في شماتة واضحة[4]: (إنَّ قراءة القرآن العربي، وكتب الشريعة الإسلاميَّة قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينيَّة بالحروف العربيَّة)[5].

1- انظر: مرزوق بن صنيتان بن تنباك: الفصحى ونظرية الفكر العامي: ص 29

2- أين يتجه الإسلام: ص 20، نقلاً عن: السيد الطويل: اللسان العربي والإسلام..: ص 102،

3- الرافعي : وحي القلم 33/3، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ).

4 - انظر: السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام..: ص 103

5 - المرجع السابق نفسه: ص 103.

خاتمة

يمكن تقديم جملة استنتاجات في ضوء ما تقدم من مادة منها :

– لقد كان من أهم النتائج المثيرة التي تمخضت عن الموضوع و أكدت عليه هو خطورة الغزو الفكري على اللغة العربية .

– شكل الاستشراق نواة تغذية الغزو الفكري ، و المنجم الذي يمد العولمة الثقافية بما تحتاجه من معاول لهدم مرتكزات الهوية الوطنية ، و أسس اللغة العربية على وجه الخصوص .

– يشكل القرآن الكريم حصنا منيعا لمواجهة الأخطار المتجددة على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية، كما يعتبر في الوقت نفسه وعاء حفظ للغة العربية ، الأمر الذي يتطلب جهدا متواصلا لإقامة مراكز لتحفيظ القرآن ، و أخرى لمدارسته و تفعيل مقاصده .

– تتطلب مواجهة الغزو الفكري و الثقافي تسخير ترسانة من وسائل الإعلام المختلفة – المرئية و المسموعة و المكتوبة – لنشر اللسان العربي صيانة له من التحديات التي يواجهها .

– تستدعي الظروف الراهنة إقامة دورات علمية و إعداد دراسات نقدية تقويمية لمصطلحات الازدواجية و الثنائية اللغوية ، بغية الكشف عن طبيعتها ، و مسلماتها و آلياتها المتجددة بين الحين و الآخر ، مستجلية آثارها على الفرد و المجتمع ، و تبسيط دلالاتها ، و تعميم نشر تداعياتها على جميع المؤسسات التعليمية .

المراجع :

- إسماعيل أحمد عمايرة: **المستشرقــون ونظرتهم في نشأة الدراسات اللغويَّة** ، دار حنين ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1992م.

- أحمد درويش : **إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية** ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007م.

- أحمد بن عبد الله الباتلي : **أهمية اللغة العربية و مناقشة دعوى صعوبة النحو** ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى.

- الإبراهيمي محمد البشير : **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ، جمع و تقديم نجله : احمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1997م ، بيروت ، لبنان ، ج 4 .

- بسام العسلي: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي**، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1986م.

- جيرار ليكلرك : **العولمة الثقافية " الحضارات على المحك "** ، ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 2004 م.

- خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830–1871)**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992م.

- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : **أجنحة المكر الثلاثة**، دار القلم، دمشق، ط7، 1994 م.

- عبد الصبور بومرزوق : **الغزو الفكري أهدافه و وسائله** ، مؤسسة مكة للطباعة و النشر ، د.ت . للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

- عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج3

- شريف يونس : **سؤال الهوية : الهوية و سلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة** ، سيريت للطباعة و النشر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 1999م.

- مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع**، ترجمة: عبد الصبو. شاهين ،دار الفكر ،دمشق، سوريا، 1985م.

- مالك بن نبي : **إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1 ، 1380 هـ / 1969م.

- محمد عمارة : **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية** ، نهضة مصر للطباعة و النشر، ط1، القاهرة ، جمهورية مصر، 1999م.
- محمد عمارة : **معركة المصطلحات بين الغرب و الإسلام**، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،الطبعة الأولى ، دون تاريخ للنشر.
- محمد عمارة : **الغزو الفكري وهم ... أم حقيقة ؟** ، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية ، الأزهر الشريف ، جمهورية مصر العربية ، د. ت . للنشر.
- محمد عمارة : **بين العالمية الإسلامية و العولمة الغربية** ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ، د. ت . للنشر.
- محمد بن سعيد رسلان: **فضل العربيَّة ووجوب تعلمها على المسلمين** ، مكتبة البلاغ ، ط 2 ، المنوفية ، جمهورية مصر العربية ، 1426 هـ / 2005 م.
- محمود حمدي زقزوق: **الاستشراق والخلفية الفكرية**، دار المعارف ، د.ت ، للنشر.
- نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامّية وآثارها في مصر** ، دار الدعوة الإسلامية للنشر و التوزيع ، مصر.
- يوسف الواعي : **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية** ، دار الوفاء ، المنصورة ، القاهرة ، 1988 ، جمهورية مصر.

CREER :
Méthode & Processus

Par :

Dr. Younes BENMAHAMMED

Maître de Conférences (Sciences du Langage)

Faculté des sciences humaines et sociales

Tronc Commun des sciences humaines

Université de M'Sila (Algérie)

CREER :
Méthode & Processus

Introduction :

Processus de Découverte des Lois et Maximes Universelles dans les Sciences Dures & les Sciences Humaines

La question de lien entre sciences dures et humaines n'a cessé de se poser avec insistance ce qui a donné à notre essai-ci sa raison d'être, en ce sens qu'il s'efforce d'établir une relation étroite entre les deux volets de la connaissance humaine (sciences dures et humaines), du moins en réflexion générale et en esprit global animant le chercheur-philosophe-épistémologue. Aussi, une précision méthodologique de terminologie (axiome, postulat, définition, théorème, théorie, vérité, fait, intuition, hypothèse, assomption, présomption, conjecture) est-elle de mise pour déterminer clairement le cadre du travail du chercheur dans son processus de Création, découverte et invention dans tous les domaines des sciences dures ou des sciences humaines. Cette vison œcuménique cible l'ouverture d'esprit et la fécondation interdisciplinaire au bénéfice du genre humain sans exclusion ni ostracisme.

Rôle du Créateur vis-à-vis de la nature et de l'Homme :

Le Vrai Découvreur et le véritable savant encyclopédique et même spécialiste qui ne laissent rien au hasard se doivent de

chercher la Vérité sans ménage ni hypocrisie de quelque ordre que ce soit, tant que le Destin Humain est en jeu et la Création Humaine et Humaniste en perpétuel mouvement et en continuel Renouveau. C'est alors que se rejoignent superbement toutes les Sciences ou à vrai dire toutes les branches diverses (dans leur diversité unique –Unité & Singularité) de la Science Unie et du Savoir engendrant l'Avoir, l'authentique Avoir, Unique débouchant sûrement et durablement sur la Joie passionnée et sur la passion heureuse dans la vie de l'Homme Indépendant et Créateur fondant et se réjouissant de son Etat d'Homme donc forcément Humain & Humaniste. Cette petite introduction, ô combien importante, nous fait cheminer sereinement vers l'Esprit rassembleur des Vérités dans tous les champs scientifiques au sens le plus large qui embrasse tout ce que la Raison humaine peut et pourrait atteindre de l'infiniment petit à l'infiniment grand sans rechigner à le penser et à l'intellectualiser théoriquement ni tarder de le concrétiser sur le terrain cher au matérialiste non sans quelconque raison néanmoins ajustée. D'où la Lumière apportée par les Sciences Dures aux Sciences Humaines (et Sociales –dans notre système de pensée l'Homme ou son étude englobe tout sans exception jusqu'à l'Univers dont IL EST LE MAITRE ABSOLU ET FIN CONNAISSEUR pour le plus Grand Bien et le Souverain Profit des Hommes). Cette caractéristique éclairante et renouvelée des Sciences de la

Nature Physique (Mathématiques, Physique, Astronomie allant de pair avec la Biologie, etc.) singularise et facilite la tâche plus ou moins dure mais noble et honorifique de la recherche de la Perfection dans tous les champs de la Pensée (Nature & Homme) autant dans la Description que dans l'Explication en bloc et en détail, couronnées de l'Argumentation précise et auréolées soigneusement par la Compréhension globale et globalisante nourrie du souci d'Originalité et de Création sans cesse. Par conséquent, les Sciences Humaines avec leurs importantes et passionnantes branches diverses et variées se voient hautement illuminées par les projecteurs inébranlables et le Soleil intarissable des Principes et Lois des Sciences Dures et surtout, cerise sur le gâteau, à la faveur de leur Méthodologie et leur Démarche Epistémologiques alimentées du sein éternel et doux de la Sainte Philosophie.

D'autre part, nous pouvons avancer clairement, ce qui est en fait évident et facile, que le Déterminisme souple et rigoureux des maximes et des lois physiques basées essentiellement et foncièrement sur les notions et règles mathématiques donne corps et pourvoit âme à l'étude des sciences dures, pourvu que la répétition, qui ne s'y trouve qu'à un degré minimal acceptable dans cette vie pleine de mal et de désordre, ne soit pas la règle, loin s'en faut vu la diversité et la multitude des lois universelles dans (la science dure) ; tandis que l'inverse ou presque, -car il existe bel et bien des lois de l'Homme dans sa

réflexion –action de la raison, psychologie de l'âme, etc.- et dans son action dans la réalité –fondée sur des principes moraux et autres-, se voit œuvrer dans les Sciences Humaines dans la mesure où le dégoût né de la réitération des phénomènes –et pas seulement- mais également dans leur explication répétée à tomber par terre, donnant ainsi l'impression de tourner en rond sans cesse tel qu'un animal –et l'Homme représente le Roi et est le Prince par excellence de l'Univers tant en compréhension qu'en action –pratique—, ruminant la nourriture maintes fois. Seulement, la Méthode scientifique de Découverte Originale notamment s'appuie sur les Principes de la Question en premier à travers l'établissement de Bons Questionnements pour passer en fin de compte aux Bonnes Réponses ou du moins de solides éléments de réponses menant certainement à de réelles solutions. Cela revient à dire que l'Opération de Découverte Scientifique au sens large du terme n'est pas tant la mémorisation des technicités (des formules par exemple et des exercices travaillés et résolus) mais principalement et essentiellement la Compréhension du fonctionnement des Principes avec les Idées qu'ils véhiculent et impliquent, ce qui conduit directement ou indirectement, consciemment ou inconsciemment à la technicité spéciale qui n'est pas en fait une fin en soi mais le corollaire indiscutable de la Loi et du Principe Général encadrant, orientant et canalisant le spécial. Nous croyons fermement que de cette démarche rationnelle robuste

et infaillible que naissent abondamment et avec fécondité les Nouveaux Principes et s'engendrent sans fin les Idées et Vérités Originales s'échappant pour ainsi dire à la lassitude de la répétition qui ronge l'Homme et surtout la Science.
Principes Générateurs & Idées Profondes avec leurs implications
Qui plus est, cela s'inscrit naturellement dans l'imprégnation de l'Idée centrale et dans l'abreuvage à la source du sujet afin d'inventer et de rénover d'un point de vue non classique mais Supérieur créant par la suite de nouvelles perspectives de réflexion et d'application. Ainsi, les équations et formules deviennent-elles claires et également banales et triviales dans une certaine mesure, bien qu'elles soient primordiales étant le produit des vrais principes, étant donné que l'Idée Originale nouvelle ou du moins le principe qui les causent directement leur fait de l'ombre positive dans le but de les élargir davantage à l'infini. De même est importante et cruciale l'interaction de l'Hypothèse Supérieure et de l'Expérimentation, laquelle Hypothèse dirige, inspire, corrige et rectifie le tir de l'expérience nécessaire sans nul doute mais insuffisante, handicapée et aveugle sans le secours ô combien noble et précieux de l'idée ou hypothèse engendrant sans faute la Véritable Loi et la Meilleure Maxime Juste. Ce qui s'explique dans le grand principe philosophique et naturel du besoin indubitable des sens à la Raison Sublime et Ultime dans la recherche de la vérité absolue faisant la part des choses donc

entre l'hypothèse (la Théorie) et l'expérimentation (la pratique) en (re)mettant cette dernière à sa juste place ordinaire et normale tout en assignant à la première la Mission Royale et le Rôle Majeur de la formulation des idées et de l'émission d'Hypothèses puis dans l'accompagnement de l'expérience à travers l'observation méticuleuse et complète dans la mesure du possible sans oublier l'interprétation des faits et des résultats sujets d'expérimentation. D'ailleurs, c'est bel et bien ce qui constitue la différence abrupte entre, d'une part, l'observateur et l'expérimentateur et même le penseur et l'émetteur normaux de l'Hypothèse, et d'autre part, l'Original Génie créant du néant à ses aises. Il en va en outre sans le dire que l'Inspiration Rationnelle à l'acception la plus ample du mot (LA PENSEE HUMAINE) qu'exerce l'Esprit Humain aussi bien dans le domaine des Sciences Humaines et notamment les Belles Lettres -la Littérature- que dans le champ des Sciences Dures, est identique dans son opération et processus spirituels (de l'Esprit), sauf que chacune des sphères (littéraire & scientifique) se réserve ses propres caractéristiques sans perdre pour autant l'Ame Créatrice qui forme leur point commun.

En quelque sorte, c'est la mémoire consciente dans l'inconscient rationnel qui opère excellemment bien via le stockage actif et positif des informations avec plus ou moins de compréhension sans forcément les classer ni les analyser à fond, avec néanmoins un regard critique et pénétrant s'intéressant à la globalité du

sujet, en vue de passer ultérieurement et en temps voulu à la décortication/décorticage détaillé et progressif des données vers l'Invention et la Création escomptées. Il en va en fait de même de la langue ou de toute la Connaissance au sens où tout ou presque la plupart des renseignements paraissent de prime abord flous et incompris/non appréhendables, mais TOUT devient lisible, limpide et clair, à des degré, juste au contact rationnel et critique de l'habitude pour ne pas dire de la répétition même si elle est bénéfique.

En revanche, le point crucial dans toute recherche scientifique est la compréhension des opérateurs idéels et des règles principielles tramant tout le tissu harmonieux de la Vérité dans l'intérêt culminant de l'inventivité originale. Nous avons insisté sur ce point car il représente la clé et le couronnement, en passant par l'entretien et l'accompagnement libérateurs à chaque instant du processus découvreur, de toute la démarche scientifique se voulant créatrice et révolutionnaire. Cela ne fait naître en fait que les corollaires naturels et dociles à la Pensée Libre et à la Critique constructive cherchant à perfectionner et les Idées et leurs concrétisations. Car la Nature dicte ses Lois aux Esprits perspicaces, loin des âmes étourdies et des esprits simples et simplistes, en se livrant à leur bien vouloir rénovateur et en se réglant sans rechigner à leur Génie incroyable et à leur talent extraordinaire. Tandis que le vrai inventeur des Principes et Créateurs des Idées dès l'origine et à la source s'affaire

joyeusement et s'adonne librement au creusement fructueux dans le fin fond de l'Univers et de l'Homme, ne faisant éclore que fleurs et verdure, l'homme normal se vautre dans les banalités de la vie et le chercheur trivial, quoique louable pour son effort scientifique à sa mesure limitée, se répète dans sa technicité des équations et d'autres outils de travail. Nous en donnons un exemple moderne dans la personne d'Albert Einstein avec sa Théorie de la Relativité Spéciale en 1905 lorsqu'il effectuait comme à l'accoutumée « des expériences de pensée » en s'intéressant au principe du non poids en chute libre (celui qui tombe en chute libre ne sent pas son poids) & l'appréhension là aussi profonde et épistémologique du lien entre l'Energie et la Masse ne les considérant pour ainsi dire que les deux face de la même monnaie (E=MC^2), et son introduction technique par la suite de l'équivalence des dimensions ou le calcul dimensionnel venant équilibrer l'équation technique après la maîtrise matricielle du Principe et de l'Idée. Voilà l'originalité authentique !!!

Mathématiques & Physique :

Il faut absolument dire un mot sur la manière ou l'outil d'acquérir des Connaissances par le biais de la Raison/réflexion ou les sens/perception au sens où c'est la Raison directrice qui sert de dirigeant et de guide des sens dans leur contact avec le monde extérieur afin de le décrire, le décoder et l'expliquer en bloc et en détail ce qui permet à vrai dire à l'Esprit Humain

Découvreur et Inventeur par excellence et par essence d'accéder aux Lois Universelles de l'Univers matériel et du monde spirituel –et également matériel- de l'Homme. Par conséquent, le Savoir n'est autre que le mariage intelligent de l'Esprit/l'Ame/la Raison suprêmes, d'un côté, et des sens, d'autre côté, étant la porte intéressante et humble, cependant non indispensable loin s'en faut, pour les vérités abstraites universelles qui ne dépendent que de l'Esprit humain rationnel usant utilement de l'Imagination fructueuse dans la Science dure et dans l'Art (la Littérature, etc.). Toutefois, celui qui est privé des facultés sensorielles trouvera difficile et même impossible la Découverte des lois du Monde Extérieur Physique quoique la Raison directrice lui montre grosso modo le chemin global de cet Univers dans ce qu'il est gouverné par des Maximes Immuables en forme d'Equations gérées par des Principes Supérieurs, et organisé en Harmonie reflétant toute la Beauté dont l'Homme est le Noble Maître. D'où l'importance de cet ingénieux mixage entre Esprit & Matière pour la Plénitude complète de l'Homme. Par ailleurs, ce débat nous mène directement à la différence entre les Mathématiques considérées à raison abstraites et source de toutes les autres filières scientifiques au sens le plus large possible (tout ce qui tombe sous le pouvoir inouï de la raison humaine aussi bien abstrait que matériel), d'un côté, et la Physique, sublime Physique, dans tout ce qu'elle a de matériel sous l'emprise des sens mais

également dans ce qu'elle emploie de formules mathématiques abstraites guidant et confirmant en quelque sorte l'observation et l'expérience ou –plutôt- l'inverse attendu que la Théorie en vérité précède l'Expérimentation subissant alors la force de la première maîtresse, de l'autre, et le tout couronné par les Idées et leur Rayonnement généreux et large.

Dans cet Esprit judicieux et prodigieux se produisent les Découvertes Géniales ou du moins nait la Réflexion Originale qui change à la fois la manière de voir les choses (Méthode/Méthodologie/Mode d'Analyse et de Critique) et leur réalisation sur le terrain (Pratique passionnée et passionnante). C'est tout l'intérêt de la Passion accompagnant le Processus progressif et long de l'Originalité Découvreuse, d'autant plus que la séparation entre Raison abstraite et objective et émotion n'est valide que dans le cas où cette dernière s'immisce négativement dans la discussion rationnelle pour la perturber ou l'infantiliser versant pour ainsi dire dans le sentimentalisme mortel et la sensiblerie naïve et mortifère qui non seulement dévient de la route de la Vérité mais aussi détruisent toute forme de Civilisation loin d'en construire ou d'en préparer (aucune). Autrement dit, les Mathématiques n'ont pas besoin de partenaire dans leur raisonnement à l'exception de quelques figures géométriques pensées en fait a priori (Idées Innées) et observées dans l'Univers, tandis que la Physique a le devoir de prendre attache avec le Réel en utilisant des équations

mathématiques afin d'acquérir la Science. Chose qui est si similaire à la différentiation entre Théorie & Pratique, les deux s'intégrant sous l'Intellect et dans les Idées Fécondes. Notons au passage que la Géométrie quoiqu'elle soit la plus valeureuse et puissante branche des Mathématiques en comparaison avec l'Arithmétique, est sujette à interrogation/«interrogatoire» philosophique-épistémologique visant bien entendu les fondements théoriques et les principes idéels qui la créent et soutiennent. Dans cette perspective d'abstraction, la Géométrie & l'Arithmétique se rejoignent dans les Idées se passant allègrement et royalement du Monde Physique (des Sens). Aussi, voit-on bien que les Lois Universelles notamment celles de la Nature sont certainement SIMPLES, PROFONDES et FECONDES poussant ainsi le Chercheur invétéré à la simplification autant que faire se peut d'autant plus que la Nature préfère de loin et privilégie la moindre action & le moindre temps, c'est-à-dire le Meilleur d'Action (Effort) et de Temps ou LE PRINCIPE DU MINIMUM RICHE EN TOUT ; cela n'est rien contradictoire avec l'amour perpétuel, évolutif et inconditionnel de l'Effort source et référent inégalés de la CIVILISATION CREATRICE, en ce sens que l'Esprit Humain Créateur tend à la fois au Meilleur avec le MINIMUM dans tout processus entrepris et prend ses responsabilités, toutes les responsabilités, qui lui incombent sans s'y dérober ni s'en détourner sous forme d'indifférence funèbre ou de peur

infantile. Il en résulte la règle d'or éternelle dans l'équation harmonieuse suivante :

La Moindre Action (Réflexion & Pratique) + le Goût du Travail et le Plaisir –à tout le moins le sens de la Responsabilité– = la Découverte de Nouveaux Principes nés dans l'Originalité Incessante

N'est pas non plus, dans ce contexte la question de la Découverte (de ce qu'il y a donc auparavant,) d'une part, et de l'invention de ce qu'il n'est pas ou n'était pas en ce qui regarde toutes les sciences et surtout les Mathématiques, d'autre part ; nous laissant ou permettant d'affirmer et de conclure qu'en fait (1) tout est sous l'emprise de la CREATIVITE HUMAINE PAR EXCELLENCE lui conférant le Pouvoir et le Statut de CREATEUR (par définition et par efficacité –but atteint–) ; il s'ensuit alors automatiquement que toute 'découverte' est effectuée Grâce à la Raison Ultime Indépendante de l'Homme Créateur Original, même s'il s'agit de Vérités déjà existantes sans l'intervention du Raisonnement Humain inventif et créatif qui les illumine et les met au grand jour. (2) Tout l'Honneur revient en conséquence à l'Intellect de l'Homme Créateur.

LE BUT ULTIME EST DE RENDRE CLAIR, FACILE ET COMPREHENSIBLE, AVEC PROFONDEUR, DANS L'APPREHENSION ET DANS L'APPLICATION LE CONTENU DE CHAQUE SCIENCE EN VUE DE LA CREATION POSTERIEURE NE POUVANT CESSER A JAMAI

En outre, la répétition des grands principes n'est pas en contradiction avec l'économie riche, simple et profonde des Principes en général en ce sens que naturellement les axiomes/postulats/principes fondent grâce à leur simplicité, profondeur et richesse la vraie Science, chose qui vaut d'ailleurs pour les sciences dures et les sciences humaines, à ceci près que les premières possèdent une saveur de génie inouïe bien que les secondes ne soient pas en reste de beauté non exempte de fadeur de temps en temps et parfois souvent !!! Autrement dit, les grands Principes Universels revêtant donc le caractère Scientifique et Rationnel engendrent dans leur Economie Riche et avec leur Profondeur Simple et/ou Simplicité Profonde, d'autres Vérités et créent de nouveaux et divers Principes. Seulement, la répétition dans les sciences dures (mathématiques & physique notamment) même pour celui qui est affûté en la matière depuis belle lurette n'en est pas une, vu le sentiment de bonheur que procurent les lois universelles. Néanmoins, autant il est totalement vrai que l'Invariance des Principes Immuables est source inépuisable d'immenses joies

autant la fadeur en résultant est de mise. Alors c'est le non changement des Principes Fondamentaux (dans l'Univers et l'Homme) versus l'instabilité du changement continuel sentie dans la perpétuelle variance de potentiels principes quoique introuvables ou difficilement à vrai dire dans la réalité des choses, donnant en quelque sorte raison au cours normal de la Nature tant qu'elle n'ennuie pas, le moindre du monde, la condition humaine ni lui nuit ; encore une fois, cela va de pair bien évidemment avec la fadeur répétitive du même et seul principe chapeautant tous les résultats et toutes les conséquences théoriques et pratiques. La solution de ce paradoxe et de ce dilemme (Principes : unité/fadeur/changement) ne peut être que la multitude/multiplicité des Grands Principes Universels, revêtant et reflétant (dans) le changement pour ainsi dire le travail harmonieux de la Nature grâce à l'Esprit Humain incessant et original et à la faveur de son Génie ininterrompu, causant donc obligatoirement l'élimination de l'ennui et de la torpeur logés dans le rabâchage même juste des mêmes belles Règles et Maximes fussent-elles Eternelles. Voilà, après exposition de tous les côtés de la problématique (Immuabilité/Changement/Ennui), à notre avis la coupe en deux de la poire rationnelle. Aussi, les manières intelligentes d'Interprétations traduisent-elles forcément la largeur d'Esprit dans leurs multiplicités et diversités, rejetant l'ennui et la fadeur, et rendent bien compte de la richesse du Principe vu de divers

points de vue justes et clairs et pas seulement pour le plaisir de faire joli ou de fuir en avant face à la stagnation psychologique et rationnelle née de la réitération de la même Loi Universelle fût-elle vraie, profonde et belle.

Initialisation du Processus Créatif :

Il est également essentiel d'élucider le point de démarrage de la Création appelée communément l'Intuition dans son acception philosophique lui conférant le pouvoir de la connaissance directe même sans explication ni argumentation, ce qui est entièrement acceptable avec l'impérieuse condition de la faire suivre directement, avec plus ou moins de temps selon les capacités et eu égard aux différentes circonstances de la vie de l'Homme Créateur et Artiste, de la Lumière explicative et de l'étayer avec les preuves irréfutables grâce à leur clarté et simplicité distinctive(s). Ainsi, voit-on se joindre impérativement l'Intuition directrice au début à la Maîtresse Création/créativité Raisonnante afin de constituer royalement et superbement la Véritable Science fondée sur la Raison Noble et Sacrée. Ceci dit, il existe d'autre part une autre signification de l'intuition en dehors du domaine honorifique de la Sainte Philosophie, à savoir la première idée qui passe par l'Esprit humain en vue d'être ensuite confirmée ou infirmée par le Raisonnement Scientifique avec tout ce qu'il possède d'abord de volet Théorique Dirigeant et d'aspect Pratique Expérimental exécutant. Revient de plus la question du Labeur & du Génie

au sens où l'un n'exclut jamais l'autre vu que rien ne vient du néant et tout est le couronnement heureux de l'Effort et le produit mérité du travail !!!! Car, bien que le Génie soit par définition un don naturel et une capacité personnelle intrinsèque chez l'individu à des degrés très différents, il est proportionnellement distribué par la Nature aux Hommes selon leur(s) prédisposition(s) respectives, ce qui nous fait dire avec assurance complète que le Travail et l'Effort sont à l'origine de tout don naturel originel et de son exploitation et perfectionnement au fil du temps. En d'autres termes, autant le don est mérité dès l'origine autant il est suivi méritoirement du Labeur Créatif puisque rien n'est né du néant. Faisons remarquer cependant que maints dons et nombreuses aptitudes personnels font l'objet d'un grand, large et long gâchis dans les mains de gens ordinaires, et stagnés se plaisant dans leur nonchalance mortifère et se contentant du peu intellectuel qui n'est en rien une humilité ni une dignité personnelles. A l'opposé se logent le vrai génie et l'effort perspicace [Henri Poincaré (le marchepied & la falaise) ; Schrödinger (vacances méritées et fulgurance et rapidité de la trouvaille de l'équation de l'onde ; Paul Dirac (marche de dimanche –weekend- en attente du lundi pour réviser Les parenthèses de Poisson]

Il est utile et agréable d'ajouter à ce qui a été dit plus haut la question du Chaos où l'imprédictibilité individuelle est de rigueur et le résultat final n'est pas garanti qu'en forme de

« probabilités précises » (Physique Quantique) !!! ??? C'est-à-dire que suivant cette vision des choses (dans la Science en général) l'Homme ne peut prédire avec exactitude les phénomènes futurs en s'adossant à des Lois et maximes Universelles Déterministes, en se satisfaisant uniquement du cas ou du résultat global et final (la Théorie du Chaos). Similaire à cela est l'affaire de l'Approximation (en général) en mathématiques en particulier pour les domaines appliqués (mathématiques appliquées) versus la pure mathématique décrivant et expliquant tout en prouvant dès les tout premiers principes en bloc et en détail. Notre position est d'autant plus claire que notre raisonnement prouvé sur le terrain en son temps le raffermit sans oublier les fondements théoriques essentiels qui assurent fécondité et richesse en résultats (théoriques) & empiriques grâce à la simplicité des fondements et à la clarté rigoureuse et à la distinction limpide des BASES **PRIMAIRES et ORIGINELLES** :

les deux approches et méthodes sont donc acceptées à condition de mettre la pure mathématique (Théorie) bien au-dessus et incomparablement supérieurement en premier par rapport aux applications mathématiques et autres. En conséquence, sont jalousement préservés le profit pragmatique tiré de l'approximation & la Transcendance théorique supervisant la pratique pour l'encadrer, la légitimer et enfin la dépasser antérieurement –par définition- et postérieurement,

bien entendu non aléatoirement mais avec argumentations, preuves, explications, en toute clarté et distinction de vue depuis le tout premier et initial point de départ. Enfin, il ne faut en aucun cas omettre, négliger ou nier –ce qui est trop grave !!!- la Primauté de la Raison Ultime et Indépendante qui oriente, consolide et facilité la Compréhension de l'Existence (Univers et Homme) ; autrement dit, la Science Noble et Vraie ne peut être bâtie que sur la Clarté Distincte et la Simplicité Féconde qui ouvrent loyalement, honnêtement et rigoureusement la voie libre et responsable à la Description, l'Explication, et l'Argumentation Convaincante –du moins si suffisante et infiniment ouverte-. La Créativité et l'Innovations ne font que suivre nécessairement pour monter crescendo vers les Hauteurs de la Nouveauté et les Cimes du Renouveau frais et sans fins.

Notons aussi que les idées se superposent et se bousculent –parfois violemment- pour à l'arrivée se singulariser et se spécifier à la faveur du travail intelligent du repos mérité du cerveau humain, ce qui résulte enfin dans la simplification et la spécification en détail de la Loi Universelle ou du moins de la théorie/théorème. Comme si tout se trame sur l'Effort Humain en puissance & en action et se centre autour de l'Intellect Humain spirituel qui est bénéfique au corporel attendu que le moral ne fait que faire jouir le physique sans entrer avec lui en conflit ni être avec lui en contradiction, loin s'en faut !!!

Il en est de même de l'apprentissage intelligent et critique des Connaissances, diverses connaissances, au sens où l'accumulation globale et sommaire des informations au début s'effectue par « réflexion inconsciente & mémorisation rationnelle » sans forcément s'atteler à la critique minutieuse ni à l'apprentissage par cœur bien que l'Esprit s'y mette et s'en donne à cœur joie !!! Cela aidera beaucoup le cerveau d'abord à bien suivre le raisonnement sans se soucier trop des technicités jusqu'aux équations elles-mêmes dont l'importance est bien sûr cruciale en tant que concrétisation des Grandes Idées et Réalisation de Principes Universels qui ne peuvent en vérité être totalement et en détail compris sans la mise en œuvre idéelle et pratique de ces mêmes Beaux Principes et Lois Universels que le Génie Absolu voit de loin en bloc et en détail du Haut de son Règne Superbe tellement bien mérité et si bien travaillé. En outre, les renseignements généralement nouveaux prennent du temps à mémoriser et demandent de l'énergie à apprendre par cœur ce qui oriente l'Esprit dans sa quête effrénée de la vérité mais sous le Joli Principe de la Moindre Action & le moindre Temps (le Minimum), vers l'optimisation des énergies pour ne les exploiter à plein régime qu'au service de l'Analyse créative après la collecte des données revenant dans le cadre de l'apprentissage, cependant non sans questionnements implicites et explicites en attente de la clarification absolue et détaillée tant que la Lumière de la Raison Sublime est en marche et vu que le

Soleil de l'Idée Première contenant à vrai dire et en effet en elle les germes de l'explication en équations qui n'est en fait que le corollaire qui ne tarde jamais ni rate le rendez-vous inventif et créateur sous la houlette de la Sainte Philosophie Rationnelle. Ainsi, l'Inconscient du Génie en particulier (et de l'Homme en général) sera au service heureux du Conscient Créatif sans s'épuiser dans la mesure où le temps et les aptitudes géniales (du génie) sont sans prix !!! Cela donne lieu donc à la stratification des degrés d'Intelligence et de Capacité de Création chez les **Hommes comme suit** :

1/L'Idée Originale et Géniale du Créateur sous forme de Grand Principe Universel mis à part le détail équationnel de la Loi.

2/La Mise en Equation de la Maxime Idéelle.

3/L'Exploitation pratique par les Ingénieurs de ces mêmes Hauts Principes et leurs conséquences immédiates/médiates (Equations) dans tous les domaines possibles de la vie humaine.

Revenons-en maintenant à la question de l'Innovation réelle et au processus d'Inventivité Originale incarnant le vrai Renouveau Intellectuel pas dans le retour stupide aux sources et en aucun cas, mais au contraire dans la Critique sans ménage et dans le questionnement sans détour de ces mêmes principes fondateurs de telle ou telle science pour ensuite n'accepter que le Bon fondé en Raison Sainte et rejeter le mauvais pas en silence mais criant la Vérité et déclamant le Bon Sens qui ne tremblent ni chancellent jamais !!! Dans cette optique de

recherche scientifique basée sur la Sacrée Philosophie, il ne reste à l'Homme Réformateur par excellence que la perpétuelle Nouveauté Créatrice et s'il adopte selon les préceptes rationnels tel ou tel Idée ancienne ou remontant aux origines lointaines, ce n'est qu'en l'adaptant aux circonstances du moment en compréhension (Théorie) et en Pratique, en guise de libération et d'affranchissement de son Esprit de toute tutelle morbide de quelque ordre que ce soit !!! Puisque à vrai dire le Renouveau ou les Renouveaux ne passent que par la Création Originale sans rumination ni rabâchage ; voilà ce qui concrétise et réalise en profondeur l'établissement de la Civilisation de l'Homme dans et à travers et grâce à l'Etat de l'Homme pour l'Homme.

Dans le même sillage de prise de hauteur, on trouve l'Astronomie dans sa haute splendeur et hauteur splendide, elle, qui ouvre la voie de l'Inconnu réjouissant et nous fait vivre dans les Horizons larges et infinis de l'Univers beau et harmonieux, pour traiter avec ouverture, profondeur, magnanimité et largesse le monde terrestre de la vie quotidienne de l'Homme dans son Etat noble d'Homme, sans négliger le sens sans pareil de la Découverte Scientifique Encyclopédique quoique parfois débutant avec « la spécialisation globale » ou « la spécialisation ouverte ». Car, la vue de l'ensemble universel (de l'Univers) donne vraiment des ailes inventives à l'Homme libre assoiffé de Savoir et avide de Connaissance sur son chemin large et infini de curiosité humaine créant de la joie et du bonheur à tout le

Genre Humain via la Création et l'Esprit de Découverte. Ceci est d'autant plus vrai que les Mathématiques sont la toile de fond de l'Astronomie l'encadrant, la gérant et l'orientant vers des cieux plus sûrs et plus libres sans interruption …

Il est utile et fondamental de dire un mot très clair de la division des Sciences en branches qui est en soi un procédé intellectuel et rationnel fructueux visant à faciliter le traitement et la compréhension des diverses filières loin de toute ambiguïté et de toute confusion, à condition que soit de rigueur l'Esprit Encyclopédique rassembleur qui ne perd point de vue le lien universel qui relie les différentes catégories scientifiques au sens large du terme. Il s'ensuit que des branches très proches peuvent faire l'objet d'un découpage, encore une fois bénéfique en soi (rationnel) et en pratique, néfaste tant qu'il isole les unes des autres sans aucun rapport dans un simulacre de respect des compétences qui nuit en fait à la capacité intellectuelle globale au profit de la créativité dans tous les domaines par le truchement des passerelles solides épistémologiques et techniques également entre ces mêmes-filières ne trouvant pas de réel sens ni de véritable explication qu'au sein de la Vision d'ensemble ; c'est bel et bien le cas par exemple de la Physique et de la Chimie (unité & différence) qui ne forme qu'un seul champ physique malgré la séparation consistant à assigner à la physique la description des atomes et des molécules et à réserver à la chimie les relations donc les lois régissant ces atomes et

molécules, bien que le physicien ne soit pas étranger à cette quête s'intéressant aussi aux Lois et aux liens établis entre ces corpuscules, liens d'ailleurs généraux entre les atomes et particuliers au-dedans du seul atome ou ce qu'on est convenu d'appeler en physique les particules fondamentales (proton, électron, neutron, neutrino, matière (particule), anti-matière (anti-particule), quarks).

Voilà ce qui nous conduit tout droit à la Puissance de l'Abstraction donc mathématique dans la mesure où tout ce qui touche à l'Art d'abstraction dans tout champ concerne directement et profondément les Mathématiques, Reines de la Droiture de Réflexion et de la Justesse de vision selon des Principes Universels Naturels et Innés épaulés de Preuves et étayés de Démonstrations contre l'ambigüité continue et la superstition morbide. Là l'on peut évoquer clairement le cœur de la réflexion et du raisonnement Philosophique par excellence qui fournit aux Mathématiques le cadre théorique d'argumentation et de justification des résultats à travers l'analyse et même la collecte des données dès le tout commencement des investigations scientifiques sous la tutelle libératrice de la Sainte Philosophie. Qui plus est, ce climat de Liberté Critique et de questionnement continuel mène le bal indépendant et libre de la Découverte et amène à la nouveauté originale au sens où les nouvelles idées affluent en abondance dans l'Esprit Créatif et Critique recherchant toujours des cimes

plus hautes et des univers plus larges et plus satisfaisants, ce qui constitue à la fin une Méthode de Réflexion Scientifique à force d'exercice d'Analyse partant d'un simple et également efficace et efficiente mise en cause de ce qu'on connaît et notamment des Origines, Sources ou Principes sous-tendant le tout ou ce qui est appelé comme tel. Et, d'ajouter que cet Esprit Méthodologique et Méthodique ne fait qu'engendrer des Idées Fécondes dans toutes les branches de la Science de la Nature et de l'Homme grâce à cette lumière rayonnante et à la faveur de cette Méthode abstraite et ingénieuse des Mathématiques construite petit à petit au fils du temps pleinement exploité dans la vie du chercheur attentif et critique.

Atmosphère de réflexion créative :

En outre, et dans notre description mais aussi et surtout explication des faits et sentiments entourant, tourmentant et motivant le chercheur Découvreur, nous ne pouvons omettre l'impression de l'illusion de la fadeur de la connaissance qui suit après diverses tentatives et coups de génie selon les génies, et le penchant vers le mystère ou le goût du mystère précédent le dénouement à la faveur du Savoir !!! Commençons par dire qu'il est notable d'affirmer l'existence de ce genre de sentiments donnant froid dans le dos de la Science qui s'essaie avec succès à tout démêler et s'évertue objectivement et avec confiance à séparer le mauvais grain de l'ivraie. D'autre part, il est sans le dire crucial de croire en la Raison Suffisante et créatrice pas

d'une façon béate mais au contraire d'une manière philosophique (donc hautement scientifique) aimant à démontrer et à prouver toutes les étapes du voyage de Découverte de la vérité. A ce stade de recherche, nous avançons avec certitude que cette impression n'est le fait que d'un mirage nourri de l'ignorance sombre et noire qui fausse tout et brouille tout, d'un côté, contre la Science blanche et rayonnante qui, elle, illumine tout, éclaire tout, et fait voire clairement et distinctement tout, de l'autre. Et, c'est cette dernière avec toute sa splendeur rationnelle et également beauté passionnelle maîtrisée qui produit le Bonheur et la Béatitude d'abord dans l'Ame philosophique et scientifique pour les transmettre grâce à la contagion énergétique positive du Génie Indépendant. Aussi, tant que les Connaissances n'en finissent jamais les Découvertes et les Explications vont avec elles la main dans la main pour davantage de compréhension et plus de tranquillité et de sérénité du cœur rationnel ou d'émotion née de la Raison noble et sublime.

Alors, comment s'y prendre face à une problématique quelconque, en fonction des cas ou des résultats, c'est-à-dire si les résultats après établissement de l'Hypothèse la contredisent ???!!! Et, voilà quelques éléments de réponses précieux, ayant trait à la méthode d'analyse et à la manière de procéder : (rappelons que les résultats de l'Expérience sont en contradiction avec l'Hypothèse de départ, ce qui est un

paradoxe rationnel primaire requérant élucidation et dissipation de doute et de confusion) [la question éternelle de Raison & Sens est de mise et c'est la primauté rationnelle de l'Idée qui prévaut, donc l'Hypothèse prend le dessus sur la réalité dominée et maîtrisée par l'Hypothèse]. Il existe trois attitudes à adopter, **savoir** :

1/Corrective/Rectificative/Erreur : dans ce cas il y a fautes de calculs ou manque d'éléments sains d'Expérimentation, i.e. (1) soit les moyens employés dans l'Expérience présentent des failles d'aménagement de préparation ou autre de ce qui touche à l'aspect matériel de l'Expérimentation, (2) soit les calculs eux-mêmes ou les conséquences de l'Expérience bien faite et dans des conditions parfaites avec la prise en compte de l'imprécision bien connue et anticipée dans toute expérimentation de laboratoire en physique ou dans toute science traitant le monde physique (la Marge d'erreur connue et anticipée). Là, la solution est simple en refaisant l'Expérience dans les conditions optimales et en évitant l'erreur et l'imprécision dans les calculs par les hommes qui peuvent se tromper mais il faut impérativement ajuster et corriger cette anomalie en multipliant les calculs et en diversifiant les vérifications.

2/Investigatrice : où le chercheur a confiance dans le Principe (donc équation mathématique) et l'Idée ce qui le pousse à vérifier l'existence d'un nouvel ingrédient ou une nouvelle donnée cachée jusqu'alors dont l'ignorance donne l'impression

fausse d'infirmation du Principe, d'un côté, et dont le rétablissement par la découverte ou son inclusion dans les données complètes confirment alors le Principe et l'Idée avec leur(s) formulation(s) mathématique(s), de l'autre. On y constate donc la force du génie et la perspicacité du regard et l'acuité de la vision par l'intermédiaire d'abord de la confiance dans la formule mais avant tout dans l'Idée qui la gère et l'engendre, d'une part, et la capacité de creusage idéel poursuivant la faille et traquant les incohérences afin de mettre la main sur le maillon faible et manquant pour le renforcer et le remplacer par le Meilleur.

3/Créative/Inventive : situation dans laquelle le Génie Humain trouve dans sa vivacité et puissance son pouvoir d'inventivité et d'originalité sans parler d'adaptabilité, en se dépassant déjà intellectuellement et conceptuellement vers d'autres horizons plus ouverts et plus profonds. On passe alors du Génie Visionnaire au Génie Créateur non content du présent ou de ce qu'il possède sous les yeux de Principes ne satisfaisant plus la description physique du monde ou plus généralement ne s'accordant plus avec les autres Bases Inébranlables, car établies avec lucidité, clarté et profondeur dans la simplicité explicative et argumentative, chose qui oriente directement vers l'élargissement voire parfois l'annulation –rarissime- du cadre de travail et du « Paradigme d'Analyse » en faisant ensuite dans la Nouveauté Originale et en s'installant dans l'affirmation positive

et bénéfique à la place de l'infirmation négative de ce qui ne convainc plus autant théoriquement que pratiquement –ici grâce à l'éclairage expérimental-. Seulement, l'Idée peut se passer non sans péripéties ni encombres idéelles, de l'Expérience en s'ajustant elle-même d'elle-même et l'Expérimentation dans le Système complet, ouvert et perfectible –sans saper les fondements premiers mais en les améliorant allant crescendo- facilite les Découvertes, fait gagner du temps, épargne de l'effort au chercheur tout en lui procurant une confiance en plus au sein de laquelle la Théorie encadre l'Expérience et l'Expérimentation conforte la Théorie et raffermit l'Idée.

Ceci dit, l'état de Création et de Découverte est à considérer et à valoriser autant sinon plus que la Découverte elle-même eu égard à l'intérêt profond des préparatifs créatifs qui déblaie le chemin vaste de l'Originalité sans quoi rien ou presque ne peut être réalisé avec exactitude et détail utiles. Ce qui oriente avec incitation et excitation le chercheur à marcher le long de la route inventive avec certitude et confiance dans les retombées théoriques et pratiques de sa propre Idée de départ qu'a fait naître et renforcée l'Etat de Créativité susmentionnée. En outre, y trouve-t-on notamment d'abord la Haute Idée que le Génie a de soi-même lui faisant voire tout en petit et en simple non pour dénigrer qui que ce soit ni quoi que ce soit sinon la bêtise, la sottise et l'idiotie des hommes ordinaires pour les élever aux sommets imprenables de la Liberté Humaine source

de tout bien à la lumière de l'Indépendance Eternelle. Par conséquence, l'on propose avec fierté ces nouveaux principes et arbore solennellement et ostensiblement les Originales Bases du vrai Savoir, chose qui efface efficacement et en acte ce qui couvait de génial en puissance au for intérieur du Génie Libre et Libérateur des Hommes ayant tant souffert de cette existence qu'ils n'ont point choisie néanmoins comprise et maîtrisée à la faveur des cerveaux géniaux des uns et des autres. Il est d'une importance capitale de compléter notre propos par la concentration sur l'Esprit du Génie et sur son Ame avec les deux aspects essentiels surtout et en premier lieu la Réflexion puis l'émotion, en ce sens que le chercheur dans son élan grandiose de Découverte du Haut de ses cimes aérées se doit de se ménager en raisonnements et en sentiments, lui qui rechigne à se répéter et à qui répugnent les bassesses parfois pseudo-scientifiques ou au nom de la Science, sans parler de la religion néfaste, nonchalante, inhibitrice et meurtrière, en vue de s'offrir de meilleures conditions d'Inventions originales loin des ruminations enfantines.

Aussi, ne faut-il pas ignorer ni passer sous silence l'apport de l'erreur aussi bien méthodologique que technique au long du processus de Création avec ses deux côtés essentiels et substantiels, à savoir la théorie maîtresse et guide infaillible et la pratique vérificatrice sous la houlette de la première, dans la mesure où cette erreur constatée donne le vertige au chercheur

non pas pour désespérer ou laisser tomber le fil de la recherche bien que le doute soit parfois violent et déstabilisant, cependant il n'est que d'une courte durée ou à vrai dire et plus exactement passager et éphémère relativement à la correction et à la reprise personnelle ou d'autrui pour le grand profit de la Méthode Scientifique élargissant toutes les pistes de la Critique Constructive. Il est également à noter que l'erreur technique est bien sûr moins grave que celle méthodologique qui fausse tout et sape tout l'édifice scientifique analytique et synthétique, ce qui oblige le chercheur créateur à réfléchir à deux fois avant d'arrêter sa finale méthode qui dirige tout et encadre tous les détails de la théorie et de l'application. En conséquence, la faille méthodologique est aussitôt découverte aussitôt rectifiée et remplacée par le Meilleur afin que l'inexactitude et l'erreur techniques ne nuisent en rien au carde général notamment méthodologique de l'analyse, pour qu'elles soient en fin de compte prises du bon côté en tirant des conséquences positives des constats négatifs au plus grand Bonheur de la démarche scientifique. Ce doute né de l'erreur qui arrive souvent sinon toujours, mais sous l'œil vigilant et attentif du Créateur et de l'Esprit Critique, est en fait mort-né ne faisant qu'accroitre la confiance personnelle et renforcer la fiabilité de la Méthode Scientifique Philosophique rigoureuse.

Par ailleurs, la question de la critique des fondamentaux et le sujet de l'analyse profonde Philosophiques des Principes des

Sciences dures et Humaines n'est pas complète qu'à travers la pénétration dans les Idées « en détail » qui sous-tendent telle ou telle Science critiquée et questionnée. Autrement dit, le traitement philosophique des fondements des Sciences est crucial car ayant trait aux Idées Générales et globales gérant le domaine en question, mais de l'autre côté la plénitude d'ailleurs philosophique ne sera jamais satisfaisante entièrement qu'en passant par le décorticage minutieux des « Principes-Techniques » du champ étudié sans se laisser emporter par la technicité ordinaire, banale et triviale facile à contrôler et à apprendre. Et, pour dire les choses plus clairement, il ne suffit pas pour le Philosophe accompli et complet de prendre seulement attache avec les Grands Principes et de critiquer les origines idéelles de la Science (Dure ou Humaine) mais il se doit d'entrer dans le détail du sujet et dans le vif de l'objet tout en restant dans les sommets aérées des Idées et des Principes. Encore une fois, les aspects techniques sont laissés aux autres spécialistes en l'occurrence ingénieurs s'occupant noblement et intelligemment d'ailleurs de tous les détails et minuties de l'affaire scientifique en question. On remarque au passage que l'enfoncement répétitif et la préoccupation des détails techniques entravent grandement et gravement le processus créatif en ce sens que les petits ajustements, ayant leur importance dans leur carde précis et à leur juste mesure, prennent le dessus sur les Idées et les Principes Hauts en

couleurs et Féconds en productivité (produits). Tandis que le contraire passant du Haut Créatif et Idéel en bas technique est si normal et tellement faisable qu'il suffit de comprendre bien l'Idée et de maîtriser le Principe général pour digérer la technicité et en inventer d'autres plus fertiles.

La Science & l'Art :

La Science & l'Art ne sont pas uniquement complémentaires mais inextricablement inséparables bien que le sentiment commun répandu soit de les diviser et de les isoler chacun dans leur coin. Parce que d'abord tout se rassemble dans les Idées de quelque ordre que ce soit et tout dans la Science comme dans l'Art fait l'objet d'une démarche spécifique à chacun des deux domaines même si de prime abord la façon dont cela se passe diffère superficiellement et en apparence de l'une à l'autre, en l'occurrence réflexion et raisonnement dans la Science (Rationalité), d'une part, et sentiment, émotion et intuition, d'autre part. Ce découpage entre raison et cœur implique alors l'explication et l'argumentation avec clarté et distinction donc l'objectivité/l'objectif dans le champ scientifique & intuition sans explication ni argumentation pour ne verser que dans le floue, la subjectivité/le subjectif. Et, le lien qui assure l'harmonie, la souplesse et l'entraide (réciproque) entre Science & Art n'est autre que la source originelle et originale de l'activité rationnelle globale unifiant l'aspect réflexionnel/réflexif et l'autre émotionnel/sentimental qui se manifestent

diversement tout en étant la même chose originellement, dans la Science qui gère l'émotion avec objectivité en déployant et exploitant « la Raison sèche » qui montre la Vérité avec une émotion extravagante sous la lumière brillante de la Sainte Philosophie (Raison/Réflexion), d'un côté, et dans l'Art en Idées et Principes généraux sous-jacents des réalisations artistiques elles-mêmes, d'autre côté. Il est d'une capitale importance de compléter l'argumentation précédente par un ingrédient précieux qui est l'Imagination large, vaste et féconde à condition qu'elle soit notamment dans la sphère scientifique encadrée par la Sainte Raison évitant tout dérapage méthodologique ou technique. En d'autres termes, c'est bel et bien l'Imagination qui prépare en silence intérieur toutes les Découvertes & Inventions Créatives en faisant toucher du doigt rationnel fin et voire de l'œil perçant de l'Esprit dans son ensemble à l'Homme Créatif dans son entier la Beauté, l'Harmonie et la Finesse des Principes résidant dans les Idées Hautes à la fois dans la Science et dans l'Art sans distinction. Enfin, on trouve communément que la Science se prête bien et assez facilement par définition déjà à l'analyse explicative et à la critique argumentative selon des règles précises et suivant un cadre objectif bien déterminé mesurant ainsi le vrai et le faux. Tandis que l'Art est ouvert à toute interprétation en fonction du sujet explicateur et commentateur non objectivement, dit-on,

mais plutôt subjectivement et sentimentalement comme le dictent l'émotion et l'impression du commentateur.

Nous pensons fermement que rien dans la vie n'échappe au pouvoir doux et global de la Sainte Raison Philosophique en ce sens que tout s'explique et s'argumente en s'insérant sous des Principes Généraux formant et développant le domaine en question qu'il soit scientifique ou artistique. S'inscrivent clairement dans cet esprit la Littérature (les Belles Lettres), la Peinture, la Musique, le Théâtre, etc. qui nourrissent vraiment sans contradiction l'imagination et de là la Science ou plutôt le sentiment et la vivacité scientifique créative. Il reste à définir avec exactitude les outils détaillés de l'une et de l'autre tout en les reliant ensemble à travers l'élévation vers les Principes Idéels-Sources.

Il ne faut point perdre de vue cependant l'interrogation des assomptions/hypothèses & principes fondamentaux qui construisent le carde théorique mais aussi pratique (avec l'application des Idées Justes et profondes), au sens où la Critique et le Doute Constructif permanent et systématique doivent opérer doucement et continuellement afin de passer outre les difficultés et les obstacles qu'impose effectivement la sclérose mortifère tournant en rond pour ne rien dire ni rien produire de nouveau et de vaste. Il s'ensuit sans faute la livraison simple et ô combien utile de nouveaux cadre de travail et de larges horizons de réflexion sans restriction ni entrave à l'activité

heureuse de l'Esprit Humain dans sa quête de Cieux Cléments grâce à lui et pour lui. L'on assiste alors à l'œuvre géniale et libératrice parce que libre, totalement libre, des Mathématiques dans leur abstraction certes fatigante mais réjouissante pour celui qui en a l'habitude psychologiquement mais surtout rationnellement, en vue de fournir gratuitement au Genre Humain « les outils de recherche » que le Philosophe Libérateur et Sauveur interroge toujours et sans fard. Ce sont en effet des Outils de Travail indispensables si bien que l'on ne peut en aucun cas s'en passer ni avant ni après puisqu'ils sont inchangeables néanmoins perfectibles dans un but ouvert et créateur. Car les Mathématiques garantissent notamment, en plus du cadre de travail technique bien sûr, la bonne vision et la bonne approche afin de ne pas louper le coche de la Découverte et pour mettre la main douce et industrieuse sur les vraies questions & réponses. Cette double faculté ou à vrai dire cette « encyclopédité » et cet Esprit Rassembleur, Unie et Unique n'ont d'autre siège que l'Ame Généreuse du Génie qui dépasse en vision et en profondeur ses pairs, Lui qui n'en a vraiment pas, rien que pour montrer à tout le monde que toutes les Découvertes sont simples et accessibles et que les Vérités Universelles s'embrassent les unes les autres en se servant mutuellement. Et, dans cette perspective, rien n'est plus convaincant que la Maîtrise de tous les rouages scientifiques en bloc et en détail vu qu'à la faveur de la force et de la puissance

des Arguments détaillés les esprits curieux s'en satisfont à merveille, d'un côté, et (que) les querelleurs et polémistes s'en trouvent le bec bouclé et bouche bée, de l'autre. La métaphore de « la clé » pour « la Raison » sans nul doute juste et judicieuse à ceci près que bien que la clef soit indispensable et hautement précieuse à l'ouverture de la Porte, l'on peut la jeter après emploi, ce qui n'est et ne sera jamais et aucunement le cas de l'utilisation primordiale, cruciale et indispensable des Mathématiques qui seront de toute évidence avant, pendant et après –et à chaque instant- le processus de Découverte Valables, Fiables et Fertiles d'abord pour la compréhension claire et distincte des Vérités et des Théories attendant confirmation réelle sur le terrain, et également pour l'engendrement d'autres voies de Réflexion et d'analyses Originales. Aussi toujours est-il vrai que la Raison Sublime ne s'arrête à aucun stade du Raisonnement Humain tout au long du Processus Passionné et Passionnant de la Créativité Incessante du Philosophe Libre et Libérateur avec Originalité Inégalée. Puisque il est évident que l'usage fécond et abondant de la faculté rationnelle chez l'Homme est « la Clef Essentielle » au sens de l'Essence-Cœur à laquelle on ne pourra point se soustraire et qu'on ne saurait jamais ignorer ni négliger, et comment ? si ce n'est en s'annulant et en se reniant soi-même.
D'ailleurs, le sujet de la Théorie, vénérée & haute Théorie, et de la pratique ne cesse de se poser depuis la nuit des temps, ce

qui pousse à affirmer que la Théorie n'a d'égal qu'elle-même parce que ce sont bel et bien les Idées qui créent et tracent le chemin éternel et large de la Béatitude Humaine à travers la Création et l'Indépendance Rationnelle Immortelles. D'autant plus que le Génie n'est pas loin d'exercer parfaitement ses Principes dans la pratique et de les appliquer sur le terrain avec profondeur inventive et souplesse créatrice ; les deux sous la houlette bienveillante et libératrice de la Théorie cohabitent bien et logent tranquillement dans l'Esprit Magnanime, Libre et Inventif de l'Honnête Homme-Philosophe (l'Homme Encyclopédique), sinon du Génie Rarissime et « Uniquissime». Il en va de même de l'Esprit Philosophique fouillant dans les fondements des Principes et bouleversant les Sources dans le noble dessein d'en créer d'autres nouveaux et plus féconds, lequel Esprit Philosophique se voit technicien et praticien sans problème ni gêne aucune, tant que son sens aiguisé de la Critique et de l'Observation méticuleuse à la lumière de la Raison Sainte ne le quitte jamais et en aucun cas. Tandis que le contraire, passant de la technicité, respectable d'ailleurs dans sa sphère précise, à l'espace philosophique est difficile et pénible requérant Liberté, curiosité, courage, patience intelligente, et persévérance, sans être pour autant loin s'en faut, impossible ni inaccessible à l'Homme méritoire digne de ce nom.

Précision terminologique définitoire :

Il est aussi tellement important et essentiel de préciser la terminologie scientifique, sans parler de la Sainte Philosophie superbement exacte et pointilleuse, en l'occurrence l'emploi des termes Intuition/Hypothèse/Théorie/Théorème/Fait/Vérité, en disant que le commencement de toute recherche et donc Découverte passe par l'intuition générale encadrant et facilitant le travail en économie de temps et d'effort sous le Principe de Moindre Action & Temps (le Minimum & le Meilleur), tout en sachant que le vocable :

- « Intuition » porte deux acceptions acceptées dans notre explication ci-dessus à savoir (1) l'accès direct à la Connaissance en attendant les détails et les preuves qui se dessinent au fur et à mesure de la quête scientifique, d'une part, et (2) le point de départ vague et le fil conducteur flou néanmoins utile dans le démarrage de l'activité rationnelle de l'Esprit Humain, d'autre part. En d'autres termes, un autre moyen de Découverte(s), ou à tout le moins de mise en œuvre créative, qu'est l'Intuition en général et que l'on peut diviser en gesticulation intellectuelle et cogitation rationnelle (Raison Dominante) ouvrant grand les portes de la connaissance directe et appelée Intuition Philosophique, d'une part, et en (Intuition) Hypothétique/Naturelle de recherche (commencement et mise en piste) où plutôt l'esprit global animé par la Raison Souveraine qui donne le là à la clarté spirituelle voire

émotionnelle chez le chercheur/découvreur/inventeur/créateur, d'autre part. Les deux faces nobles sous l'égide rationnelle de la Sainte Philosophie se nomment la Conscience ou l'Esprit (rationnelle et sentimentale). Il faut indiquer que l'Intuition Philosophique accède directement à la Vérité en bloc avec ou sans les détails requis tant que la direction globale est montrée du doigt rationnel de l'Esprit dans sa globalité (Raison & Emotion). Tandis que l'Intuition Hypothétique/Naturelle mène sur la voie créative à travers d'abord le bon questionnement puis les bonnes analyses et les meilleurs postulats, hypothèses et axiomes, nécessitant à leur tour les bons et meilleurs outils méthodologiques, méthodiques et pratiques.

-« Hypothèse/Assomption/Présomption/Conjecture » est la formulation globale après le sens intuitif en une précision progressive de l'Idée qui permet une vision plus claire et plus expliquée sans pour autant en être sûr à cent pour cent qu'à l'épreuve de l'Expérience pratique ou bien avant en multiplication de preuves rationnelles et de raisonnements bien solides et liés logiquement.

-« Axiome/Postulat » consistent dans le sens commun premier et évident mais aussi dans le Principe premier sur lequel une idée est basée, ce qui demande explication, argumentation et preuves à fur et mesure tout en se contentant d'une présentation générale au début. Autrement dit, l'axiome ou le postulat rationnels fondent l'idée et sont la matrice de recherche en

passant par une démonstration rationnelle sans s'en priver d'autres par la suite bien que l'opération soit coûteuse en temps et en effort ; toutefois, « le jeu en vaut la chandelle !!! ». Pour plus de précision terminologique l'Axiome est le fondement logico-déductif évident et le Postulat est une base de réflexion demandant explication et démonstration même s'il sert de solide outil de recherche au début. Cependant, on peut les utiliser l'un pour l'autre en général.

N. B. Il se trouve que le mot « Postulat » prenne même en science(s) le sens de base incertaine, quoique nous l'ayons exclu de notre système philosophique scientifique où le Postulat est considéré comme l'Axiome dans sa validité rationnelle mais attendant plus de démonstrations et davantage de clarification argumentative. D'ailleurs, le postulat est à l'instar du terme « Axiome » signifiant foncièrement en Philosophie scientifique fondement auto-évident et Vérité patente naturellement et instinctivement.

-« Définition » soit il est le synonyme d'Axiome ou plus exactement le moyen « un axiome définitoire », soit il s'ensuit naturellement étant le corollaire automatique de l'Axiome ayant bâti le cadre théorique général et global dans lequel la Raison peut l'insérer et l'intégrer avec clarté et distinction.

-« Théorie » concrétise l'affermissement partiel sous forme d'un ensemble d'Arguments logiques et pratiques de l'Hypothèse en attendant sa validation finale pour devenir ensuite une Vérité et

un Fait scientifique, ce qui requiert du temps et une myriade de preuves bien présentées et si détaillées que le lecteur-observateur-chercheur tatillon n'y trouve rien à redire scientifiquement point par point. Ce qui revient à dire que la Théorie n'est rien que l'essaim béni rationnellement et objectivement dans la lignée générale de l'Hypothèse.

-« Théorème » consiste dans l'exposition et l'affirmation théoriques d'un cadre de travail théorique étayé par une Argumentation suffisante prête et apte à être utilisée avec certitude et confiance plus tard dans toute l'opération scientifique théoriquement et pratiquement. Dans ce sens, le Théorème représente en fait un outil primordial d'aiguillage et de recherche dans son aspect théorique et appliqué, en facilitant l'un et supportant l'autre.

-« Vérité » ou « Fait » couronne le processus créatif de la recherche scientifique dès le début passant par le doute systématique avec la conviction psychologique guidée par la Lumière de la Sainte et Sublime Raison (intuition, hypothèse, théorie, théorème, vérité/fait), en arrivant en fin de compte à la Vérité Universelle ou du moins dans un domaine limité et dans une sphère donnée, ce que l'on nomme également un Fait scientifique ayant résisté au feu de la critique rationnelle et aux secousses perpétuelles de l'Expérimentation objective et réitérée, en ayant montré pour ainsi dire patte blanche à la

Sainte Philosophie orientant implicitement sinon explicitement la démarche scientifique.

En fait, la quête scientifique méthodique commence par l'Axiome ayant quatre acceptions, en l'occurrence (1) une auto-évidence la plus simple sans preuve avancée ni explication développée sur laquelle on construit notre recherche ou par laquelle on démarre notre travail, puis (2) on essaie d'élaborer cette même auto-évidence (self-evidence) pour la rendre une définition plus sophistiquée et plus argumentée, ou aussi la définition rejoint l'Axiome dans la même signification ou la définition coulant de l'Axiome fondateur (3) ensuite viendra le niveau du principe renforcé grâce à l'argumentation de l'axiome et de la définition, ce qui est très proche et similaire au théorème préparant et sous-tendant la théorie qui n'est pas non plus à son tour une loi ni un fait scientifique établi, mais seulement tendant à le devenir via la vérification rationnelle minutieuse et l'expérimentation pratique dans le champ propice (selon pure recherche théorique et/ou quête d'application/appliquée). Il existe néanmoins un autre sens non moins déterminant et pertinent de l'Axiome consistant précisément (4) à postuler (au sens secondaire = émettre une hypothèse) ou dans l'assomption ou la présomption à vérifier rationnellement et pratiquement suivant le domaine concerné (théorique ou pratique/appliqué). Cela n'est autre en réalité que la définition même de l'hypothèse pierre angulaire de tout

commencement de recherche scientifique. Dans ce sens, l'axiome, le postulat, l'assomption, la présomption, et l'hypothèse se rejoignent pour servir à la théorie et converger vers sa présentation, son émission, son établissement, et son perfectionnement perpétuel, dans la mesure où autant il est nécessaire de minimiser le nombre d'axiomes de départ afin de ne point brouiller la Raison distinctive et créatrice, autant il n'est jamais interdit, loin de là, rationnellement ni méthodiquement d'introduire d'autres axiomes, réduits il est vrai au strict minimum toujours sous le principe du minimum et du meilleur (meilleurs résultats avec la moindre action et le moindre temps), au fur et à mesure que la recherche progresse et au fil des retombées des tout premiers axiomes. Insistons davantage sur le rôle indubitable de l'argumentation à tous les échelons, même à ceux les tout primaires qui constituent le fondement même de la quête scientifique étant donc très simples, banals et clairs, ce qui n'exclut donc point le creusement et le questionnement de ces mêmes bases dans le but de les rendre plus distinctes, plus claires et plus solides à la faveur de les éprouver au feu ou plutôt à la lumière de la critique incessante ne faisant rien qu'augmenter le degré de robustesse de la démarche scientifique adoptée et donc de la loi, et surtout permettant l'élargissement de la vision philosophique et pratique avec les conséquences théoriques et appliquées escomptées. Qui plus est, le meilleur et le plus fécond système

perfectible au fil du temps est fait de minimum d'axiomes si clairs, très établis et bien définis ce qui va de pair avec le foisonnement incessant d'exemples et la profusion impressionnante d'applications et de concrétisations sur le terrain. Autant tout l'intérêt réside sans égal dans l'aspect théorique du Principe (l'Idée), autant l'aspect appliqué revêt aussi une importance capitale n'étant en fait que la réalisation tangible et visible de la Véracité de la Loi et de l'Authenticité de la Maxime.

Exemple : les axiomes d'Euclide [(1) deux points = segment ; (2) extension du segment des deux côtés ; (3) deux points et segment (rayon) = cercle ; (4) perpendicularité = rotation & superposition & transposition ; (5) une droite et un point = le parallélisme].

Le sens de l'Observation méticuleuse :

Nous pouvons toutefois passer sous silence la facilité de la critique naturelle d'observation sans parler de celle purement rationnelle et créative de la géométrie euclidienne, en vue de passer à la géométrie non euclidienne (sphérique ou hyperbolique). Car il n'y a même point besoin de réflexion profonde pour se rendre compte du dépassement de la géométrie euclidienne (notamment le cinquième postulat [le parallélisme –une droite & un point–]) sans la négliger ni la détruire. La cause en est le confinement nuisible et le recroquevillement néfaste dans le même moule, savoir la

géométrie euclidienne, tant grand et fertile soit il. Cette remarque et (cette) interpellation rapide font réfléchir à deux fois le Créateur Indépendant et Original dans le dessein noble et ultime d'inventivité inégalée changeant de paradigme, adoptant une sortie totale du dogme imposé et amorçant une rébellion complète contre l'ordre et l'orthodoxie établis à tort. Ce sens de l'observation bien que « facile » et « banal » à vrai dire notamment aux yeux du Génie surpassant tout, est étroitement lié à la procédure rationnelle de Découverte et de Création. Les Mathématiques en offrent à titre d'exemple un bon modèle où le regard attentif aux données mathématiques (Equations) ouvre grand la voie créative à la Raison curieuse et ouverte, de sorte que les simples faits mathématiques traduits en équations trouvent d'autres formulations et reformulations plus larges, plus denses et plus fertiles dans l'espoir ardent de les rendre plus simples et plus accessibles à tous. Ainsi, le constate-t-on dans les formules algébriques dans lesquelles rien n'est à l'œuvre que les règles élémentaires d'algèbre requérant compréhension du Principe théorique (même si toute la mathématique est théorique et abstraite), concentration, observation et pratique. Ce seront des découvertes ou plutôt, à notre sens, des contributions peut-être immenses (c'est selon !!!), mais l'authentique centre d'intérêt sommeille tranquillement dans le Cerveau de l'Originalité simple, féconde et profonde, n'attendant que l'intervention de l'Ame Géniale. Cette dernière

rencontre naturellement (c'est un constat et non point une explication ni une sorte de résignation notamment intellectuelle) des obstacles différents en relation avec le processus découvreur. On en évoque essentiellement (par exemple) la fermeture de l'Esprit dans sa globalité raison et psychologie qui empêche le déclenchement de l'opération créatrice et tue dans l'œuf la possibilité même de questionner et de critiquer sans parler de découvrir ni de créer ni d'inventer. Contrairement à l'Esprit ouvert et compréhensif du fonctionnement rationnel et psychologique de l'Etre humain dans sa généralité en tant qu'une seule et unique entité, quoique avec des aspects variés et non point contradictoires. Egalement une autre entrave guettant le chercheur sur la route de la Création originale revêt un habit de moine –gentil et naïf– se contentant de ce qui existe tout en étant pusillanime de l'inconnu, demandant de hautes qualités telles que la curiosité, l'audace, la virilité de Principe, le courage et la dignité humaines dans la quête sans discontinuer de Béatitude Universelle via la Science, toute la Science. Après ces deux vertus de caractère (rationnel & psychique) malgré que l'ouverture d'Esprit est à moitié sinon dans sa totalité rationnelle et intellectuelle, il reste à définir et à bien déterminer le travail de la Sainte Raison en général dans les Principes fondamentaux et en particulier avec des exemples concrets. Néanmoins, les fondations de la Raison sont là implicitement, consistant dans

l'effort silencieux et calme, non sans flammes ni bouleversements, ce qui n'exclut pas bien entendu l'énumération des détails en ordre et en toute clarté, pour que l'image créative s'en trouve limpide et transparente.

Conclusion :

Nous avons voulu montrer dans ce qui précédait primo la relation solide entre sciences dures et humaines dans leur aspect créatif, découvreur et dans leur Esprit global d'invention et d'analyse critique laquelle trace le chemin de la nouveauté réjouissante en théorie et en pratique. Secundo, nous avons abordé les divers instruments de travail du chercheur libre avec sens épistémologique aigu, dans la mesure où il interroge souvent sinon toujours à intervalles réguliers ses outils de recherche afin de les améliorer sans cesse au profit de l'objectivité et au service de la Science universelle pour l'Humanité tout entière. Tertio, une définition claire et distincte des différents termes (axiome, postulat, définition, hypothèse, assomption, présomption, théorie, théorème, conjecture, intuition, vérité, fait), autant que faire se peut, est proposée dans l'objectif de clarté et de minutie loin de toute confusion de pensée et de tout brouillard intellectuel, afin de faciliter et la démarche du scientifique et son explication à autrui avec succès.

– Références :

1. **En français** :

- AUROUX S. & WEIL Y., **Dictionnaire des auteurs et des thèmes de la philosophie**, Hachette, 1991.

- BENNABI Malek, **Les conditions de la Renaissance**, 1948.

- BENNABI Malek, **Pourritures**, Traduit en arabe par Nour Eddine Khandoudi, 2006.

- HUGO Victor, **Discours pour Voltaire** (**1878**), BNF, 2002.

- SCHILLER Friedrich, « **Leçon Inaugurale de l'Histoire Universelle** », le 26 mai 1789, Université d'Iéna.

- www.stanford.edu (Professor Leonard Susskind –Theoretical Physics at Stanford University /USA)

- Youtube : NJ Wilberger (Professor of Mathematics at The University of NSW/Australia)

2. **En arabe** :

- أركون محمد، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، دار الطليعة، بيروت، 2005م.

- أركون محمد، **الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد**، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 2012م.

- بن نبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 2000م.

- بن نبي مالك، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، 2002م.

دور الزوايا في بناء وتنظيم المجتمع

منطقة المسيلة نموذجا.

الدكتور: بوقزولة عبد المالك

قسم التاريخ

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

دور الزوايا في بناء وتنظيم المجتمع
منطقة المسيلة نموذجا.

مقدمة

لعبت الزوايا دورا هاما في نشر الإسلام وحفظ لغة القرءان في مختلف بقاع العالم الإسلامي وهي امتداد للمدارس والكتاتيب التي تزخر بها حضارتنا الإسلامية على مر العصور فقد عملت الزوايا دورا كبيرا في الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري خاصة في الحقبة الاستعمارية أين شجع على الخرافات ونشر الجهل لتهديم المجتمع وجعله قابلا للاستعمار بشتى أنواعه حيث عملت الزوايا على نشر العلم والمعرفة وبث روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع بكل أطيافه والمحافظة على ترابطه وحمايته من كل عوامل التفسخ الديني والخلقي حيث كانت الزوايا هي القلب النابض الموجه للمجتمع فهي بالأمس نبراس علم وتوجيه واليوم مركز حضاري وهمزة وصل بين الماضي والحاضر بكل ما تزخر به هذه الزوايا من مخطوطات و أثار لأولئك الشيوخ والعلماء ممن كانوا يشرفون على هذه الزوايا ،وفي هذه المداخلة سوف نتطرق إلى دور الزوايا في بناء وتنظيم المجتمع منطقة المسيلة نموذجا؟

1- الزوايا وتاريخ ظهورها:

لعبت الزوايا دورا ورسالة سامية ومهمة نبيلة وعمل شريف حيث يتمثل في المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية وكذلك الحرص على صيانة عقيدة المسلم وحمايتها من كل زيغ وانحراف وهذا بواسطة نشر الوعي الديني في أوساط الجماهير في المدن والقرى والأرياف والجبال والتركيز على تعليم القرءان الكريم وتحفيظه والعناية بدراسة العلوم الإسلامية واللغوية بالإضافة إلى ما تقوم به من خدمات اجتماعية، كإطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل ومساعدة المحتاجين و إصلاح ذات البين ولمعرفة المزيد لابد علينا من تعريف الزوايا.

أ- تعريف الزاوية لغة:

الزوايا جمع زاوية وهي ما خوذة منفعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة وقيل: أنها سميت بذلك لان الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل

والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي من الوظائف الإسلامية التي من اجلها وجدت الزاوية.

ب- تعريف الزاوية اصطلاحا:

يراد بها مأوى المتصوفين والفقراء والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر كما جاء في المعجم الوسيط[1]، وقيل إن الزاوية في الأصل هي ركن البناء، أطلقت على المصلى او المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي على أن مصطلح الزاوية في المغرب الإسلامي أكثر شمولا من ذلك، إذ هو يطلق على بناء او طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها و أجزائها ووظيفتها التعليمية[2].

فالزوايا إذن هي مكان مخصص للعبادة والتفرق لها بعيدا عن كل الملهيات وتساعد من يريد أن يحفظ كتاب الله وسنة رسوله الكريم ودراسة العلوم الشرعية وعلوم اللغة بتفرعاتها.

وقد ذكران الزوايا هي ما يعرف في الشرق باسم الرباط أو الخانقاه ويمكن أن نظيف الى ذلك كلمة رباط تستعمل أيضا في بعض المناطق للدلالة على المنشأة التي يوجد فيها النشاط العسكري بصفة خاصة إلى نشر الإسلام بحد السيف[3].

وقد سجلت الزوايا القرآنية بالجزائر صفحة تاريخية مهمة في تاريخها السياسي والثقافي والديني ويدل على ذلك الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها لان الجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس هجري وبمرور الوقت تطور أمر الزاوية وازدادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر هجري وهذا بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوروبية إلى السواحل الجزائرية[4].

1- صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها** ،دار البصائر، 2009م، ص203.

2- شهبي عبد العزيز، **الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2007م، ص 13.

3 - محمد نسيب، **زوايا العلم والقران بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص28.

4 - نفسه، ص06.

يرجع الفضل في نشأة الزوايا بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين اخذوا على عاتقهم البعد المكاني وهذا لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم و الإرشاد ، ففي بداية الأمر ظهرت الزوايا على شكل غرف وبيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزهاد للانزواء والخلوة فيها ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات آما في المغرب العربي فقد عرفت الزوايا تطورا كبيرا وهذا مع بداية القرن الثالث عشر ميلادي حيث أنشئت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على تصديها للغزاة على مر العصور فبدءوا بالبرتغاليين ثم بالأسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومردييها ضد الغزاة الأجانب.

أما في زمن الحرب فكانت هذه الزوايا الهدف منها هو القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية حيث كانت تؤسس من طرف مشايخ أهل علم ودين ورجال متصوفين وعلماء بالله عارفين قصدهم وجهة عز وجل ولا يريدون من احد جزاء ولا شكورا.

إما انتشاره في المغرب العربي بعد القرن الثالث عشر ميلادي فهي المدن والقرى والأرياف وعلى قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث التجار يؤون إليها و أقام بها ناس نذروا أنفسهم لعبادة الله وكانوا فيها حريصين على أمور المسلمين واتبعوا الحديث الشريف للرسول صل الله عليه وسلم (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)، وفي الجزائر عرفت عددا هائلا وهاما من الزوايا أدت دورها على أكمل وجه و أحسن صورة وانتشرت انتشارا واضحا في الأرياف أو في المدن وعمت كل جهات الوطن خاصة في جهته الغربية والوسط وانتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الاسباني لمدينة بجاية.

وتعد زاوية الشيخ سعادة أقدم زاوية تأسست في الجزائر بالقرب من طولقة في القرن (6هـ-13م) ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (8هـ-15م)،والقرن (9هـ-16م) حيث كان لسقوط الأندلس والاحتلال الاسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك اثر بالغ في انتشار الزوايا.[1]

---

1 - طيب جاب الله، "دور الطرق الصوفية و الزوايا في المجتمع الجزائري"، **مجلة معارف** ،كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، العدد 14 اكتوبر2013، جامعة البويرة، ص 138.

2- دور الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي:

ظلت الزوايا أهم النقاط التي انشغل بها الاستعمار الفرنسي نتيجة الدور الوطني الذي كانت هذه المؤسسات تلعبه قبل وخلال الثورة التحريرية فعلا وعلاوة على كونها تلقن تعاليم الدين الإسلامي فان أئمتها آنذاك كانوا حلقة مهمة في ثورتهم ضد المستعمر وذلك بإعداد الطلبة لخدمة القضية الوطنية ،حيث التحق العديد من طلبة الزوايا بصفوف الجيش والثوار وهذا ما جعل المستعمر يعمل على تدمير أغلبيتها وغلق عدد أخر منها وتحويل عدد أخر إلى ثكنات عسكرية تابعة للجيش الفرنسي كما أذاقت لمشايخ أقسى أنواع التعذيب ووصل الأمر إلى إعدام بعضهم ورغم كل ذلك لم يستطع ان يحد من نشاطها ولم يكتفي بذلك بل عمل على الاستيلاء على أموال الأوقاف والأحباس وقطع عنها كل موارد الرزق وجميع المساعدات ضنا منه انه بهذه الطريقة سوف يقضي عليها وفي جهة أخرى استعمل أسلوب الترغيب ليكسب ودها والتحكم فيها فاصدر مرسوم في (12 يونيو 1906م) يقضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها 300 فرنك قديم لكل شيخ زاوية او كتاب يأمر طلابه بتخصيص ساعتين لتعليم اللغة الفرنسية ولكن المرسوم مات قبل أن يولد لأنه قوبل بالرفض.[1]

وقد عرف الشعب الجزائري أن دوره مرتبط ارتباطا وثيقا بالزاوية وهذا راجع إلى الدور الكبير الذي تقوم به في الحفاظ على مقومات المجتمع والتصدي لكل ما من شانه أن يكون سببا في زعزعة استقراره في شتى الميادين ، خاصة عندما فهم شيوخ الزوايا نوايا المستعمر ومكائده فقاموا بمواجهتها بعدة أشكال ومن أهمها لم شملهم وارتباطهم ببعضهم البعض عن طريق إنشاء هيئات وجمعيات لرص صفوفهم ونبذ أسباب الفرقة والتفرقة بينهم ومنها جمعية علماء السنة والتي تأسست في (13سبتمبر1932م) بحضور ألف شخص من مختلف الطرق الرحمانية والقادرية والتيجانية والعلوية والشاذلية وقد أعطت الرئاسة الى الشيخ المولود الحافظ الأزهري، وحاول هذا الأخير احتواء الخلاف الحاصل بين شيوخ الزوايا وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول وجهة النظر في طريقة عمل الدعوى وكذلك تأسيس جامعة الزوايا لشمال إفريقيا والذي انعقد في (15 مارس1948م)

---

1 - شهيبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص10.

بالعاصمة الجزائرية وقد حضره أكثر من 120 رئيس زاوية من الجزائر وبعض دول الجوار كالمغرب وتونس وكان الهدف الأول من تأسيس هذه الجمعيات هو لم الشمل ومحاولة القضاء على الانشقاق داخل المجتمع الجزائري وهذا ما لم يتقبله الاستعمار الذي جند بدوره كل الوسائل المتوفرة لديه من اجل القضاء عليها، و إن فشل عليه أن يكسب مسيريها بشتى الطرق والوسائل[1].

5- دور الزوايا في تنظيم المجتمع وبنائه:

قدمت الزوايا دورا مهما وفعالا خاصة في الفترات العصيبة التي مرت بها الجزائر وبالأخص في الفترة الاستعمارية حينما حاول المستعمر الغاشم طمس ومحو مقومات هذا الشعب من دين ولغة وبعضا من عاداته وعرفه الحسن ، و ولاية المسيلة كغيرها من مناطق الوطن والتي حاول المستعمر الغاشم إن ينفذ مخططاته بها لما ينتشر بها من كتاتيب وزوايا ولما ينشط بها من شيوخ وعلماء و مصلحين يشهد لهم بعلمهم و أخلاقهم ودورهم البارز في توجيه المجتمع وبنائه وتنظيم شؤونه.

وتقوم الزوايا بخدماتها الاجتماعية إضافة إلى رسالتها الثقافية كإطعام الطعام للفقراء والمساكين وعابري السبيل ونصرة المظلوم والفصل في النزاعات بين القبائل و الاعراش[2]، وزاوية الهامل في المسيلة التي يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة1863ميلادي من طرف الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي وقدمت الكثير في مجال العلم والمعرفة فقد تخرج الكثير منهم ليحتلوا بعد ذلك مناصب سامية في أجهزة الدولة المختلفة وليساهموا في بناء وترقية وطنهم، ومن المبادئ العامة التي حرصت عليها الزاوية الهاملية نذكر ما يلي :

ا- تحفيظ كتاب الله للصغار والكبار ونشر علوم العربية والعلوم الإسلامية.

ب- الاتصال الدائم بالأمير عبد القادر في منفاه وتلقي التوجيهات منه.

ج- تمتين روابط الصلة مع المجاهدين داخل الوطن أمثال الشيوخ بالحداد، و المقراني، و بوعزيز الماضوي وغيرهم والتشاور معهم للاستفادة من علمهم وتجاربهم.

د- تبتعد الزاوية كل البعد عن الخرافات والتدجيل والبدع والشعوذة.

---

1 - نفسه ، ص11.

2 - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص209.

هـ- الابتعاد عن الشبهات التي تمس مجد الوطن وكرامة الأمة.[1]

ويذكر الأستاذ محمد نسيب أن زاوية الهامل كانت مركز إشعاع علمي وثقافي وروحي وكان دورها عظيما في المحافظة على مقومات امتنا الأساسية و إرساخ العقيدة والقيم الروحية ، ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية وبث الروح الوطنية وكما كانت مساهمتها كبيرة في النهضة الدينية والعلمية في بلادنا، واستمر القائمون على الزاوية يؤدون واجبهم الوطني حتى استرجاع الاستقلال والسيادة الوطنية بعد أن نال شرف الجهاد والاستشهاد عدد من طلبة الزاوية وأبنائها.[2]

وحسب هذه الزوايا فخرا أنها ساهمت مساهمة كبيرة ومعتبرة في محاربة الجهل و الأمية ونشر التعليم العربي الإسلامي و تخريج أجيال من المثقفين والمتعلمين حتى لم يبق بين أبناء الجزائريين من يجهل القراءة والكتابة وهذا بشهادة تقارير الاستعمار غداة الاحتلال والفضل ما شهد به الأعداء.[3]

فالزوايا تعتبر معالم حضارية وثقافية كونها مؤسسات اجتماعية وخيرية ووعظيه وخزائن للكتب والتراث ومعاقل لتحصين الرجال وتربيتهم على الجهاد ومصارعة المعتدين حيث اشرف عليها رجال صلحاء تقاة ومتصوفة عضات[4].

خاتمة:

لعبت الزوايا دورا هاما في نشر الإسلام و تحفيظ القرءان، وهذا ما أنعكس إيجابا على المجتمع وتنظيم أموره وفي بنائه وفق تعاليم الشريعة الإسلامي ،وهذا ما انعكس إيجابا على تنظيم المجتمع وبنائه مثلما حدث في منطقة المسيلة حيث بذلت فيها زاوية الهامل وشيوخها وطلابها جهودا كبيرة في التصدي إلى مخططات المستعمر الغاشم عندما حاول القضاء على مقومات المجتمع من دين ولغة

---

1 - نفسه ، ص258.

2 - محمد نسيب، المرجع السابق، ص28.

3 - صلاح مؤيد العقبي، ص209.

4- محمودي ذهبية، "الزوايا بمنطقة البويرة،دراسة تاريخية وأثرية"، **مجلة عصور** ،العدد21 .جويلية-ديسمبر2013م، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم).جامعة وهران ،الجزائر، ص 342.

ونشر مكانها البدع والخرافات والحركات التبشيرية والزج بالشعب في ظلام دامس ،ومنه فالزاوية قامت بدر الوصي والحامي لهذا الوطن في زمن الاستعمار، و لا زالت إلى اليوم تعمل على تنظيم وبناء المجتمع مستمدة ذلك من مصادر التشريع الإسلامي، ومن مبدأ حماية الوطن والسهر على تطويره وفي كل الأوقات.

– قائمة المصادر و المراجع:

– شهبي عبد العزيز، **الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2007م.

– صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها** ،دار البصائر، 2009م.

– طيب جاب الله، "دور الطرق الصوفية و الزوايا في المجتمع الجزائري"، **مجلة معارف** ،كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، العدد 14 اكتوبر2013، جامعة البويرة.

– محمودي ذهبية، "الزوايا بمنطقة البويرة، دراسة تاريخية وأثرية"، **مجلة عصور**، العدد21 جويلية– ديسمبر2013م، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم).جامعة وهران، الجزائر.

– نسيب محمد ، **زوايا العلم والقران بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، سوريا.

العلوم المساعدة للدراسات التاريخية

و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي .

– التاريخ الإسلامي أنموذجا –

الدكتور طارق بن زاوي

قسم التاريخ

جامعة المسيلة

العلوم المساعدة للدراسات التاريخية
و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي .
– التاريخ الإسلامي أنموذجا –

مقدمة

إنّ المقبل على دراسة التاريخ يجب أن تكون بضاعته مقبولة على أقل تقدير في مختلف مجالات العلـوم و التخصصات الإنسانية و الأدبية ، فالباحث في التاريخ مجبر أن يكثر من القراءات المتفرقة و أن تتشعّب اهتماماته ، فلا يحصر نفسه في زاوية معينة تجعله ضيّق الأفق قليل المعرفة قاصرا عن إدراك طبيعة الحـــوادث التاريخية ، فيكون حظه من التاريخ كحظ كثير من القصاص الذين عرفتهم الأمة الإســـلامية في قرونها الأولى الذين كانوا يجمعـــون الناس حولهـــم و يقصـــون عليهم قصصهم و أخبارهم التي لا يعلم مصدرها غالبا ، فيتلقفها العوام و تختلط حينها الحقائق بالأكاذيب .

إذا فالتخصص في التاريخ لا سيما الإسلامي منه يعني الإلمام و لو بشكل عام بعلوم كثيرة تدفع بالمتخصص إلى التحكم فيمـــا هو مقبـــل عليه من دراســـة و بحث و إلى الـــــبروز و النبـــــوغ ، و بالعمل الجاد و المتواصل تحصل له ملكة علمية تؤهله لتحقيق المسائل التاريخية الشائكة و بسط القول فيها ، و من تمّ الاقتراب من الوصول إلى الحقيقة التاريخية ، و هذا ما تهدف إليه الدراسات الجادة بصفة عامة .

و بناء على ما تقدّم حاولت من خلال هذا البحث الموسوم بـ : " العلوم المساعدة للدراسات التاريخية و دورها في اختيار موضوع بحث تاريخي – التاريخ الإسلامي أنموذجا – "، أن نجيب على إشكالية أساسية مهمة و هي :

– إلى أي مدى يمكن أن ينعكس علم من العلوم المساعدة الكثيرة على اختيار الطالب موضوع بحثه و تجسيده على أرض الواقع، و الوصول به إلى مستوى عالٍ يفتح له أبواب التألق و الإبداع في سماء الكتابة التاريخية المتميزة، و ينتهي به إلى كشف أسرار الكثير من الحوادث التاريخية الغامضة ؟

أولا : اللغة و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي:

بحكم انتمائنا لبلد عربي يعتمد اللغة العربية كلغة رسمية يتوجب على الطلبة جميعهم التحكم في لغتهم الأم تحكما تاما، فلا يعقل أنّ الطالب في المرحلة الجامعية لا يتقن قراءة نص تاريخي بلغة عربية سليمة فصيحة خالية من الأخطاء النحوية، و لا يجيد كتابة فقرة سليمة المباني متناسقة المعاني،

فالتحكم في اللغة العربية أمر لا مناص منه للطلبة بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية ، فهو أمر يدخل في تكوين شخصية الطالب و تبرز مدى تعلقه بأصوله و وطنه و تاريخه .

و لا يكفي لمن يرغب في التخصص أو الانشغال بموضوع معيّن أن يقتصر على اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع ، بل عليه أن يكون ملما بفقه اللغة " Fhilolohy " ، و الذي يعد أيضا علما مساعدا ضروريا لدراسة التاريخ ، لأنّ اللغة تتطور و تتغير معانيها و معاني بعض مفرداتها من عصر إلى آخر ، فلا بد للمؤرخ إذا أن يفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذي يدرسه بدقة تامة ، و يستطيع الباحث في هذا المجال أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها مثل لسان العرب لابن منظور في اللغة العربية[1] .

و إذا أراد الباحث دارسة التاريخ القديم و القيام بأبحاث أصلية تعتمد الأصول الأولية في هذا الميدان وجب عليه أن يدرس كيفية قراءة النقوش القديمة ، و هذا ما يسمى بعلم قراءة الخطوط القديمة " Palcography "، وهو أيضا من العلوم المساعدة المهمة للتاريخ لاسيما دراسة الحضارات القديمة الكبرى، مثل قراءة الخط المسماري الخاص بحضارة وادي الرافدين، و الخط الهيروغليفي الخاص بحضارة وادي النيل ، و الخط المسند الخاص بكتابات الدول العربية الجنوبية في شبه الجزيرة العربية ، و الخطوط اليونانية و الرومانية القديمة[2] .

و قد يجد الباحث في التاريخ الإسلامي نفسه مضطرا إلى الرجوع إلى بعض المخطوطات[3] المحفوظة في أماكن متفرقة و التي لم تعرف طريقها للنشر بعد ، فقمن به أن يحسن التعامل مع هذا النوع من المصادر ، و لعل تمكنه من إتقان قراءة المخطوط الذي يكون غالبا مكتوبا بخط عربي قديم يختلف باختلاف المنطقة التي نسخ فيها يفتح له المجال واسعا للاستفادة منه بشكل جيد .

---

1 – عبد الواحد ذو النون طه، **أصول البحث التاريخي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص 44 .

2 – نفسه، ص 44، 45 .

3 – المخطوط : هو كل كتاب قديم كتبه المؤلف بخط يده أو كتب بخط أحد تلاميذه و لم يطبع (محمد قاسم الشوم، **منهجية البحث و علم المكتبات و تحقيق المخطوط**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص 181) .

ثانيا : العلوم الشرعية و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي:

تعتبر العلوم الشرعية مهمة جدا في الدراسات التاريخية الإسلامية لاسيما ما تعلق منها بالسيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم و تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، و لعل علوم الحديث أكثر العلوم الشرعية ارتباطا بالدراسات التاريخية .

و علم الحديث وضع المنهجية التي سلكها العلماء الأولون لإثبات الحديث و تنقيته من الدخيل بما وضعوا من موازين منضبطة و ما سلكوا من سبل تجمع بين المنهج السليم و الأمانة العلمية الواضحة[1] .

و يعد علم السير و معرفة الرجال و تاريخهم من أهم علوم الحديث التي لا يستغني عنها طلاب الحديث فضلا عن أئمته و علمائه ، و ذلك لكونه تعرف به أحوال الرواة و منزلتهم من الثقة أو عدمها ، و قد أولى علماء الحديث في القديم و الحديث علم التاريخ عنايتهم التامة ، فتفننوا في التصنيف فيه ، و إنّه من نافلة القول أن نذكر بأنّ من أشد العلاقات بين العلوم توطدا العلاقة بين علم التاريخ و علم الحديث ، حيث أنّ الذي يبحث في علوم الحديث (من جرح و تعديل و طبقات و غيرها) يحتاج إلى التاريخ لكي يضبط بعض الأشياء ، كما أنّ علم التاريخ يستفيد من علم الحديث في تصحيح الآثار التي ترد في كتب التاريخ ، كما أنّ مصطلح الحديث كان له أثره في منهج نقد الرواية في علم التاريخ ، و يعدّ علماء الحديث أول من نظّم نقد الروايات التاريخية[2] .

و يعتبر الإمام البخاري (ت 256 هـ/869م) أمير المؤمنين في الحديث صاحب أهم مصدر في الحديث عند أهل السنة و الجماعة من المحدّثين السابقين الذين عنوا بالكتابة التاريخية الخادمة لعلم الحديث ، و كتابه التاريخ الكبير من أهم الكتب التي تُعنى بالجرح و التعديل و الرجال ، و أما الإمام الحافظ الذهبي (ت 748 هـ/1374م) فيصنف في مرتبة عالية ضمن كوكبة المحدثين الذين عنوا بالتاريخ ، و كتبه تملأ رفوف مكتباتنا في مشارق العالم الإسلامي و مغاربه ، و الذهبي في كتبه مثال للمؤرخ الناقد ، فلم يكن جمعه للأقوال و الأخبار لتكثير الأوراق و تسويد الصحائف ، و إنما كان

---

1 – محمد علي الغامدي، **علم الحديث و علاقته بعلم التاريخ**، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، مجلد24، 2016م، ص 115 .

2 – نفسه، ص 117،118 .

تصنيفه و جمعه جمع الناقد الجهبذ الــذي يسبر الروايات و يمحص الأخبار و يبيّن الراجح من المرجوح[1] ، و لا يبتعد عنه من حيث جودة الكتابة التاريخية رواية و دراية قرينــه الإمام ابن كثير (ت 774 هـ/1372م) ، و كتابه القيّم البداية و النهاية من أهم المصادر في دراسة تاريخ الإسلام لاسيما في المشرق الإسلامي .

كما أنّ الإلمام بمختلف العلوم الشرعية الأخرى و على رأسها العقيدة و معرفة أصول الفرق الكلامية و الفقه و أصوله و غيرها تدفع بالطالب إلى توجيه اهتماماته لدراسة المواضيع التاريخية التي لها علاقة مباشرة بهذه العلوم ، فيقبل عليها من غير إدبار و يقدم من غير إحجام ، فيحيط بموضوعه و يدرك كنهه و يفك أسراره و يكشف غموضه ، و من ثمّ يرتقي بكتاباته و أبحاثه إلى مستوى راقٍ يؤهله لأخذ مكانته ضمن المؤرخين المشهود لهم بالكفاءة العلمية و الروح النقدية .

و يوضح لنــا أحد الباحثين المحققين الحاجة المــاسة للمؤرخ المتصدي لكتابة التاريخ الإسلامي للعلوم الشرعية بقوله : " إنّ ربط التاريخ الإسلامي بمختلف العلوم الشرعية أمر لا بد منه ، لأنّه تاريخ عقيدة و شريعة يختلف عن تاريخ بقية الأمم ، و إنّ أي مسألة تاريخية قد ترتبط بمسألة عقدية أو شرعية ، و قد تجد لتلك المسألة أصلا في العلوم الشرعية الأخرى كعلم العقائد و التوحيد و الفقه و أصوله "[2] .

و لا يفوتنا أن نذكر بما جنته المدرسة الإستشراقية على التاريخ الإسلامي من جرائم في شكل افتراءات و أباطيل حاولت تسويقها في سوق النخاسة التاريخي البعيد عن الالتزام بالمعايير العلمية و الموضوعية ، و قد جمعوا شتات هذه الأباطيل من مصادرنا المتنوعة و لم يعملوا فيها ما دعوا إليه هم قبل غيرهم من ضرورة التقيد بالمناهج العلمية النقدية الحديثة و التحلي بالموضوعية التامة ، و ما جاءت به كتاباتهم في أغلبها لا تفاجئ الباحث المسلم المدرك لحقيقة عمل هؤلاء ، فهم قوم متشبعون بروح العداء للإسلام الحنيف ، و أعمالهم لا تخرج عن إطارهــا الذي يعلمه الآن العـــام و الخاص و هو إطار الصراع الحضاري و الديني بين الشرق المسلم و الغرب النصراني الممتد عبر

---

1 – محمد عيساوي، **النقد التاريخي عند علماء المشرق الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة علوم، إشراف : أ.د خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2014-2015م، ص 198 .

2 – نفسه، ص 165 .

تاريخنا الإسلامي منذ بداية الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم إلى يومنا الحالي، و الأمثلة على تجني هؤلاء المستشرقين على ديننا و تاريخنا كثيرة جدا و خاصة ما ارتبط بالسيرة النبوية العطرة و تاريخ الصحابة الكرام، و لم يعدم المسلمون ردودا على هؤلاء بينوا فيها عوراتهم و فضحوا من خلالهـــا كذبهم و قذفوهم بسهام الحق من أدلة عقلية و نقلية فأصوبهم في مقتل، و من الردود و المؤلفات العلمية الممتعة و المفيدة في هذا الباب كتاب المحقق شوقي أبو خليل الموسوم بـ : " الإسلام في قفص الإتهام " ، فقد أحسن مؤلفه في وضع فصوله و أجاد في بيان شبه المستشرقين و أفضل من هذا و ذاك ردوده على دعاوى الحاقدين ، و الكتب في هذا الباب كثيرة تدل على أنّ المسلمين قديما و حديثا دافعوا عن دينهم و عقيدتهم بالحجة العلمية الدامغة .

و ما يؤسفنـــا حقا أنّ بعض المسلمين ممّن تتلمذ على يـــد هؤلاء المستشرقين تبنى أطروحاتهم و أفكارهم و راح ينشرها و يدافع عنها ، فنشطوا لأجلها و بذلوا في سبيل ذلك أعمارهم و سوّدوا صحائفهم مرتدين لباس البحث العلمي داعين للتجديد و التنوير ، فلبّسوا على كثير من المسلمـــين عامتهم و خاصتهم ممّن لم يتحصّن بالعلـــوم الشرعية النقلية ، فكانت النتيجة تحقيق ما رامه كبـــراء المدرسة الإستشراقية الغربية من انسلاخ حضاري و ضياع فكري و تيه علمي، و آخر دركات هذا المستنقع الآسن من الأفكار الهدامة الدعوة لنبذ أصول الإسلام و الإنعتاق منها شعارهم في ذلك تجديد الخطاب الديني و عصرنته .

فعلى المؤرخ المسلم الحاذق الذي يريد التصدي للكتابة في تاريخه أن لا يفصل بين الدراسات التاريخية و الدراسات الشرعية ، فهما كجناحي طائر لا يمكنه الطيران إذا فقد أحدهما ، و بسبب الفصل بين الدراسات المشار إليها آنفا أتيحت الفرصة لعدد غير قليل من الذين لم يتلقوا قدرا كافيا من علوم الشريعة للكتابة في التاريخ الإسلامي، و من ثمّ جاءت كتاباتهم صدى للدراسات الإستشراقية و تحمل كثيرا من لوثة الانحراف الفكري و الغزو الثقافي[1] .

---

1 – محمد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي و تدريسه**، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة(مصر)، ص 221 .

ثالثا : الجغرافيا و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي:

تعتبر الجغرافيا من أكثر العلوم ارتباطا بعلم التاريخ ، فإذا كان التاريخ يدرس الأحـداث و الأفعال الإنسانية الخاصة بالأمم و الأفراد عبر الزمن ، فإنّ الجغرافيا تدرس الحيّز الجغرافي الذي تقع فيه نشاطات هذا الإنسان عبر العصور، و لذا فإنّ دارس التاريخ مضطر دائما إلى تحصيل معارف جغرافية كافية لتحديد مواقع الحوادث من حروب و ثورات و هجرات ، و كذلك إثبات أسماء المواقع و الأمكنة[1] ، و قد تحكمت الجغرافيا في ظهور الحضارات في مواقع محددة ، كما منعتها الظهور في مواقع أخرى ، و تحكمت في اتصالها و صدامها و تفاعلها في أقاليم اختارتها الجغرافيا و لم يختارها التاريخ و لا الإنسان[2] .

و لقد لعبت الجغرافيا دورا هاما في أحداث التاريخ عبر مختلف الحقبات، فمثلا عاق البحر تقدم القائد المغولي تيمورلنك نحو أوربا الشرقية بعد هزمه السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة سنة 1402م ، و كانت قسوة الشتاء و ثلوجه عاملا هاما في فشل هجوم نابليون بونابرت على روسيا سنة 1812م ، كما تكررت نفس الأمور لهتلر القائد الألمـــاني في الحرب العالمية الثانية ، و كانت غابات فيتنام و أدغالها و وديانها و جبالها عاملا حاسما في هزيمة القوات الأمريكية[3] .

و ارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافي ، فتاريخ مصر على مرّ العصور تأثر بموقعها على ضفاف النيل و بسواحلها المطلة على البحرين المتوسط و الأحمر ، و كان لموقع مصر و تحكمها في طريق التجارة بين الشرق و الغرب عبر البحرين – حتى قبل حفر قناة السويس- أثره في ثراء دولة المماليك الحاكمة فيها ، و لما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح و تحولت التجارة مؤقتا إليه تأثرت بذلك دولة المماليك، و كان هذا العامل الجغرافي من أهم عوامل ضعفها و سقوطها[4] .

---

1 – محمد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ و التدوين عند العرب**، منشورات قان يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 2008م، ص 71 .

2 – محمود الحويري، **منهج البحث في التاريخ**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص 181 .

3 – محمد عبد الكريم الوافي، مرجع سابق، ص 73،72 .

4 – شوقي الجمل، **علم التاريخ نشأته و تطوره و وضعه بين العلوم الأخرى و مناهج البحث فيه**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص 86 .

و لذلك فإنّ المطّلع اطّلاعا جيدا على علم الجغرافيا بتخصصاتها المختلفة و في مقدمتها الجغرافية الطبيعية و السياسية يجد نفسه في رواق جيد يوصله بخطى ثابتة إلى ما يهدف إليه من دراسة علمية هادفة ، و لن يجد الطالب عنتا في أن يخوض غمـــار الغوص في أعماق المواضيع المرتبطة بصورة الأرض .

رابعا : علم الآثـــار:

لا يمكن للباحث في الآثار أن يكون بعيدا عن التاريخ فهو يرتبط به ارتباطا وثيقا ، و علم الآثار يبحث عن مخلفات الماضي و بقاياه الأثرية و استخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة في التنقيبات و دراستها لاستخراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي ، فالبحث عن الآثار أو التنقيبات هو في الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى ، أي عن أصوله و موارده ، و هي أولى المهام التي يضطلع بها المؤرخ الباحث[1] .

و لنقل أيضا إنّ علم الآثار يدرس ماضي الإنسان على ضوء المخلفـات القديمـة و النـادرة و محاولة تفسيرها و استنباط الحقائق التاريخية منها ، و هو علم يفحص هذه المخلفات لمعرفة تاريخها و لتحديد الحضارة التي أنتجتها و الأغراض الدنيوية التي كانت تستخدم فيها ، فهو يكب على دراســة المخلفات الأركيولوجية المتباينة من أطـلال المدن و القصور و المعابد و المسلات و المدافن و الأساليب القديمة للـري و الأدوات الحجرية و الفخارية و المعدنية و المنشآت المدنية و العسكرية و السدود و القناطر و الطرق و غيرها ، فلقد سجّل القدماء في كثير من الأحيان على هذه المخلفات شيئا من تاريخهم و معتقداتهم و نظمهم و انتصاراتهم العسكرية ، و من تمّ فإنّ مكانة الآثار في التاريخ لا يكاد يضاهيها أي مصدر مكتوب في هذا المجال[2] .

و تكمن أهمية دراسة علم الآثار في دراسة ماضي البشرية من حقيقة أنّ الشواهد الأثرية هي أقل عرضة للتلف و الفناء من غيرها من الشواهد التاريخية، و أكثر من هذه قدرة على مقاومة عوامل

---

1 – عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص 55، 56 .

2 – محمد عبد الكريم الوافي، مرجع سابق، ص 66 .

الطبيعة و عوادي الزمن و من عوامل التخريب المتعمد و الحرق و الإفساد الذي يحدثه العابثون بشواهد ماضي الأمم ، غير أنّ أمثال هؤلاء الجهلة قد ينجحون أحيانا في طمس المعالم الأثرية[1] .

و قد حدث هذا التخريب المتعمد الهمجي في بلادنا ، فقد عمد المستدمر الفرنسي الصليبي الإرهابي منذ تدنيسه أرض الجزائر الطيبة إلى تدمير و طمس الكثير من المعالم الحضارية الإسلامية في كثير من مدننا و إضفاء صبغة غربية عليها، و ذلك بهدف قطع صلتها بماضيها و فصلها عن أمتها العربية الإسلامية .

و من نقائص المناهج الدراسية في أقسام التاريخ في جامعاتنا إهمالها لعلم الآثار و عدم إيلائه أهمية تذكر ، فلا يكاد الطالب يعرف عنه شيئا، و إدراجه كمقياس في السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية لن يفيد الطالب في شيء ، بل الواجب على المجالس العلمية و الهيئات المشرفة على المناهج الدراسية الجامعية إدراج مقاييس علمية متخصصة نظرية و تطبيقية باقتراح من أساتذة علم الآثار ، فيجمع الطالب بين العلم النظري المتحصل عليه من المصادر المختلفة و نظيره الماثل أمام أعينه في أرض الواقع من مخلفات مادية أثرية متنوعة ، و حينها ندفع بالتاريخ إلى مستوى أرقى يعود بالفائدة الجمة لا محالة على الدراسات التاريخية بمختلف تخصصاتها .

خامسا : علم النميات (المسكوكات):

تعد المسكوكات أو النقود وثائق تاريخية لا يمكن الطعن فيها بسهولة ، و هي مهمة في إعانة المؤرخ على الوصول إلى الحقائق التاريخية لأنّها بما تحمله من كتابات و رسوم و علامات تقدّم مادة أساسية يمكن أن تخدم الباحث في ضبط الأسماء و التواريخ و تعطي فكرة عن الأحوال التاريخية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الدينية للفترة التي يُؤرخ لها ، كما يمكن أن يستخلص من النقود معلومات ثمينة عن الأحوال المعيشية و الأسعار و أسماء الملوك و الحكام و دور الضرب التي سكت فيها هذه النقود ، كذلك يمكننا أن نحكم على أهمية التبادل التجاري بين الأمم من خلال العثور على المسكوكات القديمة في مناطق مختلفة من العالم ، فعلى سبيل المثال إنّ العثور على كميات وفيرة من النقود العربية في أماكن بعيدة كبحر البلطيق و اسكندنافيا يعد دليلا ملموسا

1 - نفسه.

على قيام تجارة واسعة النطاق بين العالم الإسلامي و هذه المناطق النائية[1] ، و يمكن أن نستفيد من المسكوكات الإسلامية في جوانب متعددة من تاريخنا و تحديد الكثير من المسائل التي نصت عليها المصادر المدونة[2] .

و قد يحدث العكس تماما ، فقد تبيّن العملة أخبارا و حقائق تاريخية غير تلك المشتهرة في الكتب و المدونات التاريخية ، و من الأمثلة على هذا أنّ السكة المضروبة في أيام عبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي في بلاد المغرب تثبت أنّ اسمه عبد الله و ليس عبيد الله ، و حسب القطع النقدية المنشورة و المدروسة فلا توجد قطعة واحدة بصيغة التصغير[3] ، و إنما مؤرخو المغرب من أهل السنة هم من روجوا لاسمه بهذه الصيغة فأصبح معروفا بها في تاريخنا الإسلامي .

سادسا : علوم مساعدة أخرى:

و هناك الكثير من العلـــوم المساعدة التي تساعـــد المؤرخ في عملـــه و منها علم الوثائق ، و هو الذي يُعنى بدراسة الوثائق و نقدها و تحديد أزمانها ، و الوثائق في اصطلاح المؤرخين هي الكتابـــات الرسمية مثل الأوامـــر و القرارات و المعاهـــدات و الاتفاقيات و المراســـلات السياسية و الكتابـــات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أن نظمهم و تقاليدهم أو المشروعـــات أو المقترحـــات المتنوعـــة التي تصدر عن المسؤولـــين في الدولة أو التي تقدم إليهم أو المذكرات الشخصية أو اليوميات[4] .

و يتصل بعلم الوثائق دراسة علوم أخرى خاصة بالأختام و الرنوك التي تمهر بها الوثائق ، و كان لمعظم الحكام و الأمراء و الخلفاء المسلمين أختام خاصة بهم عليها شعارات و عبارات معينة تميزها عن غيرها ، و كانوا يستعملونها في توقيعاتهم على الوثائق و السجلات التي يختم بها[5] .

---

1 – عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص 49 .

2 – نفسه، ص 50 .

3 – صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 283 .

4 – عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص 46 .

5 – نفسه، ص 47 .

و علم الاقتصاد من أشد العلوم لزوما للمؤرخ و أصبحنا ندرس تاريخ الإنسان الحضاري على أنه تدرج من الالتقاط إلى الرعي إلى الزراعة إلى الصناعة و هكذا ، و أصبحنا نقيس حضارة الإنسان بمدى استغلاله لما تقدمه له البيئة من إمكانيات، و مدى تغلبه على العقبات التي تعترض طريقه في سبيل تذليل حياته و سد احتياجاته ، و رغم التطور الذي حدث في الحضارة البشرية فليس من شك في أنّ الشؤون الاقتصادية قد عادت من جديد لتفرض نفسها كعامل قوي فعّال يؤثر في علاقات الشعوب و في تحركاتها[1] .

و كذلك الأدب فهو وثيق الصلة بالتـــاريخ ، و هو تعبـــير عن عواطف الإنسان و أفكـــاره و هو يصور أحلام البشر و أمانيهم و واقعهم و يرسم جوانب مختلفة من حياة الأفراد و الجماعات و قد دأب كثير من المؤرخـــين على كتابـــة أبحاثهم بأسلوب يتم على حساب الوضوح في الكتابة و يقدموا الروايات التاريخية ضمن إطار خال من الطلاوة ، و الواقع أنّ المؤرخ الذي يكتب تاريخا لا يستمتع به أحد يعتبر مؤرخا رديئا بقدر ما يبعثه من ملل ، فهو بحكم مهنته مسؤول عن تدوين حوادث الماضي و أن يبتعث الجو الذي وقعت فيه تلك الحوادث[2] ، و دراسة الأدب بوجه عام توسع مدارك الإنسان و تجعله أقدر على الفهم و الاستيعاب[3] .

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره ندرك أنّه لا مفر للطالب من التحكم بوجه عام على أقل تقدير في كثير من العلوم المساعدة التي تكون بمثابة السند القوي الذي يشدّ به ساعده و يقوي به عزيمته ، و يستمد منه الشجاعة العلمية في اختيار مواضيع بحوثه دون خوف من عدم بلوغ الغاية أو عجز عن الوصول إلى المصادر أو شك في عدم القدرة على الوصول إلى المعلومة أو استصعاب لما قد يلاقيه أثناء سعيه في أبحاثه .

و يزداد هذا الأمر تأكيدا للطالب الباحث في تاريخ الإسلام خاصة ، إذ أنّ المسؤولية الملقاة عليه تكون أكبر ، فكثير من البحوث التاريخية ترتبط بالدين الإسلامي الحنيف ، و لا فاصل بين

---

1 – شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 89 .

2 – محمود الحويري، مرجع سابق، ص 195 .

3 – نفسه، ص 196 .

الأمرين إلا خيط رفيع لا ينقطع إذا كان الطالب يحسن الإحاطة بعلوم الشريعة من عقيدة و حديث و فقه و أصوله و علوم اللغة و غيرها ، و هذا من شأنه أن يوصل الطالب إلى درجة يتميز من خلالها عن أترابه ممّن حُرم ناصية هذه العلوم و كانت بضاعته فيها مزجاة .

– قائمة المصادر و المراجع:

– شوقي الجمل، **علم التاريخ نشأته و تطوره و وضعه بين العلوم الأخرى و مناهج البحث فيه،** المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

– صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد،** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

– عبد الواحد ذو النون طه، **أصول البحث التاريخي،** دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص 44 .

– محمود الحويري، **منهج البحث في التاريخ،** المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

– محمد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي و تدريسه،** دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة(مصر).

– محمد قاسم الشوم، **منهجية البحث و علم المكتبات و تحقيق المخطوط،** دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.

– محمد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ و التدوين عند العرب،** منشورات قان يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 2008م.

– محمد علي الغامدي، **علم الحديث و علاقته بعلم التاريخ،** مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، مجلد24، 2016م.

– محمد عيساوي، **النقد التاريخي عند علماء المشرق الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م،** أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة علوم، إشراف : أ.د خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2014-2015م.

التغيرات الهيكلية في وزارة الثقافة وآثارها على الأرشيف

الأستاذة: موشموش أسية

قسم علم المكتبات و التوثيق

جامعة أبو القاسم سعد الله (جامعة الجزائر2)

التغيرات الهيكلية في وزارة الثقافة وآثارها على الأرشيف

مقدمة

قد أصبح الأرشيف من ضروريات الإدارة الحديثة فهو مرتبط بوحدات الجهاز الإداري لذا لابد من ترتيبه وفق النظام الإداري المعتمد، فهو يساعد الإدارة في عملية تسيير أغراضها بشكل جيد كذلك إمدادها بما يلزمها من بيانات ومعلومات لذا قام عدة منظرين في علم الأرشيف بوضع أسس ومبادئ لتنظيمه فمنذ، ظهور مصطلح الحديث للإدارة أصبحت الدول المتطورة تنظر للأرشيف نظرة جديدة على أنه إحدى الوحدات الأساسية التي يمكن أن تعتمد عليها في قيام بأعبائها، كذلك هو جملة من الوثائق التي تعكس نشاط الشخص المادي أو معنوي.

تتكون هذه الإدارات من أنشطة وظائف و تتواصل فيما بينها بواسطة وثائق إدارية وتعتبر بعد مدة ذاكرة الجهاز الإداري ، حيث يستوعب الأرشيف كل الأعمال والأنشطة التي تم تنفيذها كما أنها شواهد ملموسة للإدارة بسبب أنها تكون معبرة عن سياساتها وجميع الأنشطة اليومية التي تقوم بها لغرض تنفيذ أعمالها ، وكذلك عنصر هاما للبرهنة على مصداقية جميع الأعمال التي تقوم بها الإدارات الحكومية .

فقد تتمتع هذه الإدارات الحكومية بنوع من الاستقرار ، على مستوى جهاز الإداري هنا يمكننا بسهولة أن نرسم حدود مجموع وثائق كهذه ، وتحديد أنها مطابقة لرصيد الهيكلي فإذا تعرضت هذه الإدارات إلى إصلاحات إدارية في فترات مستمرة يتأثر على أرشيفها فهي وحدة من وحدات التنظيمي، وقد تختلف مكان تنظيم الأرشيف وحفظ الأرشيف حسب هذه التغيرات فتارة نجدها حاضرة في هيكل التنظيمي وتارة نجدها تحت مسميات أخرى وتارة تكون مغيبة هذا في حالة الجهاز الإداري أما إذا وجدت عملية الضم أو الإلغاءات وجدت حالات أخرى أثرت على الأرشيف ،وجعلت هذه الإدارات الحكومية بعد مدة من الزمن تعاني من تضخم الوثائق وصعوبة وجود الحلول الممكنة. ففي وزارة الثقافة عرفت هذه الأخيرة تغيرات إدارية إما بضمها إلى وزارة أخرى أو ضم وزارة أخرى إليها، وقد تأثرت بتلك التغيرات وتضرر جهازها الإداري وانعكس على سير وثائقها.

إن هذه الدراسة تعبر عن حركة الأرشيف جراء عدم استقرار جهاز وزارة الثقافة وهذا منذ تأسيس هذه الأخيرة أي من سنة 1962م إلى 2012م، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة عدة تقارير التي قام بها مدير الأرشيف الوطني السابق،وكذا بعض التقارير قام بها مكتب الأرشيف آنذاك ،وقد أثرت على تشكيل الرصيد وتسيير الوثائق في الوزارة.

1- الرصيد الأرشيفي : تعريفات ومفاهيم :

حتى يوجد ترتيب إداري سائد لتنظيم الوثائق في وحدات وحتى يتسنى استعمال المعلومات التى تحملها في طياتها يجب على الوثائق الأرشيفية أن تكون مجتمعة ومتكاملة أثناء مزاولة نشاطاتها

1 – 1– تعريف الرصيد عند بواتيه (Bautier):

"مجموعة من الوثائق الأرشيفية متكاملة مختلفة الأشكال التى تمت عملية تجميعها بصفة طبيعية من جهاز إداري عن شخص طبيعي أو معنوي بحكم وظيفته أو نشاطه، وهذا يعني وجود ضمن الرصيد كل من محاضر الجلسات أو المراسلات الأصلية والصور المراسلات المستلمة، وكذلك الوثائق الناتجة عن نشاط داخلي في الإدارة، والمجاميع الموروثة من أجهزة الأخرى تكون قد خلفت من إدارات قبلها بصفة كلية أو جزئية ."[1]

1– 2 تعريف الرصيد عند هيلاري جنكنسون:

"هو نتاج عمل إدارة ما كانت لها في حياتها وحدتها العضوية وتكاملها الذاتي وقادرة على أداء عملها باستقلالية دون إضافة أو تدخل السلطة العليا أو الخارجية مع أي طرف وأي صفقة التي تقدم لها بشكل عادي ."

Archive group and defined it as « The archives resulting from the work of an administration which was an organic whole ,complete in itself ,capable of dealing independently ,without

[1]- Robert-Henri,Bautier . La Notion d'archives :Fonds et documents , **In Manuel d'archivistique,** Paris, Direction des archives de France,1970,P 23.

any added or external authority , with every side of any business which could normally be presented to it . »[1]

3-1 مفاهيم حول رصيد الأرشيف :

يقول Carol Couture في تعريف الرصيد "هل من الضروري تذكير أن الرصيد الأرشيفي هو تجمع فكري للمعلومات مدونة في أوعية مختلفة والتي في أغلب الأوقات مبعثرة ماديا بهذا المعنى ندعم اقتراحات سيلفان سنيكالا(Sylvain Senécal) الذي يحبذ أن يكون الرصيد وحدة فكرية أكثر من كونها مادية ومعنوية حيث كانت هذه النظرة سائدة عن الرصيد الأرشيفي ، ويكفي أن نقوم بزيارة أي محل أين يقبع فيه الأرشيف لتأكد من ذلك .

ونزداد فهما للحقيقة التي هي الرصيد الأرشيفي ونكشف الأسس عندما نأخذ بعين الاعتبار القيمة المضاعفة المرتبطة بكل وثيقة أرشيف مهما كان سندها أو طبيعتها، وأن مجرد وجودها يشهد عن المعلومة أو المعلومات الموجودة في الوثيقة، و في المقابل إن تجميع كل أرشيف صادر من شخص مادي أو معنوي أو مجموعة يسمح في بعض الأحيان بالإنشاء السياق الذي وقع فيه الحدث محيط بالشخص أو الهيئة باختصار هذه المجموعة تعيد السياق أو هذا المحيط في الزمان والمكان وتبرزها من خلال تقديم رؤية مستقبلية كذلك القيمة الإثباتية التي يتضمنها الأرشيف كدليل مميز وموضوعي لمكونات الحياة "[2]

" الأشخاص المعنويين أو الماديين الذين شكلوه وتنقسم القيمة الإثباتية هذه بدورها إلى قيمة إثبات إدارية وقيمة إثبات قانونية ،وقيمة إثبات مالية وقيمة إثبات تاريخية وعلينا أن نؤكد الآن أن القيمة الإعلامية وقيم الإثبات مطبقتان على كل الوثائق الأرشيفية مهما كان عمرها كما يضيف أنها مجتمعة تلقائيا وعضويا دليل على وجود الطابع التراكمي للتسلسل التلقائي ناتج عن النشاطات ذاتها التي يقوم بها الشخص المادي أو معنوي، ونسق التنفيذ كذلك الربط وبالمهمة و الولاية القانونية

1- Stapleton,Richard, Jenkinson and Shellenberg a comparaison,
In Archivaria,1983,n°17,p79.

2- Jean-Yves Rousseau, **Les Fondements de la discipline archivistique**, Québec , Presses de l'université du Québec , 2008, p 72

والأهداف للشخص المادي أو معنوي، وأن لفظ جمع هو في حد ذاته يشمل أكبر قدر من الوثائق المنتجة وتلك المستلمة ."[1]

أما في ما يخص التعريف جنكسون لرصيد فيقول ميشال دوشان: "إن هذه العبارة ظريفة ولكن في الواقع لا تحل شيئا كثيرا، فلا تملك أي إدارة السلطة المطلقة لتنظيم شؤونها (دون تدخل سلطة عليا أو خارجية)، وفيما يتعلق بالقدرة على أداء عملها باستقلالية . ويمكن أن نقول هنا أيضا لا يستجيب أي تعريف لهذا الأخير، لأن ميزة كل إجراء إداري هي أن تكون معالجا بالتتابع على مستويات متعددة يترابط بعضها بالبعض الآخر "[2]

ويحذو Carole Couture حذو ميشال ديشان و يقول: "فعلا،هل هناك اليوم إدارة تمارس إلى هذا الحد سلطة كاملة على جميع الجوانب ومحيطها والذي يسير في نطاق واسع مغلق."[3]

1 – 4 معايير تعريف الرصيد :

"من الممتع أن يكون لجميع أرصدة الأرشيف بلا استثناء منتج واحد وتتضمن كل المعلومات الأساسية، وأن تكون مغلقة عند الحصول عليها، في حين أن الواقع يثبت أن تشكيل الأرصدة لا تستجيب دوما إلى المتطلبات النظرية أو المنطقية، وأن هذا الوضع يعقد بشكل فردي وظيفة الأرشيفي، ولهذا السبب فالغاية الأولى للتقنين في مجال تخصصنا هي إعداد معايير خاصة بتعريف الرصيد .

حسب قاموس مصطلحات الأرشيف فالرصيد الأرشيفي هو وثائق الأرشيف من كل نوع المجتمعة لشخص مادي أو معنوي أو مؤسسة عند ممارسة مهامها ونشاطاتها، وهذا يعني أن الرصيد هو صنيعة منتج وحيد ولا جدال فيه، وأن وثائقه المكونة تنصب على كامل نشاطاته ومهامه، ومن خلال هذه المعطيات يجب على الأرشيفي أن يحدد معالم الرصيد. أو أن يقرر أن الوثائق التي توجد بين يديه لا تستحق تسمية الرصيد لأن كل شيء يعتمد على معرفته بالنشاطات أو الوظائف أو الأحداث أو أشخاص الذين يتعامل معهم ، وعلى قدرته في تحديد كل وثيقة أو مجموعة وثائق مقارنة بمجملها .

1- Ibid, P73-74.
2 Michel,Duchein, **Le Respect des fonds en archivistique**, p78.
3 Jean- Yves Rousseau, Op. Cit ,p76.

في عمله يمكن للأرشيفي أن يعتمد على ثلاث عناصر أو معايير تكميلية وهي الفترة المعنية المحتوى وكمية الوثائق ، وبفضل معرفته لتاريخ منتج الوثائق، فبمقدوره معرفة الوثائق الأرشيفية التى تنصب على مجملها أو قسم منها لا ينتمي إليها، وإذا كان المحتوى يمثل كليا أو جزئيا وظائفه، ونشاطاته "[1]

2– الأرصدة المفتوحة والمغلقة :

إن تطوير مفهوم الرصيد الأرشيف فيما يخص الوثائق النشيطة والوثائق نصف النشيطة على حد سواء والأرشيف النهائي يزيد في حسابنا أهمية تمييز بين الرصيد المفتوح والرصيد المغلق يبدو بديهيا كما أثبته ميشال ديشان أن هذا التمييز أساسي من أجل تنظيم أرشيف الهيئات التي وقع عليها تغيرات في العهدة، علاوة على ذلك تقديم هذه المفاهيم رد على نقاط التي أثارها مريال دويل فيما يخص تطبيق مفهوم الرصيد على الوثائق النشيطة ونصف النشيطة .

2 –1 – تعريف الرصيد المفتوح :

هو مجموعة وثائق التي يمكن تزويدها بوثائق أخرى مثال أرشيف وزارة مازالت مستمرة أي إدارة هذه الوزارة تنتج أو تزود بوثائق باستمرار .

2– 2 – الرصيد المغلق :

"هو مجموعة من الوثائق الأرشيفية الذي لا يضاف إليه وثائق أخرى باعتبار المنتج لم يعد موجودا سواء تعلق الأمر بإدارة أو مؤسسة .

إن غلق الرصيد يحيلنا إلى نشطات أو وظائف لم تعد تنتج وثائق وليس الوثائق ذاتها ، كما يمكن إضافة وثائق إلى الرصيد المغلق إذا اكتشفنا جزءا من مراسلات ذلك المنتج وهذا لا علاقة له باستعادة نشاطه لكن باكتشاف وثائق أنتجت عندما كان الرصيد مفتوحا "[2]

3 – مستويات الرصيد:

"يتكون الرصيد الأرشيفي من مستويات التالية :

1 - Jacques,Ducharme , **La Normalisation en archivistique** ,p106.
2- Jean-Yves ,Rousseau ,Op. Cit ,p 74 - 75.

– **رصيد الفرعي**: جزء من رصيد يتطابق التقسيم الإداري للمؤسسة أو هيئة المنشئة . يتألف الرصيد الفرعي وفق تجميع الوثائق على أساس المعيار الجغرافي أو الوظيفي أو معيار أخر وعندما يكون التنظيم الهيكلي للجهة المنشئة متشعبا .

"يتم تجزئة الرصيد الفرعي بما فيه الكفاية من أجزاء حتى تبرز جليا كل مستويات التنظيم الهيكلي للجهة المنشئة

– **السلسلة** : مجموعة وثائق تعتبر وحدة متجانسة لأي سبب نابع من مصدرها أو من استخدامها أو شكلها أو من نظام ترتيبها الأرشيفي .

– **ملف**: جملة من وثائق تم تجميعها إما من قبل المنشئ لها لاستخدامها الجاري أو عبر مسار ترتيب وثائق الأرشيف، لكونها تخص نفس الموضوع أو نفس القضية يمثل الملف عادة الوحدة الأساسية داخل المجموعة .

وثيقة مفردة: هي أصغر وحدة ذهنية للأرشيف مثل رسالة والمذكرة والتقرير والصورة الشمسية والتسجيل السمعي."[1]

يقول Albert Mban في كتابه مشاكل الأرشيف في إفريقيا: "إن الملف دليل على مرافقة الأغراض والأعمال أما الأرصدة هي وسيلة إثبات على وجود وظيفة أو مديرية أو مصلحة أو تفرعات في إدارة ما وهذا يعنى أن الملف والرصيد هما أساس كل ترتيب في الأرشيف كل وثيقة تأخذ مكانها في الملف وكل ملف جزء لا يتجزأ من الرصيد." [2]

4– الهيئات المنتجة للأرصدة الوثائقية:

"حسب ميشال ديشان (Michel Duchein)ينبغي على كل هيئة أن تستوفي الشروط التالية يتم الاعتراف بها على أنها منتجة لأرصدة وثائقية :

أ– يكون لها اسم وهوية قانونية خاصة بموجب سند (قانون ، مرسوم ، قرار ، .....إلى آخره) مضبوط ومؤرخ.

1- Conseil international des archives , ISAD(G) :**Norme générale et internationale de description archivistique** , Paris , Conseil international des archives ,2000.

2 - Albert,Mban , **Les Problèmes des archives en Afrique :A quand la solution ?,** Paris , L'Harmattan, 2007, p 82.

ب- تملك صلاحيات دقيقة وثابتة، يحددها نص ذو قيمة قانونية أو تنظيمية موقعه في الهرم الإداري.

ج- يحدد بوضوح موقعها وسط النظام التسلسلي بدقة بواسطة العقد الذي أوجدها، ويجب بالخصوص أن تعرف بوضوح تبعيتها لهيئة أخرى ذات مستوى أعلى ."[1]

د- يجب أن يكون لها رئيس مسؤول، يتمتع بسلطة القرار المتوافقة مع مستواه التسلسلي بعبارة.

أخرى يجب أن تستطيع معالجة شؤون تخصصها دون الحاجة إلى عرضها حتميا على السلطة عليا (هذا يعني بطبيعة الحال أنه يجب أن يتمتع بسلطة القرار بالنسبة إلى كل الشؤون. بعض الشؤون المهمة يمكن أن تستدعي عرضها للقرار على رتبة أعلى للتسلسل الإداري.

لكن لتتمكن هيئة من إنتاج رصيد أرشيف خاص بها ، يجب أن تتمتع بسلطة القرار على الأقل بالنسبة لبعض الشؤون)."[2]

"هـ- يجب أن يكون نظامها الداخلي بقدر الإمكان معروفا ومثبتا في الهيكل التنظيمي."[3]

" إن تطبيق المبادئ الخمسة ينتج عنها ما يلي :

- الدوائر أو الأقسام الداخلية لهيئة التي لاستجيب للشروط المطلوبة لا تستطيع إنتاج رصيد.

- في المقابل ، كل هيئة تحتكم على وجود قانوني ومستوى التخصصات معين ينتج رصيدا أرشيفيا حتى ولو كان تابعا لهيئة أخرى في مستوى أعلى .

- إن الهيئات التابعة لهيئة مركزية تنتج أرصدة أرشيفية خاصة بها

في الأخير ، يبدو لامناص من إدخال في علم الأرشيف مفهوم جديد وهو مفهوم التسلسل الأرصدة الذي يتطابق مع تسلسل الهيئات المنتجة مقارنة بأخرى. "[4]

1- Robert,Nahuet, L'Archivistique contemporaine à l'âge adulte , Pertinence et actualité du respect des fonds, **In Archives** ,vol.41,n°1 ,2009 , p47.
Disponible :http://www.archivistes.qc.ca/revuearchives/vol41_1/41_1_nahuet.pdf

2- Robert,Nahuet, L'Archivistique contemporaine à l'âge adulte :Pertinence et actualité du respect des fonds**, In Archives** ,vol.41,n°1 ,2009 ,p47.
Disponible :http://www.archivistes.qc.ca/revuearchives/vol41_1/41_1_nahuet.pdf

3- Ibid ,P 48.

4- Michel,Duchein, **le respect des fonds en archivistique :Principes théoriques et problèmes pratiques**, p80.

"– ضمان احترام تكامل الأرصدة، أي التطبيق الصارم لمبدأ احترام الأرصدة في معناه المحدود للتعريف بالمنشأ، المؤسس.

– ضمان تجميع متجانس ومنطقي للأرصدة الأرشيفية بتسهيل وضعه الدقيق على مستوى مخطط التصنيف .

– الحد على الأقل من الحالات الاستثنائية والتفسيرات الشخصية لمنشأ الرصيد"[1]

3– 1 مبدأ احترام الأرصدة :

حسب ديشان(Duchein) فإن هذا المبدأ يتمثل في ترك الأرشيف (الوثائق مهما كان نوعها) الصادرة من إدارة، أو مؤسسة، أو شخص طبيعي، أو معنوي، مجمعة بدون خلطها مع وثائق أخرى هذا ما نسميه رصيد لهذه الإدارة، أو المؤسسة، أو لهذا الشخص ويشير ميشال ديشان إلى ضرورة الاحتفاظ فيما بعد بالهيكل الداخلي للوثائق من نفس الرصيد قدر الإمكان حتى يتسنى معرفة ترتيب الأصلي .[2]

ويؤكد سكوت (Scott) وجود هذين المستويين :

1 – "يجب أن يحتفظ بالأرشيف في سياقها الإداري، بمفهوم (أ) وحدة المكتب والشخص الذي أنتجه و(ب) نظام الوثائق الإدارية الذين يشكلون جزء منه .

2- يجب أن يبقى الأرشيف حسب الترتيب التي أنشأت فيه، أو النظام التي أدخلت أو أدمجت وثائقها فيه."هذه الترجمة لمضمون النص الأصلي التالي:

1- Archives should be kept in their administrative context ,in the sense of both (a) The office unit and person producing them and (b)the records system of which they form a part.

1- Carol,Couture , **Les Fonctions de l'archivistique contemporaine**, p 230.

2 - Basma,Makhlouf , **La Contribution des principes de l'évaluation archivistique aux qualités des archives définitives,** (thèse de doctorat en sciences de l'information) ,2009,p107. [Consulté le 6 nouvembre 2013]. Disponible à l'adresse : https://periodicos.ufsc.br/index.php/eb/article/download/1518.../19838

2- Peter,Scott , The Record group concept :A case for abandonment ,**In American archivist** 1966,n°29,493.

2- Archives should be kept in the order in which they were produced ,entered on records, or incorporated into a record system." [2]

3 – 2 ميلاد المبدأ:

برزت عبارة احترام الرصيد في القرن التاسع عشر وتعني وجوب إبقاء على الأرشيف مجمعا حسب النظام الذي كانت محفوظة فيه من نفس الهيئة (عمومية أو خاصة) وكما لا يخفى على أي أرشيفي فإن هذا المبدأ جاءت صياغته لأول مرة في شكل قانوني عن طريق تعليمة صادرة عن وزارة الداخلية الفرنسية موجهة للأرشفيين في مختلف المحافظات، والتي حررها المؤرخ الدبلوماسي Natalis DeWailly في 24 أفريل 1841م ،وقد عرّفت هذه التعليمة الرصيد بأنه كل الوثائق التي لها علاقة مع المؤسسة أو العائلة أو فرد دون مزجها مع غيرها .

في الحقيقة إن مبدأ الحفاظ على وثائق الأرشيفية في السياق الأصلي قد تم تصميمه قبل عام 1841 و أن Elio Lodolini في كتابه Archivistica :Principi e problemi يذكر أمثلة عن اسبانيا في القرن 14، وفي ايطاليا، وفي ألمانيا في القرن 18 [(1)]ويقول إليو لودليني بشأن ايطاليا "كان الأرشيفي (B .Dezcoll)ملزم بوضع الوثائق في الخزانة أو الدرج حسب منشأها أي حسب المكتب المنتج لها في الأرشيف العام .بعد ذلك بقليل وذلك عن طريق أمر بتاريخ 13 مايو سنة 1334 قام به ألفنسو الرابع عشر كما أمر بوضع طابع السرية على الأرشيف." هذه ترجمة لمضمون النص الأصلي التالي في الصفحة الموالي

''L'archivista (B.Dezcoll) aveva l'obbligo di assegnare ai documenti di ciascuna provenienza,cioé a quelli versati da ciascun ufficio produttore, un apposito armarium oscrinium ,oparte di esno,nell'archivio generale : era cioé

1- Michel,Duchein , **Le Principe de provenance et la pratique du tri ,du classement et de la description en archivistique contemporaine**,1997 ,p. 87.[Consulté le 4 janvier 2014] Disponible à l'adresse :www.arxivers.com/…/756-11-le-principe-deprovenance-et-la pratique-d.

prescritto il rispetto dei fondi . Poco piÚ tardi, con provvedimento del 13 maggio 1334 dello stesso alfonso 14 ,l'archivio fu dichiarato segroto .''[1]

و يقول إليو لودليني في مقال آخر أن هذا المبدأ قديم يعود بوادره إبان الحضارة الرومانية القديمة.[2]

ما لم يقله ناتالي دوويلي بوجه خاص في هذا المنشور أن الوثائق الموجودة داخل الرصيد تصبح محفوظة وفق الترتيب الأصلي وهو الخطأ الذي يمكن تفسيره بحالة الفوضى التى كان عليها اغلب الوثائق الأرشيف الفرنسي بعد التقلبات الناتجة عن الثورة كان من غير المفيد أن يؤمر بحفظ بترتيب ما، والذي في أغلب الحالات لم يعد لها وجود [3]

قام عدد من الأرشيفيين الأوربيين ببعض التعديلات والإضافات لهذا المبدأ ليلائم احتياجات دور الأرشيف في بلادهم "[4]، "وكان شرف ذلك يعود إلى الإيطاليين والألمان والهولنديين حيث عرضوا طبيعته وعواقبه،و في عام 1867، أرسى الأرشيفي فرانسيسكو بونيني Francisco (Bonaini) القواعد النظرية التي عمها على جميع القطر الإيطالي "[5]

عام 1875 ، والذي حسبه يجب على الوثيقة أن تكون ضمن هذا الرصيد في المكان المخصصة لها، و إن الانتماء إلى هذا الرصيد والمكانة التي تحتلها الوثائق فيه ليست نتاج إنشاء مصطنع ولكن من طبيعة عضوية للرصيد كما هو معرف في كتب الأرشيف[6] لقد ذاع مبدأ احترام الرصيد في جميع الدول الأوروبية اعتمده الأرشيفيون البروسيون وعززوه تحت اسم مبدأ المنشأ وقد طبق في عام 1881 على أرشيف المركزي في برلين ثم وسع في بداية 1896 لجمل المستودعات الأرشيف في

1- Paul, Delsalle, **Une Histoire de l'archivistique Québec** , Presses de l'université du Québec ,2000, p 87.

2- Julie,Lauvernier, Classer **et inventorier au 19ésiécle : Administration des fonds et écriture de l'histoire locale dijonnaise par l'archiviste Joseph –François Garnier :1815-1903**,(thèse de doctorat en histoire),2012, p316. [Consulté le 4 mars 2014]. Disponible à l'adresse :http://hal.archives-ouvertes.fr/docs/00/80/80/73/pdf/these_A_ALAUVERNIER_julie_2012.pdf

3- Michel,Duchein , Le Principe de provenance et la pratique du tri ,p 87.

4- سالم عبود الآلوسي ، **لأرشيف : تاريخه ،أصنافه ، إدارته** ، بغداد ، دار الحرية ، 1979 م، ص 73 .

5- Christine,Nougaret , Classement et description des principes à la pratique ,**In La Pratique archivistique francaise** ,1993,p 136.

6 - Christine,Nougaret .Op.Cit,P136.

المقاطعات[1]ويعتبر ماكس ليمان (Max Lehmann)أول من أعد سنة 1881 نظاما لترتيب الأرشيف و Varga في مقال له سنة 1939 حول مبدأ المنشأ تكلم على نظام 1881 "نظام سبيل " والأمر الصحيح أن سبيل مدير أرشيف بروسيا منحه توقيعه الرسمي وأمر بتطبيقه وتم انتقال من احترام الأرصدة على الطريقة الفرنسية إلى مبدأ المنشأ على النمط البروسي كان احد مميزات إدارة سبيل بين سنة 1875 و 1895 [2]،وفي سنة 1897 صدر منشور في هولندا ينص على تطبيقه وفي السنة الموالية ظهر كتاب حول ترتيب ووصف الأرشيف Manuel Pour le) classement et la description)الذي قام به الأرشيفيون الهولنديون مولر وفيث (Feith)وفروين(Fruin)

وبعده جاء هيلاري جنكسون وأصدر كتابا سنة 1922م لممارسات الأرشيفية الأوروبية في القارة الأمريكية.[3]

وابتداء من عام 1909م كرست الجمعية الأمريكية جزء من اجتماعاتها السنوية لمناقشة مبدأ المنشأ الذي سرى مفعوله على أرشيف أوتاوا عام 1912م، والذي قبلته كندا في حدود عام 1920م .[4]

2 –3 مبدأ احترام الرصيد والرصيد المغلق :

لما صاغ كل من نتالي دوويلي وفرنسيسكو بنيني،وماكس ليمان والأرشيفيون الهولنديون مولر وفايت وفروين في القرن التاسع عشر مبدأ المنشأ كانوا جل تفكيرهم في الأرشيف القديم الذي كان مصدره الهيئات الإدارية أو الاقتصادية أو القضائية المنتهية فإن رصيد المتحصل من هذه الهيئات التي كانت كما نسميه نحن اليوم الأرشيف المغلق أي لا يمكنه استقبال أو إضافة وثائق أخرى باعتبار منتج الوثائق لم يعد موجودا، وأنه يمكن للأرشيفيين معالجته من البداية حتى وصول إلى العمليات النهائية .

1- Christine,Pétillat, **Notion fondamentales de l’archivistique intégrée**, p15.
2- Ernst Posner, Max Lehmann et la genèse du principe de provenance , **In Techniques modernes d’administration des archives et de gestion des documents** , Recueil de textes 1985,p124.
3- Christine, Pétillat ,Op.cit, P.15
4- IBid, P15.

إنّ مصدرها بمفهوم الأرشيف كان نادرا ما يشكل مشكلا لأنه من هيئة التي أنشأته و التي أرسلته إلى مصلحة الأرشيف إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بعد إلغائها وقد كان الأمر بديهيا في فرنسا حيث ألغت الثورة كل مؤسسات النظام القديم (ماعدا بعض الاستثناءات)وكذا في ايطاليا وألمانيا وهولندا واسبانيا بعد غزو الثوار والحروب النابليون التي لم تترك شيئا من الهيئات القديمة الإدارية والقضائية .[1]

وهذا ما يفسر ظهور كتب الأرشيف الهامة في القرن التاسع عشر لاسيما الأرشفيين الهولنديين وحتى لأغلب الأرشيفيين الذين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين مثل هيلاري جنكسونو أوجنينو كازنوفا كانوا أساسا يعالجون الأرشيف المغلق و قليلا ما كانوا يكترثون بمفهوم المنشأ كما لو كان الأمر بديهيا .

خلافا لذلك في الأرشيف المعاصر فقد أصبح هذا المفهوم غامضا جدا ومعقد مما دفع الأرشيفيون اليوم إلى تفكير جدي في مجال تطبيق مبدأ احترم الأرصدة.[2]

2 – 3 مستويات مبدأ احترام الرصيد

يوجد مستويان لمبدأ احترام الرصيد يتمثل الأول في عزل وحصر الهيئة التي تشكل الرصيد الأرشيفي الذي يميزه عن الأرصدة الأخرى بالمقابل هناك مستوى الثاني يهدف إلى احترام أو إعادة تشكيل الترتيب الداخلي للرصيد

3 – 4 – 1 المستوى الأولى لمبدأ احترام الرصيد :

يأخذنا المستوى الأولي من مبدأ احترام الرصيد إلى اعتبار الرصيد الأرشيفي كيان مستقل وعلى هذا الأساس يطبق المستوى الأولي عندما نترك الوثائق مجمعة كما هي أو عندما نقوم بتجميعها إن كانت متفرقة، و التي نتجت أو صدرت لنفس الشخص أو مؤسسة في إطار ممارسة نشاطها اليومية،وتبرز تطبيق هذا المستوى أساسا على قيمة الأولية للأرشيف دون إهمال القيمة الثانوية .[3]

1- Michel,Duchein, **Le Principe de provenance et la pratique du tri**, p 88.
2- Michel, Duchein, Op.Cit, P89.
3- Jean-Yves, Rousseau Op. Cit ,P 65.

3- مقاربات مبدأ احترام الأرصدة:

3-1 مقاربة الأولى :

ويسمى بالتقليد الأول، ويمكن أن نصفه بالقصووي حيث لا يولي اهتماما إلا بالمنشأ في معناه الإنتاجي أي انتماء إلى الرصيد كما أعده نتالي دوويلي،يعتقد يوهان بابريتز (Johannes Papritz) انه يجب احترام مبدأ المنشأ وحده وليس بالضرورة الترتيب الداخلي للرصيد[1] وذلك ما أكدته غالبية معظم الكتابات القرن التاسع عشر:« " إن مستودع الأرشيف ليس مكتبة ولا يجب أن يستقبل سوى الدفعات الرسمية التي تقوم بها الهيئة المختصة حتى يكون هناك ضمان ثابت وان لم يكن مصداقية كل الوثائق التي يحتويها "[2]

على الأقل شرعية منشئها أن هذا الحرص على مصداقية يضمن القيمة الإثباتية للأرشيف التي يجب أن تكون بمثابة إثبات وفي منأى عن كل شبهة . [3]

3-2 المقاربة الثانية :

تسمى أيضا التقليد الثاني يعتمد على ما قاله بونيني (Bonaini) في مبدأ احترام الترتيب الأصلي: يجب أن تحفظ الوثائق في الترتيب التى وصلت عليه وفي حالة ما إذا تم تغيير هذا الترتيب أو اتلف سيعاد إحداثه كما يجب أن يكون.[4]

وصفته كريستين نوقريت "بأنه طريقة سهلة التطبيق في البلدان التي تتوفر على نظام التسجيل الذي يمنح للوثيقة فور إنشائها مكانة وشأنا في أيطار قائم مسبق قد يساوي مبدأ احترام الترتيب الأصلي تشكيلا اصطناعيا لنظام لم يسبق وجوده أبدا :ذلك ما جعل تقليد علم الأرشيف الفرنسي يعتبر مبدأ احترام الترتيب الأصلي أمرا ثانويا ،ويفضل علاقة احترام الأرصدة احترام المنشأ "هذه ترجمة لمضمون النص الأصلي التالي :

---

1 - Christine,Nougaret , **Classement et description des principes a la pratique** , p 136.
2- Christine,Nougaret, **Les Sources archivistique production organique ou invention de l'archiviste ?**,p334.
Disponible : http://www.cairn.info/resume.php?ID_ARTICLE=HYP_031_0331.
3- Ibid.P 334.
4 Christine,Nougaret , **Classement et description des principes a la pratique** , p 136.

« Aisément applicable dans les pays dotés d'une registrâtes qui affecte au document dés sa création une place et une cote dans un cadre préétabli le principe du respect de l'ordre primitif peut équivaloir sinon à une reconstitution artificielle d'un ordre qui n'a jamais existé :c'est la raison pour laquelle la tradition archivistique française a toujours considéré comme secondaire le principe du respect de l'ordre primitif ,privilégiant la relation respect des fonds respect de la provenance » ([1])

4 – تطبيق مبدأ احترام الرصيد :

حتى نتطرق بشكل ديناميكي لمبدأ احترام الرصيد يجب أن نحدد التسلسل الزمني للمبدأ المذكور في حياة الرصيد الأرشيفي، وعليه فمبدأ احترام الرصيد سواء أكان في المستوى الأولي أو الثانوي، يمكن أن يطبق من باب أولي عندما تكون الوثائق تتمتع بنشاطها الكامل ملبية بذلك القيمة الأولية، أما عن مستوى الثانوي عندما تكون الوثائق في حوزة مصالح الأرشيف بسبب قيمتها الثبوتية ."[2]

4 – 1 الهدف من تطبيق مبدأ احترام الأرصدة :

لقد ثبت أن مبدأ احترام الرصيد بمستوين يطبق مهما كانت طبيعة الوثائق : الكترونية وسمعية، و بصرية كذلك الخرائط والصور، وأن المبدأ يتطلب احتفاظ بالرصيد كاملا أي كلية الوثائق مع تنوع حواملها .[(3)]

إن تطبيق مبدأ احترام الرصيد هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن من جهة تكامل الإداري للأرشيف كوحدة، ومن جهة أخرى القيمة الكاملة للطابع الإثبات لوثائق الرصيد، ولو تعلق الأمر بهذه الأمور يصبح من المفيد بل من الأساسي اعتماد هذا المبدأ لكن هناك ما هو أكثر إذ أن تطبيق

1- Christine, Nougaret, **Les Sources archivistique production organique ou invention de l'archiviste** ?,p 334.
2- Jean-Yves, Rousseau, Op.cit. P66.
3- Basma,Makhlouf , Op.cit. P 107.

هذا المبدأ يمنح العديد من الإيجابيات حسب العديد من المختصين من بينهم شلنبرج (Shellenberg)فهو يسمح بادئ ذي بدء الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الوثائق الواجب دراستها،فالأرشيف هو نتاج نشطات هيئة معينة أو شخص معين.

إن تطبيق مبدأ احترام الرصيد ونتيجته الرصيد الأرشيفي،قد جعل المتخصصين في الأرشيف إلى اعتبار مجموعة من الوثائق الأرشيفية أكثر من أخذ في الاعتبار وثيقة مفردة فالهيأة المنتجة أو شخص الذي جمع الوثائق من خلال نشاطه هو وحدة عضوية للتجميع التي تقرب كل الوثائق الصادرة من منشأ واحد، حتى تتحصل على مجموعات سهل تسييرها.

يشجع مبدأ احترام الرصيد كذلك تحديد المعلومات وهذا ما أثبته بيرمان(Bearman) ولاتل(Lytle) بشكل جيد عندما شرحا أن معرفة الهيئة التي أنتجت الوثيقة ومهمتها وعهدتها، و نشاطاتها، وتسييرها والعلاقات التي توجد بين مكوناتها هي كلها عوامل من شأنها أن تسهل معرفة المعلومات المتضمنة في الوثائق.

وبالتالي نستنتج من عرضهم هذا أن الشرط الأساسي هو معرفة كل هذه الأمور حتى نستطيع القول أن الرصيد الأرشيفي قد تم احترامه، وفي الأخير إن عدم تطبيق مبدأ احترام الأرصدة يقضي على إمكانية تشتيت الوثائق الجارية أو النصف الجارية أو الأرشيف النهائي ويؤدي هذا إلى ضياع المعلومات النصية نهائيا وهذا ما ينعكس على الرصيد الأرشيفي كذلك إن تطبيق مبدأ احترام الرصيد يضاعف عملية تسيير الأرشيف ،ولكل الوظائف الأرشيف حيث يمنح احترام الرصيد المحاور الكبرى وإطار عام للترتيب الذي يستند إلى الخصائص والنشطات الشخص المعنوي أو المادي المعنوي.

نضيف في الختام أن ارتكاب أخطاء عديدة على حساب احترام مبدأ الرصيد يمكن تصحيحها من خلال إنجاز أدوات البحث المناسبة، وعوض فصل الرصيد الأرشيف عن بعضه من اجل تصنيف الوثائق التي تشكله حسب الموضوع أو حسب التسلسل الزمني يستحسن ترك الوثائق في رصيد الخاص بها ونشكل فهرس حسب الموضوع أو حسب التسلسل الزمني.[1]

1 - Jean-Yves, Rousseau , Op.cit, P68.

4 – 2 مبدأ احترام الأرصدة والقيمة الإثباتية:

يرى كل من شلنبرج (Schellenberg) وقارون(Garon) أن مبدأ احترام الرصيد هو الضامن والحامي للقيمة الثبوتية للوثائق، ويؤكد قارون أن القيمة الثبوتية للوثائق تتوقف على عنصرين : من جهة الوثائق، و ترتيبها الأصلي، ومن جهة أخرى صلتها مع نشاط، أو حدث كان سبب في إنتاجها .

تتعلق القيمة الثبوتية للوثائق، مهما كان حاملها بطابعها الداخلي،أي بخصائصها ،تنظيمها ومصدقيتها ، وتكاملها" أما فيما يتعلق بتنظيم الوثائق في الرصيد أتقف كل من شلنبرج وماك نيل(Mac Neil) وإستود (Eastwood) على أن لهذا الأخير علاقة باحترام الترتيب الأصلي، و يظهر شلنبرج هذه العلاقة بالطريقة التالية : تنظيم الوثائق يعكس تنظيم النشاطات في الإطار التي أنشأت فيه ، وينظم ماك نيل إلى هذا الفكر ويوضح أنه يمكن شرح طابع العلاقات المشتركة بين الوثائق بكونها تنتج كذلك عن طريق إنشاء وظائف مرتبطة واحدة بالأخرى .[1]

5– مبنى وزارة الثقافة : 1962 – 2012 م.

عرفت وزارة الثقافة عدة تنقلات نظرا لعملية الإصلاحات الإدارية على مستوى الإدارة المركزية عن طريق ضمها إلى وزارة، أو ضم وزارة إليها مما أدى إلى تغيير أماكنها بصورة متكررة في بادئ الأمر كقطاع ، ثم كدائرة وزارية عبر حقبة زمنية حددت من 1962 إلى 1985 كما في الجدول التالي[2] :

السنوات	أماكن تواجد وزارة الثقافة
1962- 1963 1964- 1965 1967- 1968	119 شارع ديدوش مراد 3 شارع زيغود يوسف فيلا برازا
1982 . 1985	فيلا برازا فيلا كميدور

1- Basma,Makhlouf, Op.cit. P108.

2 – تقرير مديرية الأرشيف الوطني لسنة 1992م.

	+ قصر الثقافة هضبة العناصر
1988 إلى يومنا هذا	قصر الثقافة هضبة العناصر

جدول رقم 4 : مواقع تواجد وزارة الثقافة

تعليق:

من خلال الجدول نلاحظ تغيير أماكن وزارة الثقافة بشكل مستمر ابتداء من سنة 1962م إلى سنة 1988م"، ويشير التقرير الذي أعده مكتب الأرشيف لسنة 1981 أن هذه التنقلات أفرزت عن ضياع عدة وثائق تخص القطاعين الإعلام والثقافة منها :

1- ضياع وثائق تاريخية وصور تعود لسنة 1958

2- مراسلات تعود لسنة 1963م

3- ملفات عمال تعود لسنة 1963م

4- ملفات تخص مشاريع الوزارة تعود لسنة 1981 "[1]

"اتلاف بعض الوثائق بحجة عدم صلاحيتها ، كذلك عدم قدرة الموظفين على ترتيب هذه الوثائق من كثرة التنقلات لذا تركت الوثائق مكدسة في علب ورقية أو أكياس بلاستيكية

وفي هذا الشأن يقول تقرير مديرية الأرشيف الوطني صحيح أن مصدر هذه الظاهرة يعود جزئيا فقط إلى عمليات إعادة الهيكلة وتغيير مقرات مختلف الإدارات ، وفي الحقيقة يبدو أن تنقل الإدارات يمثل فرصة سانحة للتخلص من مشكل تسيير هذا الأرشيف المتراكم وفي حالة عدم وجود فرصة تنقل هذه الإدارات فإن العديد من الوزارات والمؤسسات العمومية قد فضل إتلاف الأرشيف بحجة أنه مجرد من أية قيمة تاريخية "[2].

1- تقرير مكتب أرشيف وزارة الثقافة سنة 1982م.

2 - المديرية الأرشيف الوطني ، **وضعية الأرشيف الجزائري في سنة 1994م** ، الجزائر ، الأرشيف الوطني ، 1995م.

6- حركة الأرشيف وزارة الثقافة 1981 إلى 1997م.

كما أن وزارة الثقافة شهدت عدة تنقلات كذلك عرف أرشيفها نفس الأحداث منذ سنة 1981 م إلى 1997م أين تعرض فيها الأرشيف لشتى الضياع وإتلاف معظم الوثائق التي تخص الوزارة منذ نشأتها ويمكن توضيح هذه التنقلات عبر الجدول التالي:[1]

السنوات	أماكن تواجد الأرشيف
1981	مكاتب فيلا برازا
1985	- فيلا برازا - فيلا عبد اللطيف
1987 -1988	- قصر الثقافة (قاعة السينما سابقا) -غرف المراجل Locaux de la chaufferie
1991 - 1992	حاويات البضائع - -locaux de la chaufferie
1992- 1995	- متحف الوطني للآثار القديمة (Musée national des antiquités) - مدرسة الفنون الجميلة - قصر الباي - فيلا عبد اللطيف غرف المراجل بقصر الثقافة
1997	- دار الصحافة بالقبة Maison de presse à kouba

جدول رقم 5 : أماكن تواجد أرشيف وزارة الثقافة

1 - تقرير عمر حاشي، **حول وضعية الأرشيف في وزارة الثقافة سنة 2000م**، وتقرير مديرية الأرشيف الوطني سنة 1992م.

تعليق :

من خلال الجدول نلاحظ أن حفظ الأرشيف اتسم بمرحلتين وهما كالتالي :

المرحلة 1 : عدم وجود مبنى لوزارة الثقافة

أين تم تخزين الأرشيف على مستوى المكاتب بسبب عدم استقرار الوزارة في مبنى محدد فمنذ سنة 1967 إلى سنة 1981 وجد الأرشيف في مكاتب فيلا عبد لطيف وفيلا برازا

المرحلة الثانية : وجود مبنى وزارة الثقافة

في هذه الحالة تعدد تخزين الأرشيف في عدة أماكن منها غرف المراجل بوزارة الثقافة كذلك مقهى وزارة الثقافة ، وقاعة السينما بقصر الثقافة سابقا ،وحاويات البضائع وأخيرا سنة 1997م أين تم تخزين الأرشيف في دار الصحافة بالقبة إلا أن تقرير مديرية الأرشيف الوطني لسنة 1995م أثبت وجود أماكن أخرى يقبع فيها الأرشيف وزارة الثقافة .

" يقول التقرير أن أرشيف وزارة الثقافة يوجد في ثلاث أماكن أخرى منها :

متحف الوطنى للآثار القديمة

مدرسة الفنون الجميلة

قصر الباي "[1]

و يمكن القول أن الوزارة من تأسيسها لا تتوفر على محلات حفظ الأرشيف الوسيط لذا تمت عملية الحفظ بشكل عشوائى تارة في مكاتب وتارة في أقبية وحتى في حاويات البضائع صحيح أن الوزارة في السنوات الأولى من التأسيس لم تكن تتوفر على مبنى مستقر ولا حتى على الشروط الموضوعية المادية والبشرية للاهتمام بأرشيف ، فكثرة التنقلات وزيادة الوثائق بشكل مطرد أدت إلى تعدد أمكنة حفظ الأرشيف في هذه الوزارة كذلك غياب سياسة واضحة تحث على اهتمام بأرشيف، وبرغم من توفير مبنى مستقر منذ سنة 1985م إلا أن أرشيف وزارة الثقافة ضل مهمشا متراكما ومختلطا يقبع في طوابق أرضية للوزارة المفخمة بالرطوبة ، وبرغم من أن السنوات التسعينيات صدرت فيها الدولة قرار مؤرخ في 10 يونيو 1991م.

---

1 – تقرير مديرية الأرشيف الوطني سنة 1992م.

يتضمن إنشاء مركز تمهيدي للإدارات المركزية يقول في المادته الثانية :" يكلف مركز الأرشيف التمهيدي للإدارات المركزية باستقبال الوثائق الصادرة عن الوزارات"[1]، إلا أن هذا المشروع بقى حبر على ورق .

كما أن وزارة لم تفكر في كيفية وجود حلول لحفظ أرشيفها سواء بتوفير محلات ملائمة تخضع لتقنيين دولية للحفظ أرشيف أو قيام بمشروع بناء مركز خاص بحفظ أرشيف وزارة الثقافة .

"جاء في تقرير مركز الأرشيف الوطني سنة 1996م أن أرشيف موجود في مخازن غرف المراجل (La chaufferie) معرضة إلى خطر حقيقي منها العفونة والحشرات وكذلك من أخطار السرقة مما أدى إلى إتلاف الأرشيف نظرا لكونها مجردة من الصيانة وموجودة غي أقبية مظلمة"[2] "ويقول ميشال ديشان أن التجارب أثبتت أن مخازن المظلمة تتعرض أكثر لخطورة العفونة عن المخازن المفتوحة "[3] "كما أن منشور رقم 88/ 964.13 المؤرخ في 19 ديسمبر 1988م المتعلق بمحلات الأرشيف يحث الإدارات المركزية منها والمؤسسات العمومية إلى توفير المحلات الآئقة تحتوي على ضوابط التقنية للاستقبال وحفظ الأرشيف و التي تتوافر والشروط الأمنية والصحية التي تحمي الوثائق الأرشيفية من خطر الحرائق وتسرب المياه والسرقة ،كذلك تتوافر هذه المحلات على شروط الحفظ

خطر الحرائق وتسرب المياه والسرقة ،كذلك تتوافر هذه المحلات على شروط الحفظ والمقاييس المعتمدة من طرف مختلف دول العالم في بناءها وكيفية تجهيزها حيث تكون بعيدة عن شبكات صرف المياه ومجهزة بشبكة كهربائية في أحسن الظروف وتفاديا لحدوث أي سرقة أو إتلاف للوثائق داخل المخازن فإنه يمنع منعا باتا دخول أي شخص أجنبي عن مصلحة التبليغ والحفظ كما يجب استعمال الصرامة في مراقبة الدخول إليها ."[4]

و المقاييس المعتمدة من طرف مختلف دول العالم في بناءها وكيفية تجهيزها حيث تكون بعيدة عن شبكات صرف المياه ومجهزة بشبكة كهربائية في أحسن الظروف وتفاديا لحدوث أي سرقة أو إتلاف

1- جريدة رسمية سنة 1991 ، رقم 39.

2 – تقرير مديرية العامة للأرشيف الوطني سنة 1996 .

3 Michel,Duchein, Les Bâtiments et installation des archives ,**In Manuel d'archivistique**,1970,p581.

4 - منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988 المتعلق بمحلات الأرشيف.

للوثائق داخل المخازن فإنه يمنع منعا باتا دخول أي شخص أجنبي عن مصلحة التبليغ والحفظ كما يجب استعمال الصرامة في مراقبة الدخول إليها ."[1]

وكذلك من أخطار السرقة مما أدى إلى إتلاف الأرشيف نظرا لكونها مجردة من الصيانة وموجودة غي أقبية مظلمة"[2] "ويقول ميشال ديشان أن التجارب أثبتت أن مخازن المظلمة تتعرض أكثر لخطورة العفونة عن المخازن المفتوحة "[3] "كما أن منشور رقم 88/ 964.13 المؤرخ في 19 ديسمبر 1988 المتعلق بمحلات الأرشيف يحث الإدارات المركزية منها والمؤسسات العمومية إلى توفير المحلات الآئقة تحتوي على ضوابط التقنية للاستقبال وحفظ الأرشيف والتى تتوافر والشروط الأمنية والصحية التى تحمي الوثائق الأرشيفية من خطر الحرائق وتسرب المياه والسرقة ،كذلك تتوافر هذه المحلات على شروط الحفظ

خطر الحرائق وتسرب المياه والسرقة ،كذلك تتوافر هذه المحلات على شروط الحفظ والمقاييس المعتمدة من طرف مختلف دول العالم في بناءها وكيفية تجهيزها حيث تكون بعيدة عن شبكات صرف المياه ومجهزة بشبكة كهربائية في أحسن الظروف وتفاديا لحدوث أي سرقة أو إتلاف للوثائق داخل المخازن فإنه يمنع منعا باتا دخول أي شخص أجنبي عن مصلحة التبليغ والحفظ كما يجب استعمال الصرامة في مراقبة الدخول إليها ."[4]

والمقاييس المعتمدة من طرف مختلف دول العالم في بناءها وكيفية تجهيزها حيث تكون بعيدة عن شبكات صرف المياه ومجهزة بشبكة كهربائية في أحسن الظروف وتفاديا لحدوث أي سرقة أو إتلاف للوثائق داخل المخازن فإنه يمنع منعا باتا دخول أي شخص أجنبي عن مصلحة التبليغ والحفظ كما يجب استعمال الصرامة في مراقبة الدخول إليها ."[5]

---

1 – منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988م المتعلق بمحلات الأرشيف.

2 – تقرير مديرية العامة للأرشيف الوطني سنة 1996م.

3- Michel,Duchein**,** Les Bâtiments et installation des archives **,In Manuel d'archivistique**,1970,p581.

4 – منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988م ، المتعلق بمحلات الأرشيف.

5 – منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988م، المتعلق بمحلات الأرشيف .

7 – محلات حفظ أرشيف وزارة الثقافة :

"لقد كانت وزارة الثقافة تحتوي على محلات معظمها يوجد داخل مبنى الوزارة إلا مخزن دار الصحافة بالقبة كما يوضحه الشكل التالي :"[1]

المكان	المساحة	عدد المحلات
غرف المراجل (La Chaufferie)	40 م^2	3 محلات في أقبية مظلمة (Sous sol)
دار الصحافة بالقبة	40 م^2	محل واحد في قبو مظلم (Sous sol)
مقهى وزارة الثقافة سابقا (Caffeteria)	60 م^2	محل واحد في الطابق الأرضي
مبنى وزارة الثقافة	36 م^2	محل واحد في الطابق الأول
قاعة السينما بقصر الثقافة سابقا	60م^2	محل واحد في الطابق الأرضي

جدول رقم 6 : محلات حفظ أرشيف وزارة الثقافة

تعليق :

من خلال الجدول نلاحظ أن مخازن حفظ الأرشيف بوزارة الثقافة موجودة في أقبية كمخزن ومخزن دار الصحافة بالقبة باستثناء المخزن الذي يقع في الطابق الأرضي في مبنى الوزارة La Chaufferie أما القاعة في الطابق الأول فهي خاصة بالفرز وكذلك تستعمل لحفظ الأرشيف أما المساحة فتتراوح مابين 40 م^2 إلى 60 م^2 وهي نسبة قليلة بالنظر لحجم الوثائق التي تتوافر عليها وزارة الثقافة ،وكذلك يتعارض مع مقاييس خاصة لمقاييس الحفظ الوسيط ، "فالمساحة المخزن يجب أن لا يتعدى

1 – تقرير عمر حاشي حول وضعية الأرشيف في وزارة الثقافة سنة 2000م، وتقرير مديرية الأرشيف الوطني سنة 1992م.

150 م^2 إلى 200 م ^{2} أما العلو مخزن الأرشيف فيجب ألا يتعدى 20 ،2 م أما مساحة العمل فتكون بين 5 إلى 10 بالمائة."[1]

"أما قانون 09 – 88 والمتعلق بالأرشيف في بابه الرابع من المادة 22 فقد حث على ضرورة حماية التراث الأرشيفي وحفظه وتسييره في أماكن مهيأة لهذا الغرض عن طريق تهيئة المحلات."[2]

كما أن جل المخازن لا تتوفر على نوافذ ولا أبواب حديدية أما فيما يخص درجة رطوبة فيها فهي جد مرتفعة ،إلا القاعة التي تقع في الطابق الأرضي فتحتوي على أبواب ونوافذ زجاجية وهذا لا يتوافق مع الشروط التقنية للحفظ ، أما درجة الرطوبة فيها فهي معتدلة بالمقارنة مع المخازن الأخرى.

أما الإنارة فهي لا تتجاوز 100 لوكس في كل مخازن "و ينص منشور 88 / 964.13 أن درجة الحرارة داخل المخزن يجب أن لا تفوق 18° ونسبة الرطوبة مابين 50 و 60 ، على أن تتم صيانة خلال كل فصول السنة ."[3]

"أما حمولة القاعات فيجب أن تتراوح ما بين 1500 إلى 2000 كلم للمتر المربع لكل مخزن."[4]

"ويشير قرير الأرشيف الوطني أن كل المخازن في حالة يرثى لها سواء من حيث جدران أو الأرضية"[5]"

فكان على الأقل صقل مساحة أرضية المخازن بالإسمنت وطلاء المقاوم للصدأ لتجنب تراكم الغبار ، كذلك طلاء الجدران والسقف (توفيرا للنظافة وقلة الغبار والرطوبة وحتى الحشرات)

تنصيب آلة الطفأ وجهازي الرطوبة والحرارة بمدخل كل مخزن إصلاحات فورية وتطهير مباشر لها وضع أبواب حديدية تغلق بالمفاتيح ."[6]

1- Guy,Duboscq , **Organisation du préarchivage**, Paris , Unisco,1974,p33.

2 – المديرية العامة للأرشيف الوطني، ملتقى الوطني حول إجراءات الحفظ الوقائي للأرشيف، الجزائر،2012م، ص20.

3 – منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988م المتعلق بمحلات الأرشيف.

4 - CNECEP , Op.cit, P88.

5- Compte rendu de la visite technique des archives du ministère de la communication et de la culture ,1996.

6 – المديرية العامة للأرشيف الوطني، وضعية الأرشيف الجزائري، ص26 .

8- التجهيزات:

تحتوي وزارة الثقافة على التجهيزات منها الرفوف المعدنية ، والخشبية كما يوضحها الجدول التالي[1]:

النوع	الحجم
رفوف معدنية نوع (crochet)	315 م/طولي
رفوف معدنية نوع (ERMEWA)	
رفوف معدنية نوع (ARMOIRE)	
رفوف خشبية	117م/طولي

جدول رقم 7 : تجهيزات وزارة الثقافة

التعليق :

إن التنقلات التي شهدتها وزارة الثقافة في السنوات الماضية أدت إلى عدم استقرار أرشيفها فكل التقارير التي تم الإطلاع عليها سواء سنة 1981 وكذلك سنة 1988 لم تتوافر هذه الوزارة على تجهيزات بل كان أرشيفها في مخازن دون عناية به في أكياس كرتونية أو أكياس بلاستيكية دون توفير علب الأرشيف، ودون استعمال رفوف لقلما حفظ الأرشيف في الرفوف ،مع مطلع التسعينيات وفرت الوزارة رفوف لكنها قليلة بنظر لحجم الوثائق المتواجدة في الوزارة فيشير التقرير أن الوزارة تتوفر على 315 م / طولي من الرفوف معدنية ومازالت الوزارة تستعملها إلى الآن فهي متصدية تفوق العلو المتفق عليه في المقاييس الدولية 2,30 م كما أن طول الرف في بعض الأنواع لا يتجاوز متر واحد .

1 - تقرير عمر حاشي حول وضعية الأرشيف في وزارة الثقافة سنة 2000

"كما يشير التقرير سنة 1992 أن الوزارة تحتوي على رفوف خشبية تقدر ب117 م / طولي "[1]وهذا يتعارض مع المقاييس الدولية المعتمدة ،" فمنشور 88/ 964.13المؤرخ في 19 ديسمبر 1988 المتعلق بمحلات الأرشيف يشير أن تتوفر المحلات على رفوف معدنية غير قابلة للصدأ، ذات علو يحدد ب 2.20 م على أن لا يتجاوز طول الرف متر واحد والذي يناسب بدورة 10 علب أو حزم لا يتعدى سمك الواحدة 10سم ، توضع على جانبي"[2]

ما زالت هذه الرفوف القديمة في وزارة الثقافة تستعمل حتى الآن "مع مطلع 2007 خصصت الوزارة جزء من ميزانيتها لجلب أجهزة حديثة لرقمنة من أجهزة سكانير ولآلات للاستنساخ ورفوف معدنية متحركة من نوع(compacts)وهي قليلة بحجم قاعة واحدة "[3]فقط كما أن الوزارة مازالت بعيدة عن مشروع الرقمنة فبذلا من توفير تلك الأجهزة كان من المفترض توفير الرفوف ذات نوعية الجيدة في كل القاعات.

أما فيما يخص علب الأرشيف فما زالت الوزارة تعاني نقص الفادح منها ففي كل التقارير التي قرأتها وجدت أنها في كل مرة تطلب فيها عدد كافي من حافظات الأوراق ، أما من جانب استعمالاتها ، فتعتبر هذه العلب رديئة من نوع 35 × 25 سم التي لم تتوفر فيها الحماية من الغبار ، "لذا يجب التفكير في استعمال العلب من الحجم 35×25 ×10 سم ومن النوع الذي يقفل لإدخال كل الملفات وتجنب الغبار مع حماية زائدة للأرشيف ضد الهواء الجاف الذي يؤدي إلى تكسير الورق إذا انخفضت الرطوبة تحت 50%"[4]

9- حجم الوثائق وزارة الثقافة من 1962- 2005 :

إن الإصلاحات الإدارية وعدم تصنيف الأرشيف ،وعدم إجراء عملية الدفع إلى الأرشيف الوطني خلف كما مهولا من الوثائق الأرشيفية ،ويمكن تمثيلها في الجدول التالي [5]:

1- تقرير مكتب الأرشيف لسنة 1992م.

2- منشور 88 /964.13 المؤرخ في ديسمبر 1988 المتعلق بمحلات الأرشيف.

3- برنامج عمل مديرية الفرعية للإعلام الآلي والإحصاء والأرشيف لسنة 2007م.

4- عبد الكريم بجاجة، دليل الأرشيف دولة الإمارات، ص4.

5- Rachid,Ferkous, **Questionnaire sur la situation des archives au niveau des administrations centrales**,1996.

السنوات	حجم الوثائق ب م/ طولي
أرشيف قبل 1962 Archives antérieures à 1962	0.5 م / طولي
أرشيف بعد 1962 Archives postérieures à 1962	3.500 م/ طولي

جدول رقم 10: حجم الوثائق في وزارة الثقافة.

تعليق:

من خلال النتائج يتضح لنا حجمين من الوثائق وقد قسمت عبر فترتين ،تمثلت الفترة الأولى في فترة ما قبل الاستقلال حيث نجد حجم الوثائق قدر ب5 م /طولي ،ثم نلاحظ تضاعف حجم الوثائق بشكل متسارع بعد الاستقلال حتى وصل إلى 3500 م/طولي سنة 1997م، فإذا ما قورنت هذه النسبة بما تملكه الوزارة من موارد بشرية والمادية آنذاك فنستطيع أن نقول أن الوزارة لا تستطيع أن تقوم بفرز وترتيب وعملية فصل الأرصدة هذه كومات من الوثائق ففي سنة 1992م وبعد عملية فصل الأولى التي بدأت بها الوزارة ثم التخلي عنها سنة 1996م بسبب نقص الموظفين" وبقيت الوثائق متفرقة في عدة جهات منها مخازن الوزارة والبعض في حاويات البضائع أين تم حرق العديد منها في سنة 1994م، ولم ينجو إلا القليل من الوثائق "[1]،" وكذلك تم جلب أرشيف الذي كان في مدرسة الفنون الجميلة ومتحف الوطني لأثار القديمة ،وقصر الباي ، وفيلا عبد اللطيف سنة

1 – قاسمي نصيرة، مقابلة مع مسؤولة مكتب وزارة الثقافة سنة 2012م.

1992م إلى حصن 23 لكن وجدت أن أغلب الوثائق لا تخضع إلى تقنيين وذلك بحضور مديرية الأرشيف الوطني".

أمام كثافة هذه الوثائق" قامت وزارة الثقافة بعملية الدفع مرتين فقط منذ الاستقلال كان ذلك في سنة 1992م و1993م "[1]، ويشير التقرير أن الوثائق التي تم دفعها إلى الأرشيف الوطني كانت من سنة 1962م إلى سنة 1978ن "[2]، فكيف تم ذلك وأن عملية فصل الأرصدة لم تتم كليا في تلك السنوات ؟

إن عملية دفع وثائق كانت عشوائيا وهذا ما صرح به مدير مركز الأرشيف الوطني يومها قال" والحقيقة أنه في بعض الأحيان تلتمس بعض الوزارات مركز الأرشيف الوطني ، ليس للقيام بإيداع الأرشيف المعرف بل للقيام بعمليات تفريغ لأن الهدف لا يكمن في إثراء التراث الوطني بل تحويل مشكل تراكم الأرشيف من الوزارات نحو مركز الأرشيف الوطني .

هكذا ، يجد مركز الأرشيف الوطني نفسه مضطرا إلى التكفل بأطنان من المحفوظات الماكثة في علب وأكياس النافيات، حتى دون أن ترفق بجدول الدفع ، حيث أن الأرشيف الذي ينتقل من مكان إلى آخر دون جدول الدفع يعرّف محتواه هو مثل ذلك المواطن الذي يريد السفر دون وثائق تحدد هويته."[3]

10- وضعية الأرشيف سنة 1981م :

يصف لنا مكتب الأرشيف سنة 1981م وضعية الأرشيف ، حيث يقول أنها وضعت لكل مديرية من مكتب إلي مكتبين لحفظ الأرشيف كالتالي :

- مديرية الوثائق والنشرات :

- المكتب الأول :

يحتوى على رصيد من الوثائق الفوتوغرافية بلغ عددها 120 علبة وهذه الوثائق تخص فترة الحكومة المؤقتة

---

1 - تقرير عمر حاشي حول وضعية الأرشيف في وزارة الثقافة سنة 2000 م.

2 - Bilan d'exécution du programme d'action en matière d'archives, 1999

3 - المديرية الأرشيف الوطني، وضعية الأرشيف الجزائري في سنة 1994م، الجزائر، الأرشيف الوطني، 1995، ص16.

- وثائق تخص زيارات رئيس الحكومة من 1962 - 1965
- وثائق أرشيفية متعددة ، مراسلات تعود لسنة 1971 1974

المكتب الثاني :

ونجد فيه وثائق تعود إلى الفترة الاستعمارية ، منها وثائق تخص مصالح الإعلام الحكومة العامة الفرنسية ، وكذا الحكومة الجزائرية المؤقتة.

- وثائق فوتوغرافية تعود لفترة 1945 -1958
- وثائق مطبوعة ووثائق مكتوبة بآلة الراقنة.

– مديرية الإعلام:

- المكتب 1 :

وضعية في هذا المكتب سيئة للغاية هناك وثائق أرشيفية على شكل لفائف من ورق تلكس عدد كبير منها .

- المكتب الثاني :

عدد كبير من وثائق الأرشيفية تخص تقارير ، ومراسلات كما أن هناك 119 وحدة أرشيف تعود لقطاع الثقافة أغلبها مكتوب بالآلة الراقنة.[1]

- محاضر رسمية للاجتماعات.
- تصاميم دور الثقافة.
- برامج مختلفة تعود لسنة 1979م.
- ملفات خاصة بالقوانين التنظيمية.
- مناشير تعود لسنة 1965م إلى 1979م.
- وثائق أخرى تخص عدة نشاطات ثقافية تعود لسنة 1965م.

1- تقرير مكتب وزارة الاتصال والثقافة سنة 1981 م.

– مديرية التطوير والإعلام :

- المكتب 1 :

خاصة بتشغيل أو استغلال السينمائي مرتبة(bordereaux) رصيد متكون من لوائح ترتيبا أوليا حسب الولايات أما الترتيب الثانوي فحسب قاعات العرض الأفلام ويبلغ عدد هذه اللوائح من 30.000 إلى 35.000 لائحة تعود لسنة 1970م.

– وثائق حول تقنيات وقوانين عرض الأفلام تعود لسنة 1976م.

– مديرية الإدارة العامة :

المكتب الأول:

– وثائق خاصة بالميزانية

– حولات بالدفع

–وثائق أرشيفية مختلفة

– وثائق حول مهرجانات ثقافية إفريقية

– وثائق حول التزامات بمهرجانات إفريقية

– مراسلات[1]

– أكياس كرتونية متكونة من ملفات مختلفة

– سجلات خاصة بالمالية

– المكتب الثاني :

ويحتوي على تقارير سنوية حول عدد من مراكز الثقافية تابعة لوزارة الإعلام والثقافة وثائق خاصة بمديرية الفرعية للدراسات والمراقبة والتنظيم.

– مناشير خاصة بكل الوزارات

– سجلات الصادرة والواردة ملفات خاصة بالعطل

– وثائق خاصة بتكليف بمهمة

---

1 – نفس المرجع السابق.

- مكتب الثالث :

في هذا المكتب نجد وثائق خاصة بالميزانية ، والتجهيزات ، وأوراق خاصة بالشؤون المالية مرتبة حسب السنوات ،كما نجد مراسلات مختلفة حوليات بالدفع نجدها هنا وهناك تعود لسنة 1966م.

- مراسلات.
- حافظات الإرسال.
- "بطاقات تعيين الموظفين.
- بطاقات خاصة بقسم المحاسبة.

- مديرية الموظفين

- مكتب الأول
- ملفات خاصة بشؤون العاملين مرتبة حسب الصنف.
- مراسلات.
- مناشير.
- مناشير وزارة المالية.
-استمارات حول وضعية العمال[1].

تعليق:

من خلال التقرير التالي نلاحظ أنه تم وضع الوثائق الوزارة في هذه السنة في مكاتب بجانب كل مديرية، و أن جل الوثائق التي كانت آنذاك مبعثرة ومكدسة فقط في المكاتب دون ترتيب أو حماية . صحيح أن وزارة الثقافة في السنوات الأولى لم تكن تتملك الإمكانيات المادية من رفوف وحتى المبنى الذي ضل يتأرجح مابين 3 مواقع آنذاك، كذالك غياب الموارد البشرية منها المتخصصين في الأرشيف أدى إلى إهمال أرشيفها، زد على ذلك أن قطاع الأرشيف في الجزائر في بداية الستينيات حتى الثمانينيات من القرن الماضي لم يحض باهتمام كبير خاصة تلك المتعلق بأرشيف الإداري ، لأن الدولة الجزائرية كما رأينا في وضيفة الأرشيف في وزارة الثقافة أولت اهتمامها بأرشيف التاريخي وهذا ما يفسر إهمال الأرشيف الإداري فالوثائق في سنة 1981م قد تجاوزت المرحلة الجارية ودخلت

1 – نفس المرجع السابق.

المرحلة الوسيطة ،فوضعية أرشيف وزارة الأخبار والثقافة في هذه السنة "يشبه ما تحدث عنه الأرشيفي الفرنسي برونو دالماس(Bruno Delmas) فالأرشيف الوسيط وان كان حديثا ، لم يعد ممكنا حفظه في المكاتب ففي غياب سياسة أرشيفية، وفي غياب أخصائي أرشيف لتنفيذ هذه السياسة نلاحظ ظهور مخازن للحفظ بجوار المكاتب تابعة لها، وتحت مسؤوليتها هذا الاستغلال المشترك للمخازن الذي لا يرفقه تصرف محكم فيها ، لا يفضي في أغلب الأحيان إلا لحالة الفوضى الكلية.[1]

11 – وضعية الأرشيف بين سنة 1985 – 1988 م.

بقية الوثائق على هذه الحالة إلى غاية سنة 1985م بين فيلا برازا وفيلا عبد اللطيف حتى أواخر 1985م تم انتقال إلى الموقع الجديد بحي العناصر حاليا ، فالمبنى كان يحتوي على ثلاث مخازن بقصر الثقافة حاليا و3 مخازن داخل مبنى وزارة الثقافة .

تم جلب وثائق وزارة الإعلام والثقافة ، ووزارة التربية من فيلا عبد اللطيف وفيلا بلازا إلى أسفل مبنى وزارة الثقافة LA chefferieو وتركت بعضها على الأرض وبعض آخر في أكياس كرتونية دون ترتيب أمام هذه الوضعية جد حرجة وفي أواخر سنة 1958م قامت الدولة بجمع وزارة الثقافة والسياحة في وزارة واحدة .

"يشير التقرير وزارة الثقافة والسياحة أن وزارة الثقافة كانت تحتوي على رصيد يعود من سنة 1966م إلى سنة 1984م تم جلبه كله إلى وزارة الثقافة بين سنة 1985م إلى سنة 1986م و وضعه في مخزن بقصر الثقافة المبنى المجاور للوزارة ، ويشير التقرير أنه تم تفريغ عدة شاحنات محملة بوثائق وزارة السياحة[2]"حتى يقال من كثرة الوثائق أصبح الموظفين يقفون فوق الوثائق لتفريغ الشحنات الأخرى "ويمكن ذكر بعض وثائق وزارة السياحة التى تم جلبها:

– مخططات فنادق سيدي بالعباس والمسيلة وبسكرة تعود لسنة 1981م.

بسيدي فرج تعود لسنة thalassothérapie1972– وثائق تخص مركز تعود لسنة 1970(c.o.p des plis).

1- Bruno,Delmas ,Quatre modèles d'organisation de l'archivage, **In Arbica**,1992,p17,18.

2 – مقابلة مع اوشان مصطفى مكتب أرشيف سنة 1992م.

- تقارير عن افتتاح.
- تقارير حول اجتماعات المجلس مدراء المؤسسات ألتور تعود لسنة 1979م.
- مراسلات تعود لسنة 1984[1].

تعليق :

من خلال هذا التقرير نلاحظ أن زيادة على الوثائق التي كانت تحتويها وزارة الثقافة تم ضم إليها وثائق وزارة السياحة ، فهذا لا يزيد إلا من تراكم الأرشيف واختلاطه فبذلا من حل مشكل تضخم الوثائق التي كانت تعانى منها الوزارة نظرا من كونه غير مرتب ولا تستطيع دفعه لمصلحة الأرشيف الوطني، وغياب مخازن العمر الوسيط تضاعف وثائقها من هنا نستطيع القول أن في هذه السنوات لم تستطيع الدولة التكفل بقطاع الأرشيف تكفلا جديا كما أن وزارة الثقافة تركت أرشيفها عرضة للإتلاف والاندثار نظرا غياب الإمكانيات المادية والبشرية الآزمة لحفاظ على أرشيفها، و لكون الأرشيف الموجود في مبنى وزارة ليس خاصيتها فقط فهناك أرشيف وزارات أخرى لذا ترك يعانى الإهمال لسنوات .

12- وضعية الأرشيف من 1992 إلى سنة 1997م:

ترك الأرشيف سنة 1990م على ما هو عليه نظرا لعدم وجود وزارة ، ثم وضع أرشيف وزارة الثقافة والسياحة مع بقية الوثائق الأرشيفية الأخرى في مقهى وزارة الثقافة فسرعان ما قامت الدولة باسترجاع وزارة الثقافة سنة 1991 ويبدأ العمر الجاري للوثائق قي هذه الوزارة . وما إن حلت سنة 1992م حتى حظيت الوزارة بمديرية فرعية للأرشيف والوثائق ويشير التقرير وزارة الاتصال والثقافة أنه تم جلب أرشيف السمعي البصري الذي كان ملك وزارة الإعلام وضل مدة من الزمن في قصر الحكومة، و في سنة 1992م اضطرت الإدارة في القصر الحكومة تسليم هذا الأرشيف لوزارة الإعلام والثقافة والذي يعود لفترة الاستعمارية ، ويحتوي هذا الأرشيف على ما يلي 2446 فيلم سينماتوغرافي بين الفترة الاستعمار الفرنسي وفترة الاستقلال مصنف كما يلي :

- 1848 فيلم ب 35 ملم.

---

1 - تقرير مكتب التوثيق وزارة الثقافة والسياحة سنة 1988م.

- 590 فيلم ب 16 ملم.
- 8 فيلم ب 70 ملم.
- م[1]/ ويبلغ قياس الأشرطة 35. 6 1 و 70 م.

أمام هذه الوضعية الجد المزرية في هذه الوزارة قامت مديرية الأرشيف الوطني بإرسال عدة مفتشين لدراسة وضعية الأرشيف فيها وكان ذلك حسب التواريخ التالية :

-17 /3 / 1992م

- 6/7 1992م

- 3/ 1 /1992م

وقد حثت هذه التقارير على ضرورة تضافر الجهود والقيام بنقل الأرشيف من أقبية وقيام بعملية الفرز، وأنه لا يتم إقصاء أي ورقة أرشيف إنما نزع فقط الوثائق غير الضرورية كالنسخ الزائدة، والمجلات، والجرائد الرسمية التي لها علاقة بالتوثيق ثم الدفع إلى مصلحة الأرشيف الوطني، وقد جاء في التقرير مديرية الأرشيف الوطني "علاوة على عدم وجود مخازن يعاني قطاع الأرشيف من غياب هيكل خاص على مستوى المخطط التنظيمي .ومن المفارقة أن نسجل أن هذه الوزارة التي كان لها الوصاية على الأرشيف الوطني من عام 1984 إلى 1998 ، كانت من بين المؤسسات القلائل التي لم تقرر إنشاء مديرية فرعية للتكفل بالأرشيف والوثائق "هذه ترجمة لمضمون النص التالي:

« En plus de l'absence de magasins ,le secteur des archives a souffert aussi de l'absence de structure spécifique au niveau de l'organigramme .Il est paradoxal de constater que ce ministère, qui des rares à ne pas prévoir de sous-direction pour prise en charge des archives et de la documentation. »[(2)]

1- Procès Verbal de remise au ministère de la communication et de la culture des archives audio visuelles entreposees au Palais du Gouvernement,1992.
2- Abdelkrim,Bajadja, Rapports des missions d'inspection du 17/3/92 et du 7/6/92

كما نصت التقارير على توفير كل التجهيزات وموارد البشرية لذلك، وتوفير لهم وسائل واقية من الغبار والحشرات والرطوبة ، وفعلا بدأت هذه العملية فصل الأرصدة واستمرت حتى سنة 1993 بشكل مكثف وباستشارة من مصلحة الأرشيف الوطني[1] كللت بعملية الدفع إلى مصلحة الأرشيف الوطني الأولى في حياة الوزارة كما أشرنا سابقا

وتواصلت حتى سنة 1994 بشكل متناقص تماما على ما كانت عليه، وفي سنة 1997 طلبت مديرية الأرشيف الوطني من وزارة الاتصال والثقافة تحويل الوثائق الموجودة في غرف المراجل إلى دار الصحافة بالقبة بسبب ما تعرض له الأرشيف من إتلاف بسبب الرطوبة والسرقة التي تتعرض لها الوثائق هناك ويشير التقرير مكتب الأرشيف أنه تم استعانة ب 50 شاحنة من أجل هذه العملية كما يشير مسؤول المديرية الفرعية آنذاك أنه تم نقل 500 م/طولي إلى دار الصحافة بالقبة.[2]

وبقيت عملية الفرز سنة 1998 وسنة 1999م لم تشمل إلا مقهى وزارة الثقافة والقاعات المجاورة وفي سنة 2007م تم جلب وثائق دار الصحافة بالقبة وبقرار من الوزيرة لتستمر عملية فصل الأرصدة وفي سنة 2012م تم تقسيم أرصدة وزارة الثقافة كما اشرنا سابقا أما الآن فتتم عملية تألية الوثائق واستعداد في عملية الرقمنة وسط كومات من الوثائق الغير معالجة تعود لسنة 2005م .

تعليق :

من خلال التقارير يمكن القول أن وزارة الثقافة كانت تعاني من انفجار في الوثائق الأرشيفية وفي سنة 1992م تم جلب أفلام بلون الأبيض وأسود تعود للفترة الاستعمارية ، ونحن نعلم أن هذا النوع من الأفلام تتطلب قاعات خاصة أين نسبة الرطوبة فيها لا تقل على 40 % ودرجة الحرارة تتراوح 18° ، ويجب وضع وحفظ الأفلام في علب خاصة مطابقة للفلم مطابقة للمقاييس الدولية كما يجب وضع الأفلام في قاعات خاصة بعيدة عن مكان العمل .[3]

1 - Direction général des archives national, Inspection des archives au ministère de la culture et de la communication,1993.

2- Direction général des archives national, Rapport sur la réorganisation des archives,1997.

3- Jean-Louis,Glénisson, Les Documents audio visuels , **In Manuel d'archivistique** ,1970, p548.

خاتمة

تعتبر سنة 1992م وسنة 1993م من أفضل السنوات التي شهدتها وزارة الثقافة نظرا لكون الأرشيف حضي بمديرية فرعية وتم على إثرها عملية فصل الأرصدة إلا أن هذه العملية لم تتواصل كما شهدناها في سنة 1992م بسبب نقل الأرشيف إلى مكان آخر أسوء من الذي كان فيه كان بإمكان وزارة الثقافة مواصلة الفرز ومن ثم دفع إلى الأرشيف الوطني مثلما حدث في السنوات 1992م و 1993م، إلا أننا لاحظنا توقف عملية الفرز لتستمر في 2007م أما سنة 2012م فقد أولت الوزارة اهتماما اكبر لعملية التألية، فما الفائدة من هذه العملية إن كانت الوزارة لا تحتوي على نظام لتصنيف والترقيم والفهرسة ، أن مهمة الأرشيفي واستقبال الأرشيف لحفظه ولغرض أسمى هو النشر والتبليغ غايته الأساسية والنهائية فوجب على الوزارة في تفكير الجدي في كل هذه العمليات ،تم التفكير في استخدام التقنيات الحديثة.

من خلال هذه الدراسة يمكننا القول كذلك أن كثرة التغييرات الإدارية التي تعرضت لها وزارة الثقافة نتجت عنها عدة أرصدة مغلقة عرقلت سير التسيير الإداري للأرشيف ، ونظرا لضيق المكان الذي يخزن فيه الأرشيف كذلك عدم وجود موظفين أكفاء وعدم إجراء عملية الدفع إلا مرتين والنزاعات الأرشيفية بينها وبين الوزارات الأخرى جعل هذه الوزارة تتخلى على كمية كبيرة من وثائق من اجل إتمام معالجة الأرصدة المغلقة، وكذلك معالجة الرصيد المفتوح الذي من 2005 – 2012 م ما زال متراكم في علب الأرشيف وأكياس بلاستيكية دون معالجة ،كما أن مركز الأرشيف الوطني ترك ذلك الصراع بين الوزارات حول الأرشيف كوزارة السياحة و وزارة الإعلام أدى ذلك فما بعد إلى تقسيم الأرصدة ،فنتج عنها الإخلال بترتيب الأولي الذي كانت عليه الوثائق الأرشيفية وعدم اكتراث للمبادئ الأرشيف منها مبدأ حفظ الأرصدة وبتالي ضياع ذاكرة وزارة الثقافة التي يعود وجودها إلى سنة 1968م كقطاع ضمن وزارة الإعلام وبعد الاستقلال تشكيل وزارة الثقافة ككيان إداري ،فالوزارة تفتقد الآن إلى معظم الوثائق السابقة التي تخص تاريخ الثقافي والإداري، وبالتالي ضياع جزء من تاريخ الإدارات المركزية في الجزائر بعد الاستقلال.

تم بحمد الله و توفيقه

فهرس الموضوعات:

1- علاقة الصوفية بمجتمع بجاية خلال العصر الوسيط 1-13

الأستاذ الدكتور: خلفات مفتاح جامعة محمد بوضياف المسيلة

2- التغير الاجتماعي و جوانبه بالمجتمع رؤية سيسيولوجية.

د. نوادري فريدة، جامعة المسيلة.....14-41

3- العناصر الوظيفية و المرافق في المساجد الجامعة.

من خلال نماذج من مساجد مدينتي تلمسان و الجزائر.

د.موشموش محمد، جامعة المسيلة،.....42-88

4- أثر الطراز العثماني في لباس ضباط الإنكشارية بأوجاق الجزائر في القرنين.

(10-11هـ/16-17م) (دراسة مستمدة من النصوص التاريخية، والوثائق الأرشيفية).

د. حليم سرحان، بجامعة المسيلة.....89-110

5- الزاوية في العمارة الإسلامية بالجزائر في الفترة العثمانية.

د. بوزرينة سعيد، المركز الجامعي نور البشير بالبيض.....111-165

6 – عمارة المساكن في منطقة وادي سوف، دراسة عمرانية أثرية

الدكتور: حسونة عبد العزيز، بجامعة زيان عاشور الجلفة.....166-193

7 – نظرة تاريخية لمكانة اللغة العربية بين تعزيز الهُوية الوطنية و تحدِّي الغزو الثقافي.

الدكتور: محمد عيساوي.....194-215

8- CREER : Méthode & Processus

Dr. Younes BENMAHAMMED.....216-264

9 – دور الزوايا في بناء وتنظيم المجتمع منطقة المسيلة نموذجا.

الدكتور: عبد المالك بوقزولة.....265-273

10 – العلوم المساعدة للدراسات التاريخية و دورها في اختيار موضوع البحث التاريخي .

– التاريخ الإسلامي أنموذجا –

الدكتور: طارق بن زاوي.....274-286

11 – التغيرات الهيكلية في وزارة الثقافة وآثارها على الأرشيف.
الأستاذة: موشموش أسية.....287-322
- فهر الموضوعات:.....324